يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية

د. فرحان العلي

أستاذ العقيدة قوائم الأديان
نشرة توزيع
طباعة
55 ش مصطفى طلعت - من ش الملك
مدينة نصر - القاهرة
تليفون: 2617620 - تلفاكس: 2610416
E-mail: daralafk@hotmail.com

اسم الكاتب: فيصل الممالي
اسم المؤلف: الدكتور محمد رضوان

رقم الإصدار: 2004/11577
الRegistro الدولي: 5 - 880 - 344 - 977

الطبعة الأولى
2004

جميع الحقوق محفوظة للناشر
للأستاذ الدكتور/ يحيى حسام حسن فرغل

لا بد لنا في تقديم هذه الرسالة من إلقاء الضوء على بعض الجوانب المتعلقة
بموضوعاتها؛ لأن الموضوع الذي نعالج به في هذا العمل - عمداً - كثير من البلبلة
والتشويش، و كثير من التجاهل المتعمد لمنهج البحث العلمي.

هناك سؤال مطروح الآن حول: علاقات الجدل العقدي بين الإسلام وأديان
أهل الكتاب... يهودية أو مسيحية!

هناك - مثلاً - فكرة طرحت فعلاً تصرح بأنه (من حق أي إنسان أن يقول -
حتى بمنطق الجهاز - في تعجيد دينه، وجنسه، وقومه، ولكن ليس من حقه أن
يتحدث مهاجماً ديناً آخر، ولا بد من تجريم ذلك بالقانون) (1).

وصحفي آخر يعتبر أن مجرد الإكثار من ذكر الإسلام، يعد نوعاً من الأثراء، إذ
يقول عن بعض المتحدثين إليه (يطالب بسياسة إسلامية، واقتصاد إسلامي،
وبمجتمع إسلامي، وقانون إسلامي، ووحدة إسلامية، وتنمية إسلامية، و...)
و... إلى آخر مشاكلنا إضافة كلمة "إسلامية".. فمن غير المعقول ونحن على
مشارف القرن العشرين أن نندع أحدنا بهذا التعبير ليعيدنا إلى سلوكيات العصور
الوسطى.. ) (2).

(1) الأيام بالأهرام في 1987/3/27.
(2) أخبار اليوم في 1987/3/28.
والسؤال المطروح علينا هو:
كيف يرسم قسم مقارنة الأديان - بكلياتنا ومعاهدنا - طريقه بين هذه المحاذير؟

1- أيكون ذلك بالانكباب على الإسلام دون تعرض لغيره؟
وأذن فكيف تتم المقارنة، وهي حق لأجهزة البحث العلمي على مستوى العالم، وهي ضرورة داخلية قائلة في نصوص الدين؟

2- أو بشرح العقيدة بكل أبعادها وعلاقاتها وملابساتها، مع المحافظة على الصلاة الطيبة: وطبيعة واجتماعية وفردية، وبخاصة في الإسلام الذي يحرص على الأمرين معاً، حرية تامة في توصيف العقيدة والحكم عليها وعلى غيرها، دون أن يمثل ذلك نوعًا من الإثارة، كالذي توهمه نصارى نجران، إذ ذهبوا إلى رسول الله يعابونه قائلين: (مالك نشتم صاحبنا؟ قال: ما أقول؟ قالوا: تقول: إنه عبد الله!) قال: (أجل، هو عبد الله ورسوله، وكلمه ألقاها إلى مريم العذراء البنت، فغضبوا).

إذن فمجرد قول المسلم عن عيسى عليه الصلاة والسلام: إن عبد الله ورسوله
أثار غضباً في الطرف الآخر.
فهل يمكن أن تدفعنا هذه الحساسية إلى السكوت عن تقرير ما هو صريح في الدين؟

إذن فتحلق معاهد الدين، ولفتت صفحات من الكتب، وليكف القارئ عن تلاوة بعض الآيات...
ولا أظن أن هذا مقصود لعاقل من الناس...
نعم، فلليركز الجدل بالحسن...

(1) انظر تفسير قوله تعالى: (وَإِذْ كَذَّبَ عِيسَ آدَمَهُ فَأَمَرَهُ غَلَابَةً) [العمران: 69] في كثير من التفاسير، ومنها تفسير آلولوي.
ولكن الجدل بالحسنى لا يعني طمس الحقيقة...
لأن الحقيقة سوف تعلن عن نفسها في نهاية الأمر، رضي الناس أم سخطوا.
والجدل بالحسنى في باب العقيدة - بالذات - لن يخلو قط من استعمال كلمات
هي من نبات هذا الحيدان ومفرداته التي لا غنى عنها، من قبيل هذا «إيمان»، وهذا
فكيف يمكن أن يقال: انكروا على أنفسكم ولا تعترضوا للأديان الأخرى؟
وإذا كنت تريد أن نضع قواعد لمثل هذه الأمور فيجب أن نتقبل داخل هذه
القواعد مثل هذه الأوصاف، ولا يصح أن ندخل في حساب الشجر أو في
حساب الإثارة.

لقد كان ذلك هو الأمر دائما في تاريخ العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب في
جميع العصور دون أن يستير ذلك شعور أحد أو يستفز فكرنا أو يهدد أمتنا.
لتنكن الحدود العقائدية حازمة بارزة كما يريده الله تعالى، لا معنى إطلاقا
لمتتبع هذه الحدود، لأن البعض وهو يعمل لتجنب الفتنة الطائفية يتطرق إلى هذه
الحدود وبيمها، وهناك مقالات كثيرة تنشر يربط أصحابها أن يحققوا السلام
الاجتماعي على حساب الحدود العقائدية، أو بالدخول في مسماوات من أجل
وضع ميثاق!!

إن الطريق إلى تجنب الفتنة الطائفية إنما يتحقق كما يحقق دائما في التاريخ
الإسلامي.
فنحن لسنا مقبلين على تجربة جديدة، ولكن لقد حقق هذا المجتمع وحققت
هذه الحضارة تجربتها، واستقرت الأوضاع، وساد السلام الاجتماعي دون
مساومة أو تمييز بين العقائدتين، وأن السلام الاجتماعي لا يكون إلا بشريعة الله عز
وجل التي تقرر أن لأهل النذمة ما لنا وعليهم ما علينا.
والحدود الأساسية التي قامت عليها هذه الرسالة تدور حول مسميات الدين
والإسلام والكفر بحسب ما تسمح به العقيدة الإسلامية.

أما عن استعمال كلمة "الدين" فإنها تأتي بمعنى:
أ- بالمعنى اللغوي الشامل: الذي يشمل الصحيح من الدين وغير الصحيح، 
وقد جاء هذا في القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها: "وَلَمْ تَرَ كَيْفَ نَشْرَّهُمْ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْبَيِّنَاتُ وَكَافَّرُواْ بِالْبَلَاغَةِ وَكَفُولَهُمْ نَ�ِيبُهُمْ مَالْكًا كَأَنَّهُمْ يَدْعُونَ يَحُبُّونَ [الشعرى: 21] وَكَفَّرَ بِالْبَلَاغَةِ وَكَفَّرَ بِالْبَلَاغَةِ وَكَفَّرَ بِالْبَلَاغَةِ وَكَفَّرَ بِالْبَلَاغَةِ [الكافرون: 10].
ب- ولكنها تأتي في المقام الأول بالمعنى الخاص الذي لا ينطبق إلا على الدين الصحيح، وهو هنا ليس إلا الإسلام، ديناً لجميع الرسل والأنبياء وخاصتهم
سيدنا موسى محمد.
ذلك هو صريح قوله تعالى: "فَإِنَّ الْيَوْمَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلامُ ۖ [آل عمران: 19]
وفي ذلك جاء قوله تعالى صريحاً: "إِنَا مَعَشِرُ الْأَنْبِيَاءِ دِينًا واحِدًا مُتَفَقٌ عليه.
و هنا لنا وقفة مع أهل الزيت والضلال والجهل الذين كانوا ومن زال بعضهم -
عدد الأديان السماوية (الحجة).
فالله أثبت أنه ليس في الحق إلا دين سماوي واحد هو الإسلام، اغتصبوا كلمة
الإسلام، ليلبسها ثوبًا مرفقًا من جميع الأديان التي سبق أن ادعوا تعددها فقالوا:
تلك الأديان إسلام!!
إنه إذا كان بعض هؤلاء ينوي أن يستغل حقيقة وحدة الدين، بأن يجعلها وحدة 
تنطوي على "التسعد"، فيجرون بذلك مجري المناقض الذي يقبلونه في عقيدة 
الألوهية نفسها، فإنه لا شأن لنا بهذا التحريف الذي لا تنتهي وسيلة عنهم.
وحدة الدين المعلنة واضحة.
دين سماوي واحد.
دين فرد.
دين واحد فرد هو الإسلام لا غير.

يجب أن يكون واضحاً أننا عندما ننادي - في مجال الدين الصحيح بوحدة الدين، فإنها لا تقولها ثم نسكت ولكن نقول: (وحدة الدين عند الله: الإسلام).

إذا نسوق ذلك باعتباره مصطلحًا يعني الوحدانية ولا يعني الشمول.

ليس هذا وصفاً "جامعاً".

ولكنه وصف "مانع".

أي قلنا: وحدانية الله الفرد، الصمد، لنفي ألوهية فرعون، واللات، وبوذا...

جاء من يقول لنا: لعلكم تفقدون وحدانية الله التي تجمع في داخلها فرعون واللات وبوذا؟

سبحان الله!

أي انحراف في المنطق هذا؟

إنه لبما يبعث على الأسف أن رذاؤًا من هذا المنطق المريض تسرب إلى أفلام ت تعرض للحديث عن الإسلام.

فواحد من هؤلاء يعب إلى الباحثين الذين دعوا إلى المفاصلة الكاملة مع أهل الكتاب ويرقول ردًا عليهم: "إن المسلمين في لغة القرآن هم المؤمنون بالله الواحد، وليسوا أتباع دين خاص..." (!) !!

وآخر مفهم - رحمه الله - في حديث له بالتلفزيون - بمناسبة الإسراء والمغراة - يعتبر أن ما جاء في حديث الإسراء والمغراة من قوله عن لقائه بالأنبياء وأخوهه لكل منهم "أخي موسى... أخي عيسى..." يعتبر أن هذا إعلان بالأرومة بين الإسلام والمسيحية!!

سبحان الله، أيجهل هؤلاء أبجديات العقيدة الإسلامية، وأن الإسلام لا يكون

(1) مقال الثلاثاء بالأهرام 1987/3/17 م.
بغير الإيمان بالرسول، جميع الرسل؟! (لا تفرق بين أحدٍ يُرسل).
[البقرة: 285]!
إذ يخلط بعضهم بين المقامين اللذين فرقنا بينهما في استعمال كلمة الدين: كلمة الدين عندما يراد بها المعنى اللغوي العام الذي يشمل الصحيح وغيره، وكلمة الدين عندما يراد بها المعنى الخاص الذي لا ينطبق عليه غير الصحيح ف يكون عندئذٍ خاصًا بالإسلام.
يخلط بين الاستعمالين فيقتصر شواهد من المقام الأول يستعملها في خصائص من المقام الثاني، وعندئذ يعلن "تعددية الأديان" في نظر الإسلام (١).
وإذا كان لأحد أن يعلن "تعددية الأديان" في نظر الإسلام بالمعنى الأول - ما يشمل الصحيح وغيره - فإنه ليس له باسم الإسلام أن يعلن هذه التعددية بالمعنى الثاني الذي يقتصر على الصحيح (إِنَّ الْمُبَيِّنَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ).
[العمران: ١٩].
و لكن الطامة تصبح كبرى عندما يصرح بعضهم لا بتعددية الأديان التي يمكن تفسيرها بالمعنى الأول وتنهي المشكلة، ولكن بـ "تعددية الأديان" التي لا تفهم إلا بالمعنى الثاني للدين، ويبصع هذا الباطل مفخرة من مفاخر الإسلام.
إن الاستقرار والتعايش وتجنب الفتنة لا يكون قط بمحاولات طمس الحدود ما بين العقليتين، فهذا لا يرضي أيًا من الطائفتين، لأنه يعترف عليها ما. لتكن الحدود العقدية حاسمة بارزة، كما يريدها الله، وكما يقررها الطرفان كل من جانبه.
أما الطريق إلى تجنب الفتنة فقد كان دائمًا وسيكون بضمان من شريعة الله التي

(١) انظر جريدة الوفد في أبريل و مايو ١٩٨٧ م.
تعطي أهل الكتاب حقوقهم الاجتماعية كاملاً بمفتيضهم بالذمة.

«لاهم ما لنا وعليهم ما علينا».

ومن هنا ساد الأمن والسلام والتسامح.

لقد بدأ تعامل الإسلام مع أهل الكتاب على شكل مناقضات لعقائدهم في مرحلة مبكرة من عهده المكسي، كما تدل على ذلك سورة الفاتحة الآيات 146 من سورة الأنعام، 139 إلى 133 من سورة الأعراف، 94-93 من سورة بونس و 18 من سورة النحل، 1-8 من سورة مريم، وفيها الرد على اليهود في افترائهم على مريم، ورد على النصارى في دعواهم بأن المسيح ابن الله، وآيات مكية أخرى كثيرة تعاملت مع أهل الكتاب على أنه منحرعون في المقيدة قبل أن يهاجر النبي ﷺ إلى المدينة.

وإذا هذا الخط العقدي لا يعارض الخط القانوني الذي ظهر على شكل معاهدات بين المسلمين وأهل الكتاب، وقد نصت المعاهدة الأولى على حرية أهل الكتاب في ديارهم وعبادتهم وتعاملهم مع المسلمين، إذ جاء فيها: دينه من نعماً من بهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وإن بهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.

وعلى هذا المنوال جرت معظم المعاهدات بين أصحاب النبي ﷺ وبين أهل البلاد المفتوحة، حيث أعطت هذه المعاهدات لأهل الكتاب ولغيرهم الحرية العقدية والاجتماعية والاقتصادية.

ومعاهدة النبي ﷺ مع نصارى نجران هي المثل المعتدى، وقد جاء فيها أن الرسول ﷺ قد أعطهم ذمة الله على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعتهم ورهابيتهم واساقتهم وشاهدهم وغايهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وعلى ألا يخشوا أو يشعروا، ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقاً فالنصف، على ألا يأكلوا الربا، فمن أكل منهم الربا نذمة محمد ﷺ منهم بريئة.

وهذا النموذج الرائع من التعاقد مع أهل الكتاب نراه في معاهدات خالد مع أهل
الحيرة، ومع أهل عينات، كما نجده في معاهدة عمر (رضي الله عنه) مع أهل القدس، ونجد في معاهدة عمرو بن العاص مع أهل مصر.
أما ما عرف بالشروط العمرية، فقد تراوحت بين القبول والرد عند علماء المسلمين والرد هو الصحيح.
إذنا نؤكد أن الحسم في قضايا العقيدة الصريحة الواضحة شيء والسلام الاجتماعي شيء آخر، وأنه يمكن الجمع بين الأمرين دون إخلال بواحد منهما، بل نقول: إن الإخلال بواحد منهما يضر بالآخر بالضرورة.
ومن هنا فإننا نقرر بوضوح الحدود الثابتة المعلومة من الدين بالضرورة، والتي نتخذها في صلاة في دراستنا العقدية، ومقارنات الأديان (1)، وهي تتلخص في الأمور الآتية:
1- لا يطلق لفظ الدين - وكذا لفظ الشريعة - بالمعنى الحق القبول عند الله إلا على الإسلام، وإن كان من الممكن إطلاقه بالمعنى اللغوي العام الذي يشمل الحق وعده.
2- الإسلام هو الدين الوحيد الفرد المؤكد من الله تعالى على جميع الرسل، ابتداء من آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ.
3- الإسلام لا يعني التوحيد فحسب، وليس كل من كان موحدًا كان مسلمًا أو متفقًا بدين الله، ولكن الدين - الإسلام - لا يكون إلا بالإيمان بالله ورسله جميعًا؛ غير تفريق بين أحد من رسله.
4- لا إسلام ولا دين مقبولًا عند الله بعد بعثة محمد ﷺ إلا بالإيمان به وباتباع كل ما جاء به.
5- القرآن والسنة الصحيحة هما المصدران الإلهيان الوحيدان المؤقتان اللذان يقاس إليهما كل خبر عن رسالتين الأنباء السابقين.
(1) أشرف أستاذنا الدكتور يحيى هاشم على رسالة دكتوراه بعنوان "تأثير اليهودية بالأديان الوثنية" للدكتور فتحي محمد الزغيبي.
6 - ما عدا الإسلام فإنما هو ديانات وضعية بقي ففي بعضها بعض آثار من الوحي لا تعرف إلا بالقياس إلى القرآن والسنة.

7 - القرآن صحيح قاطع في وصف عقائد أهل الكتاب.

8 - القرآن لا يقسم لمشير أصحابها إلى الخروج في النار.

9 - الإسلام يسمح بوصف أديانهم بأنها سماوية.

10 - الإسلام قاطع في معاملة أهل الذمة بقاعدة أهل ما لنا وعليهم ما علينا مع بعض الفروع، مما لا يضير بهذه القاعدة الكلية.

11 - إن هذه الأمور قطعية.

12 - إن السلام الاجتماعي الحقيقي لا يتم إلا من طرفيهما.

وهو لا يمكن أن يتم بتحريف العقائد؛ لأن هذا التحريف مرفوض من جميع الأطراف.

والمكتبة الذي نقدمه يعد من أفضل الكتب التي تحدثت عن هذا الموضوع، ولا أبالغ إن قلت إنه بمنهجه يعتبر جديدا على المكتبة الإسلامية وبعنوانه وبموضوعه يعتبر فتحا جديدا في علم مقارنة الأديان، إذ أن المؤلف لم يكتف بما هو مسطور في بطون الكتب بل ارتحل لمقابلة علماء الأديان - موضوع البحث - وحوارا كلا في دينه واستفسر منهم عن فهمهم لهذه القضايا، ولعل هذا الأسلوب في البحث يعد إلى الدهن تلك الجهود الكبرى التي كان يقوم بها الرسائل الأول من العلماء في البحث العلمي، والتي كانت تقوم على الترحال من
أجل التثبت والحصول على الحقيقة من مصدرها وإن كنت أُعرف القارئ بهذه الجهود التي بذلها المؤلف لألقي من خلالها ضوءًا على منهجية البحث، إلا أن هذا ليس غريباً على المؤلف الذي أعرفه من خلال علاقتي العلمية به منذ كان طالباً في الفرقة الأولى في كلية الدعوة الإسلامية بطنطا، حيث كان وقتها، ومن خلال منهجه العلمي في التلقي وجدليته المنهجية، يبشر بيزوغ نجم جديد في سماء الثقافة الإسلامية، ومدافعاً لا تلين له قناة في الذروة من حياء الإسلام الحنيف.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل
أ. د. يحيى هاشم حسن فرغل

***
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

ومنذ تفتحت عيناي على المعرفة وأنا شغوف بكل دراسة مقارنة بين شيء وآخر، وأجد منتعة في الكشف عن أوجه الاختلاف والانفتاح بين الفرق والمذاهب، إلى أن شرفني الله عز وجل بالالتحاق بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا - حيث وجدت ضالتني في ماديا مقارنة الأديان التي كانت تدرس لنا على مدى أربع سنوات - وكانت المؤلفات التي تدرس لنا تجذبني إلى فهمها وتحصيلها والحصول على أعلى الدرجات فيها، وظلت رغبتني وحبي لعلم مقارنة الأديان ملازمًا لي أثناء دراستي العليا، خاصة عندما كنا ندرس موضوعات المقارنة بين الإسلام واليهودية والنصرانية، وقُرِئَت عند بعض المؤلفين القدامى والمحدثين أن اليهود ليس عندهم بحث في التورة ولفت نظرتي ذلك; إذ كيف يأتي دين من عند الله وليس فيه ما يتعلق ببعض الإنسان بعد موتاه.

ومما لفت نظري أيضًا ما قرأته عن النصارى من أن المسيح هو الذي يحاسب الناس في الآخرة.

كل هذه الأشياء كانت تدور في خاطري أثناء دراستي العليا. وعند التسجيل للماجستير استخرت الله وعرضت على الأستاذ الدكتور/ بحى هاشم أن أسجل رسالة الماجستير في موضوع اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ولقد
شهد من أزري وطلب مني أن أبحث عن هذه القضية، وقامت بالبحث عن هذا الموضوع في كتاب العقيدة والأديان، وشرح الله صديري لهذا الموضوع، خاصة أنني لم أجد ملخصًا قد تناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة، فكنت خطة عرضتها على الأستاذ الدكتور/ يحيى هاشم الذي من الله عذب بقبوله الإشراف على الرسالة، ففتحها وصاغها صياغة علمية، وكان له الفضل بعد الله في تخطيط مهجهما وتحديد أهدافهما وإرشادًا إلى مراجع البحث.

ولقد قسمت الرسالة في البداية إلى بابين: باب يتعلق بالاعتقاد باللهم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام، وباب يتعلق بأثر الاعتقاد باللهم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام.

ولكن بعد أن تولعت في البحث وجدت أن الباب الأول بفصله ومبادئه يربط على الأزمة صحيحة والساب الثاني يقترب من هذا. وكانت هذه مشكلة بالنسبة لي من ناحية الكم ومن ناحية الكيف، إذ إن البحث على الوضع المثير إليه يحتاج إلى فترة زمنية أكبر بكثير مما هو محدد له، وطرحته المشكلة على أستاذ الدكتور يحيى هاشم مقتراها الاكتفاء بالباب الأول، حتى يتسنى معالجة مبادئه معالجة علمية دقيقة، فطلب مني بعض البحوث، وبعد قراءتها أقنعت فضيلته بما اقترحته عليه وأصبحت الرسالة بعد التعدل تتكون من مدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

في المدخل: تحدثت عن اللم الآخر في الديانات الوضعية واقتصرت منها على المصرية القديمة والهندية والفارسية، وأثبتت من خلال النصوص أن اللم الآخر عنصر أساسي في عقيدة المصريين والهنود والفارس، وردت ذلك الاعتقاد إلى الفطرة وإرسال الرسول، لا إلى النبوع العقلي والتفوق الفكري عند هذه الأمم، وقبل أن أتحدث عن واقع يوم القيامة مهدته بمجهود وضحى فيه المقصود باللهم الآخر في الإسلام والنصرانية واليهودية.

والفصل الأول: عرضت فيه واقعيات يوم الآخر، بدءًا من الموت إلى الجنة
أو النار: فتحدثت عن الموت في التصور الإسلامي والتصور النصارى والتصور اليهودي، وبينت الفروق الجوهرية بين الإسلام والنصرانية واليهودية، وكيف ربط النصارى واليهود بين مفارقة الإنسان للحياة عن طريق الموت، وعلاقة ذلك بخطيئة آدم عليه السلام، وبينت وجهة نظر الإسلام من مصدرية القرآن الكريم والسنة وردت على النصارى واليهود في هذا الشأن، مبينًا أن خطيئة آدم لا يتحملها إلا هو.

ثم تحدثت عن البرزخ وعلامات الساعة بين الإسلام والنصرانية واليهودية، وأوضحت مواقف التصور النصراني للتصور الإسلامي في بعض ما يتعلق بعلامات الساعة، وردت ذلك إلى مواقف بقايا الصحيح في الأناجيل مع صريح القرآن الكريم، وأوضحت أن علامات الساعة مقتضبة عند اليهود وليس فيها تفصيلات مناسبة مثل الإسلام والنصرانية.

ثم تحدثت عن البحث بين الإسلام والنصرانية واليهودية، وتوقيع كثيرة عند البحث في تصور اليهود، وكيف يوقفون بين خلو التوراة من الإشارة إلى اليوم الآخر واعتقادهم بالبحث، وفندت رأي ابن كمونه اليهودي في هذا الصدد، وعقبت على ذلك بأن السبب في خلو التوراة من الحديث عن البحث هو التحريف الذي مارسه علماء اليهود وأحبارهم بالنسبة للتوراة... وبعد ذلك تحدثت عن الحشر في التصور الإسلامي، وكيف أن النصارى واليهود لا يفرقون بين البحث والحشر.

ثم تحدثت عن الحساب، وبينت ابتهاج النصارى في أن المسيح هو الذي يحاسب البخل يوم القيامة، وفدت هذا، وناقشت أحد القضاة في إدعته: أن السنة تشهد على أن المسيح هو الذي يحاسب الناس في الآخرة استنادًا إلى قول الرسول ﷺ: "ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا".

وبينت الافتراز الذي اقترحه هذا النفس ضد الإسلام وصد السنة، وبينت أن المسيح ينزل ليحكم بشرع الرسول ﷺ، وهذا الحكم في الدنيا لا في الآخرة.
وتحدثت عن صحائف الأعمال التي يحاسب الإنسان على أساس منها، وموافقة النصارى واليهود للتصور الإسلامي في هذا الصدد.

ثم تحدثت عن الميزان والحروض وكيف أنهما مما خص الله به أمة محمد ﷺ، ثم تحدثت عن الشفاعة، وكيف أثبت القرآن الكريم والسنة الشفاعة للرسول ﷺ، وتحدثت عن أنواع الشفاعة وعن الشفاعة العظمى للرسول ﷺ، وعن شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمه، وعرضت رأي المعتزلة في هذا الصدد، ورد أهل السنة عليهم.

ثم انتقلت للحديث عن الشفاعة عند النصارى، وراعني ما وجدت من تصورهم للشفاعة والسلطة الكلامية التي أعطيت للكهان من غفراً للخطايا وعفو عن الذنوب، وأنه لا شفاعة عنهم في الآخرة. وكانت هذه مشكلة بالنسبة لي فالمكتوب في كتبهم ومراعاتهم لا يذكر شيئاً عن الشفاعة في الآخرة، فأردت أن أسجل في البحث أنهم لا يعتقدون في الشفاعة في الآخرة.

وعرضت الأمر على الأستاذ الدكتور/ يحيى هاشم المشرف على الرسالة، فاقتُرح أن أقابل أحد علمائهم، وبالفعل قابلت أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي بالكنيسة القبطية، وعرضت عليه أن يدلي على مراجع تحدث عن الآخرة بوجه عام، والشفاعة بوجه خاص. وتحدث الرجل عن الآخرة في التصور النصراني والخطايا التي لا يعفى عنها، ومنها تحدث في أن الشفاعة في الدنيا لا الآخرة، وقسم الذنوب التي يعفى عنها في التصور النصراني والخطايا التي لا يعفى عنها، وكيف أن الإنسان إذا مات فإما أن يكون في النار وإما أن يكون في الجنة أبد الآبدين، وفهمت من حديثه أنه لا شفاعة في الآخرة، وساعدني هذا على الحكم على كثير من النقاط المثارة في البحث عن الآخرة في التصور النصراني مثل: عذاب القبر، وسؤال الملكين، والميزان، والصراط، وأن الأنجيل لم تحدث عن هذه التفصيلات.

ولم أكتف بمقابلة أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي بالكنيسة
المقدمة

القبطية الذي يمثل طائفة الأرثوذكس، فذهبت إلى مدير معهد الدومينكان
للدراسات الشرقية الأب جورج شحاتة قنواتي، لأعرف رأي الكاثوليك في بعض
النقاط المثارة في البحث، ولم أجد ما كنت أنشد من المعرفة لدى الرجل، بل
وصرفني عن البحث في علم مقارنة الأديان، وأناحلي إلى أحد الرهبان الفرنسيين
في المعهد وكانت اللغة عائقًا دون حدوث الراهب معي فيما يتعلق بتصور
النصارى الكاثوليك عنا الآخرة، ولكنه أتاح لي فرصة الاطلاع على مكتبة المعهد،
وعثرت فيها على بعض المراجع التي تحدثت عن الآخرة في نظرية الكاثوليك.
وكانت صعوبة العثور على المراجع تشكّل عائقًا لي في مواصلة البحث وسبر غور
كثير من النقاط المثارة في البحث في مجال المقارنة، فذهبت إلى دير سانت
كاترين بجنوب سيناء - وهو دير تاريخي قرأته أنه يحوي الكثير من المراجع
والخزفوات - فذهبت بمثابة من الكلية ولكن رفض القائمون على الدير
والمكتبة تقديم أي عون علمي فيما يتعلق بالبحث، إلى حد أنهم لم يوافقوا أن
يتحدثوا معني شفويًا في موضوع الآخرة في النصوص النصراني، وأبلغت راجعًا أبحث
عن مصادر اليوم الآخر في مظانه عند النصارى واليهود، وبذلت قصارى جهدي
في هذا الصدد، وأسجع أن عدم توافر المصادر اليهودية كانت عائقًا لي عن
البحث في كثير من الأمور المتعلقة بالبحث ولقد بذلت كل ما أستطيع من جهد
وحlsi ذلك.

ثم تحدثت بعد ذلك عن الجنة والنار بين النصرانى واليهودي وعرضت أوجه الاتفاق والاختلاف والتناقض الذي وقع فيه النصارى
واليهود في تصويرهما للجنة والنار، وخلوها من الطعام والشراب والتكام وسائر
المتع، بالرغم من تصريح المعهد القديم بعض الإشارات، وذكذ المعهد الجديد،
وسجلت هذه التناقضات، وتحدثت عن كثير مما انفرد به الإسلام من حكم أهل
الفترة وأطفال المسلمين، وأطفال المشركين. وتحدثت عن الخلو في الجنة
والنار في الإسلام، والخلاف بين أهل السنة، والعصرين في خروج الموحدين من
النار، وبينت تصور اليهود والنصارى للخلود في النار.

ثم بعد ذلك تحدثت عن رؤية الله بين الإسلام واليهودية والنصرانية، وعرضت رأى أهل السنة ورأي المعتزلة والرد عليه من أهل السنة، ومدى التخبط والاضطراب الذي وقع فيه النصارى في عرضهم لرؤية الله، من نفيهم مرة لرؤية وإثباتهم لها، ثم تساؤلت من الذي يرغم النصارى أنه يرى يوم القيامة هل هو الله؟ أو المسيح؟ أم هما معًا؟ وعينت الخلط والاضطراب الذي وقع فيه النصارى في هذا الصدد.

ولاحظ أن عناوين الرسالة كان يقتضي أن أبدأ بالاليهود ثم بعد ذلك عند النصارى ثم بعد ذلك عند المسلمين، ولكن بعد البحث أثرت أن أبدأ أولًا بالإسلام ثم بعد ذلك بالنصرانيا ثم بعد ذلك باليهودية، وذلك لأن هناك بعض واقعات اليوم الآخر لا توجد عند اليهود ولا عند النصارى فلما بدأت بما عند اليهود أولاً سأبدأ ببعض الواقعات من فراح وأنتهى إلى واقعة في الإسلام أتحدث عنها، ولاحظ أن هذه الطريقة لن تمكنني من إجراء المقارنة على الوجه المرجو، فعرضت الفكرة على الأستاذ الدكتور/ حبيب هاشم المشرف على الرسالة ووافقني عليها، وأصبحت فصول الرسالة وبحثها على الترتيب الحالي.

أبدأ بالإسلام باعتباره الدين الذي أشتمل على واقعات اليوم الآخر وتفصيلاته، ثم أعرض للتصور النصراني وأبين مدى الاتفاق أو الاختلاف مع الإسلام، وكذلك الأمر في التصور اليهودي، فإن الإسلام هو المحور الذي أرتكز عليه وأحتكم إليه عند اختلاف ما عند النصارى واليهود مع ما جاء به الإسلام.

وأخيراً هذا ما وقفيت الله إليه في عرض اليوم الآخر بين الإسلام والنصرانية واليهودية، فإن كنت قد أتسبت فأسأل الله أن يتقبل هذا الجهود خالصًا لوجهه، وأن يكفر به عنى من سينافتي، وإن كنت قد أخطأت فالكمال لله وحده، وأسأل الله أن يعطيني أجر المجتهد.

وأما توقيتي إلى الله عليه توكلت وإليه أتبر.
مدخل
اليوم الآخر في الديانات الوضعية
ويشتمل على ثلاثة مباحث
المبحث الأول: اليوم الآخر عند المصريين القدماء.
المبحث الثاني: اليوم الآخر عند الهنود (البراهمة).
المبحث الثالث: اليوم الآخر عند الفرس.
اليوم الآخر في الضمير البشري

بالبحث والتنقيب في ديانات البشر القديمة وعقائدهم الماضية وجد أن الاعتقاد بخلود النفس سمة عامة وقاعدة مشتركة بين الأمم كلها. يقول الأستاذ سيد قطب: «إن جميع الرسالات السماوية من لدن آدم عليه السلام إلى محمد عليه السلام والسلام قد تضمنت عقيدة اليوم الآخر مع تضمنها وحدانية الله سبحانه» (1).

فكل الأمم التي وجدت على ظهر الأرض منذ أن استخلف الله آدم فيها كانت تعرف شيئاً عن الله، وكذلك تعرف المصير الذي ينتهي إليه أفرادها، وهذا ما تدل عليه البحوث الحديثة.

ثبت الدراسة المقارنة للأديان أنه وجد - حتى عند بعض القبائل المنعزلة - حسن ديني، يدفعهم إلى المناقشة والتفكير في الأسئلة مثل: لماذا ولدنا؟ وما هو الهدف من حياتنا؟ وما هي الغايات التي نخدمها ونسعى إليها؟ وأين سنذهب بعد الموت؟

يقول الدكتور «دراز»: «إن الحقيقة التي أجمع عليها مؤرخو الأديان هي أنه ليست هناك مجموعة إنسانية بل أمة كبيرة ظهرت وعاشت، ثم مضت دون أن تفكر في مبدأ الإنسان وفي مصيره وفي تحليل الكون وأحداثه» (2).

(1) مشاهد القيادة في القرآن ص 14 للأستاذ سيد قطب، الطبعة السادسة الناشر دار المعارف 1980.
(2) الدين ص 34 - الدكتور/ محمد عبد الله دراز، الله ورد الوراء، مطبعة السعادة 1969 م.
وهنا نجد أن القرآن الكريم يذكر أنه ما من أمة إلا وأرسل الله إليها نبيًا ينذرهم.

وبنفهم تعاليم الله التي على رأسها وحدانية الله وعقيدة اليوم الآخر.

ولكننا نجد أن كثيرًا من الأمم يعرض عبدهم اليوم الآخر في صورة غير واضحة

وليس على الصورة التي جاء بها أنباء الله إلى تلك الأمم. والنسب في ذلك أنه

كما يحدث بعد كل رسالة أن ينحرف الناس عن استقامة العقيدة، فيخلطوا بها

أوشناء (1) من الوثنية وتصوراتها السابقة على الرسائل السماوية أو اللاحقة.

ومن هذه الأوشاب الخليطة كانت تتألف عقائد وثنية جديدة. وهذا ما يجعله

الدبر في كثير من الأصول العقائدية والأخلاقية التي أتت بها الرسائل

السموية لهذه الأمم.

وسوف نعرف فيما يلي:

- تصوير الديانة المصرية القديمة لليوم الآخر والتفاصيل المختلفة التي
  اعتقدها المصريون القدماء.

- تصوير اليوم الآخر عند الهنود وبخاصة من بين طوائفهم «البراهمة».

- تصوير اليوم الآخر عند الفرس.

- ذلك وفقاً للتاريخ.

وسوف نقتصر في هذا التمهيد على هذه الديانات الثلاث باعتبار أنها

استوعبت اعتقاد كثير من البشر في فترات طويلة من التاريخ بما يصلح مدخلاً

لتقديم دراسة مقارنة عن:

اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية والإسلام؟

* * *

(1) الأوشاب: الأوشناء والأخلاق واحد وشب أنظار القاموس المحيط ج 1 ص 142
المبحث الأول

اليوم الآخر عند المصريين القدماء

كانت عقيدة الخلوص تحتل مكانًا كبيرًا في نفوس المصريين، إذ إنه لا يكاد يوجد مصدر تاريخي عن المصريين القدماء إلا وفكرة الخلوص والحياة بعد الموت تحتل مكان الصدارة فيه، لما لهذه الفكرة من أهمية بالغة. يقول المؤرخ اليوناني هيرودوت: "إنه المصريين هم أول الشعوب الذين اعتقدوا بخلود النفس". ويعلق صاحب كتاب الأدب والدين على عبارة هيرودوت، بقوله: "عبارة هيرودوت، تشرحها الأعمال الدينية التي قام بها المصريون استعدادًا ليوم الحساب، فلقد كانوا يعتبرون بخلود النفس بعد الموت، وورد في النصوص المنقوشة على الأهرام والتي يرجع تاريخها إلى الأسر الأولى أن النفس خالدة لا تموت أبدًا، وفي كتاب الموتى أن الميت يقول: "أنا لا أموت مرة ثانية في العالم الثاني...".

نحن مع هيرودوت في أن المصريين اعتقدوا بخلود النفس ولكننا لسنا معه في أنهم أول الشعوب الذين اعتقدوا في الحياة الآخرة لأمرين:

الأمر الأول: أن المصريين ليسوا أول الشعوب التي وجدت على ظهر الأرض.

الأمر الثاني: أنهما من أمة إلا وأرسل الله فيها نذيرًا يعلمهن العقائد الأساسية.

(1) نقلًا عن الأدب والدين عند قدماء المصريين ص 101 للأستاذ أنطون فلوري ذكرى أمنى المتحف المصري - الناشر مطبعة المعارف ومكتبتها. الطبعة الأولى 1963.
(2) نفس ص 107.
اليوم الآخر في الضمير البشري

التي منها عقيدة اليوم الآخر يقول تعالى: "إِنَّا أَرْسَلْنَا بِشَرِّكَانِكُمُ الْبَشِيرَ وَالْبَشِيرِ وَإِنْ يَنْفَعَكُمُ الْفَتْحُ إِلَّا خَالِصَةً وَمَدِيرًا" [سورة البقرة: 24]. اللهم إلا إذا كان المؤرخ اليوناني يقصد أول الشعوب التي وصل إليها خبرها ودرس عقائدهم.

يقول «ويل ديورانت» في معرض حديثه عن الديانة المصرية القديمة: «وكان أمهم ما يميز هذا الدين توكيداً فكرة الخلوة» (1).

والذي يكرره ديورانت، يؤكد أنه «أدولف أرمان» بقوله: «الن كان الشعب المصري يختلف في شيء عن غيرهم من الشعوب فإنما ذلك في المنايا التي كان يوجهها إلى موتاه» (2).

ويعد الشيخ «أبو زهرة» أن أمور ما في العقيدة المصرية القديمة اعتقادهم بالحياة الأخرى، وأنها الباقية بعد هذه الدنيا الثانية، فقد كانت الدنيا في نظرهم فترة قصيرة بعدها حياة لها أمد غير محدود، بل إن الدنيا ليست إلا معروضاً إلى ذلك الخلوة (3). ولا يعني ذلك أنهم أهملوا الحياة الدنيا وتركوها، كلاً، بل إن فكرة الحياة الآخرة سيطرت عليهم تماماً، ومهما يكن من شيء فإن التاريخ نقل لنا صورة خلوة النفس عند المصريين أوضح من سائر الأمم الأخرى.

وإن تغلغل عقيدة الخلوة في نفوس المصريين هو ما يفسر لنا سر اهتمامهم بكل ما من شأنه أن يخلد ذكرى أو يساعد في ظنهم على حفظ أjinاسهم للحياة الأخرى، ولذلك يعزو صاحب كتاب الأدب والدين المقابل المعبر المصري القديمة إلى أنه ليس حب التظاهر والكبرياء هو الذي جعل الأقدام يصنعون قبوراً خالدة وأجناداً غير تابعة للمحور والزوايا، وإنما السبب الحقيقي هو اعتقادهم في خلوة النفس في الحياة الآخرة (4).

ويبدو أن تعديل مقبول إلى حد ما: إلا أننا لا نستطيع أن نلغِي حب التظاهر والكبرياء

(1) قصيدة الضياء - الجزء الثاني المجلد الأول ص 124 - ترجمة محمد بدران.
(2) ديانة مصر القديمة - نشأتها وتطورها ونهائيتها - تأليف أدولف أرمان - ترجمة الدكتور/ عبد المنعم بكر وأخرون - الناشر مصطفى الباجي الحسين.
(3) مقالات الأديان القديمة - الشيخ محمد أبو زهرة ص 16 الناشر دار الفكر.
(4) الأدب والدين عند قدماء المصريين ص 107.
من تفكيرهم أثناء اهتمامهم بتلك الأشياء، بدأ يهم في فترة مبكرة جدًا في تاريخهم كانوا يبدعون موتاههم في مقابر متواضعة قبل الأهرامات ومقابر الملوك. يقول "الأنبا ي нужس"، في حينه عن اليوم الآخر لدى المصريين: "وليست الأهرامات ومقابر الملوك والأمراء هي الدليل على ذلك، بل إن المصريين منذ فجر التاريخ اعتقدوا في البعث والخلود، فقد اكتشف العلماء مقابر منذ فجر التاريخ ووجدوا أن المصريين كانوا يبدعون الموت في تلك الفترة المبكرة جدًا من تاريخهم في وضع القرفصاء، ركبه قرب ذقنه، وهو الوضع الذي يكون عليه الجنين في بطن أمه". (1)

ويستخلص "الأنبا ي нужس"، من طريقة دفن المصريين القدماء موتاههم بهذا الوضع بأنه تعبير قوى على البعث، وأن الإنسان سيحيا ثانية كما خرج من أحساء بطن أمه. (2)

والذي أريد أن أصل إليه هو أن المصريين اعتقدوا في البعث ودفنوا موتاههم في فجر تاريخهم بطريقة تشعر بأنه سوف يحيا ثانية، ولما تقدموا وتطورت حضاراتهم أدخلوا عنصر التظاهر وحب الفخور والكبريانة مع اعتقادهم بالخلود والحياة الأخرى، فبنوا الأهرام وتركوا لنا هذه الآثار التي يقف الإنسان أمامها مبهورًا من روعة بنيانها، ولا يمكن أن يكون المقصود منها حفظ الأحياء فقط ولكن إظهار القوى والفخور والكبريانة.

***

(1) السماء للأنبا ي нужس ص 28.
(2) نفسه.
الأسس التي قامت عليها فكرة الحياة الآخرة عند قدماء المصريين

قبل أن نتحدث عن التفصيلات التي نقلت إليتنا عن المصريين القدماء من ناحية تصويرهم للبعث والحساب والمحاسبة وكيفيته، والتعليم والعذاب نحاول أن نلقي الضوء على الأصول التي بنوا عليها الاعتقاد بالحياة الأخرى.

أولاً: إرسال الرسل:

في التصور الإسلامي نجد أن المصريين القدماء كجماعة بشري عورة الأرض فترة من الزمان، وكأمة من الأمم، أرسل الله إليهم رسلًا مبشرين ومنذرين، والقرآن الكريم يجبر بذلك في قوله تعالى: "إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ يَلَّهُبُ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنَّ مِنْ أَمْرِنَّ أَلَّا خَلَّاءٌ فِيهَا نَذِيرًا" [قاضر: 24].

والنص القرآني يوضح أنه ما من أمة إلا وجاء إليها نذير أي نبي أو رسول يعفيهم بالله وأنهم سيرجعون إليه ليجازيهم عن أعمالهم. ويعتقد أن المصريين كأمة من الأمم أرسل الله إليهم رسلًا مبشرين ومنذرين، وعقيدة اليوم الآخر من الأصول التي يأتي بها كل رسول.

ولذلك فإن عقيدة المصريين في الحياة الآخرة مصدرها الولي من الله عز وجل، ويتقدم الزمن نسي الناس العقيدة الصحيحة وانحرفت عنها منتقين منها أو زائدين عليها، ولكن الأصل عنهم مرجعه إلى الولي.

وقد أخبرنا القرآن الكريم أن يوسف عليه السلام دعا المصريين إلى الوحدانية وإلى اليوم الآخر. ويقول تعالى على لسان يوسف: "إِنِّي تَرْكَتْ مِنْ أَيْدِيِّي نِعْمَةً لَّا يُؤْتِينَهَا حَكَمُهُمَا إِلَّا يَعْبُدُونَنِي وَيَسْتَفْعَلُونَ مَا كَانَ لَا نُضِرُّهُ بِهِ وَيَقْفُونَ عَنْ أَصْحَبِ السَّيَامِ لَا يَشْكَرُونَ" [بوبسو: 32-38].

ويعلق الأستاذ سيد قطب على هذا الآية بقوله: "وذكر الآخرة هنا في قول يوسف بقرر أن الإيمان بالأخرى كان عنصرا من عنصرين العقيدة على لسان الرسل جميعاً منذ فجر البشرية الأولى، ولم يكن الأمر كما زعم علماء الأديان المقارنة أن تصور الآخرة جاء إلى العقيدة بجمالها متأخرًا. لقد جاء إلى العقائد الوثنية الجاهلية متأخرًا فعلاً، ولكن كان دائمًا
اليوم الآخر عند المصريين القدماء

عنصرًا أصيلًا في الرسالات السماوية الصحيحة (1).

ويقول الشيخ أبو زهرة: "ويظهر أن صدى دعوة يوسف استمر أجيالًا بفعل في النفوس المصرية" (2). فهناك تعاليم من الله على لسان الرسل، وانحراف من الناس عن هذه التعاليم.

ثانيًا: مظاهر الحياة الدنيا;

يذهب بعض الباحثين إلى أن الذي حدا بالمنصفين لكي يعتقدوا في الحياة الأخرى أن هذه الدنيا متعتك بتنازع فيه الخير والشر والبر والفاجر، وكثيرًا ما نرى في هذا المعترك الشر ينتصر على الخير والفساق على الأبرار، فلو لم يكن هناك يوم كله للخير وكله على الشر، يحاسب فيه المؤمن، على إساءته ويكافأ المحسن بإحسانه ما استقام العدل الإلهي، فمن العدالة أن يكون يوم آخر يكون للأبرار على الفجرا، والجهال للاشرار، وأن تكون الحياة البدائية ليستنصر فيها الخير وينتصف فيها من الشر (3). وهذا الرأي يرجع إلى الأساس الأول وأقصد به التعاليم التي جاءت إلى المصريين عن طريق الرسل إذ لا يمكن أن تكون مظاهر الحياة الصراع بين الخير والشر هو الذي ولد فكرة الحياة الأخرى عنهم، ذلك لأن الدين هو الذي يحكم على الأشياء بالخيرية أو الشرية، والوحي هو الذي رسخ هذه الفكرة في نفوسهم.

* * *

(1) في ظلال القرآن ص 1988 ج4 للأستاذ: سيد قطب - الناعر دار الشرق الطبية الثامنة
(2) الديانات القديمة ص 8 1979
(3) الديانات القديمة ص 16 17
تفاصيل ما بعد الموت
أولاً: البعث

اهتمام المصريون بالبعث وما بعده اهتماماً شديداً، لدرجة أنهم ألفوا كتاباً سموهُ كتاب الموتى، أودعوا فيه الأشياء التي إذا فعلها الميت ينجر من العذاب.

يقول داود ديرورانت: "كان أهم ما يميز هذا الدين تركيز فكرة الخلود، فالصربين يعتقدون أنه إذا أمكن أن يحيا النيل، ويحيا النبات كله بعد موتهم فإن في مقدر الإنسان أيضًا أن يعود إلى الحياة بعد موته" (1).

ولكن الصربين رغم اعتقادهم بفكرة البعث وسيطرتها عليهم تصوروها بصورة حسية ساذجة، فهم يتصورون أن الميت حينما يحيا ويتناول إلى ما يحتاج إليه الأحياء من طعام وشراب.

ويقول الشيخ "أبو زهرة": "وكانوا يعتقدون أيضًا أن الميت أو روحه في العالم الآخر يحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء في هذه الدنيا من طعام وشراب وما إلى ذلك من طعام الأحياء في الدنيا" (2).

وتعليقنا على ما أوردته "ديرورانت وأبو زهرة" يبرز امرين:

الأمر الأول: أن اعتقاد الصربين بالبعث بعد الموت عقيدة سماوية، لا جدل في ذلك بعد الذي أوردوها من الآيات القرآنية التي تثبت إرسال نذير لكل أمة من الأمم.

الأمر الثاني: أنه بفقدان داود الرسول كانت تختلط العقيدة السماوية بالأوشياء الوثنية فتضيف أشياء إلى العقيدة الصحيحة أو تنقص أشياء أخرى، كما فعل المصريون في تصورهم لتفاصيل ما بعد الموت.

(1) قصة الحضارة الجزء الثاني - المجلد الأول ص 162.
(2) الديانات القديمة ص 17.
ثانيًا: الحساب والجزاء:

كما اعتقده المصريون في الحياة بعد الموت اعتقدوا كذلك في الحساب والجزاء، يقول الدكتور غلاب: «المصريون هم أول قوم اعتقدوا ترتيب الحياة الأخروية على الحياة الدنيا» (1).

ولا يأتي اعتقادهم هذا إلا بناءً على إيمانهم بالحساب والجزاء، فكانوا يعتقدون بالحساب على ما قدمه الإنسان في الدنيا والجزاء عليه، إن خبرًا فخير وإن شرًا فشر، وإن كنا لا نميل إلى تعبير الدكتور غلاب السابق، لأن المصريين كما نعلم من التاريخ نسبوا أول الشعوب التي اعتقدت باليوم الآخر؛ إذ إن الاعتقاد باليوم الآخر جزء أساسي في دعوة الرسل، واعتقاد المصريين بالحساب عقيدة سماوية، ولكن صورته صورة حسبية ساذجة، وقد ورد في كتب المصريين القدماء تفصيل الحساب والمحاكمة. يقول دانطون ذكرى: «يظهر الإنسان في الحال بعد الموت أمام محكمة أسوريس» (2)، لمحااسبته عما فعل من الحسنات واقترف من السينات ليلقي الجزاء العادل» (3).

والمصريون يتصورون محاسبة الميت أمام المحكمة على الوجه التالي: يرأس أسوريس الإله الصالح محكمة العدل الكبرى في تاروس، قائمًا في صدر القاعة المكلل سقفها بالقوانين وعلامات الحق، وأمامه أحفاد أبناء حوريبس، وآلهة أربعة أركان العالم، ومعهم أثنا عشر بروكس قاضيًا ببعضهم بروسو بشرية، وبعضهم بروسو حيوانية، وعلى رأس كل منهم سيف لقتل الخاطئ، ووظيفتهم ملاحظة ما يظهر في كفتي الميزان الذي يزن الحسنات والسينات، ومراقبين ذلك بكل دقة، وتطبيق نتائجها على أقواله، وأما داسوريس، وهو وحش يدعى باللغة المصرية عجم، أي

(1) الفلسفة الشرقية من الدكتور محمد غلاب بدون تاريخ.
(2) لعلها أوريس لأن كل الكتب تثبت ذلك.
(3) الأدب والمدين عند المصريين من 107.
المفترض، وأعضاء جسمه على أشكال مختلفة من جاموس البحر والتمساح والأسد، ورا رمادًا إذا رجعت كفة ميزان الخطابِ (1).

تشكل صورة المحاكمة التي اتفقت عليها — مع بعض الاختلاف في الألفاظ — معظم من كتب عن المصريين القدماء (2).

دفاع الميت عن نفسه:

بدافع الميت عن نفسه ليثبت أنه كان طاهرًا أمينًا ويعدد بعض الصفات الحميدة وينبئها إلى نفسه لعله ينجو أمام المحكمة وتراجع كفة حسانته.

يقول الشيخ أبو زهيرة: وقد خاض المؤرخون في بيان الفضائل التي كانت تعد فضائل في نظر المصريين في هذا الحقام، وقروا هذه الفضائل سليماً، ودعامته عدم إلحاق الأذى والضرر بغيره من الناس (3).

يقول: ديرورانت: فمن الطرق الأخرى أن تعلن الروح براءتها من الذنوب الكبرى في صورة اعتراف سليماً (4)، ويعلق ديرورانت على هذا الاعتراف بقوله: وهذا الاعتراف من أقدم وأفضل ما عبده الإنسان عن مبادئ الأخلاقية (5).

وقد أورد كثير من الكتّاب الاعتراف الذي تنقّله عن كتاب الأديان القديمة في الشرق نص دفاع الميت: "سلام عليك أبا الإله العظيم، صاحب الحق، إنك جئت إليك يا رب خاضعًا أمانك لأعاين مجدك، إنك أعرف اسمك وأسماء..."

(1) الأدب والدين، ص 374 1، و إذا اقتصر على ما أورد أنطون ذكرى لأنه يعتبر متخصصًا في الديانة المصرية القديمة، وطبيعة عمله ساعدته على الاطلاع على كثير من الأسرار والمعلومات التي لم تتح لغيره، إذ إنه كان يعمل أمينًا للمتحف المصري.

(2) انظر على سبيل المثال - قصة الخضارة - الجزء الثاني من المجلد الأول ص 241، وانظر كذلك ديانة مصر: نشأتها وتطورها ونهائيتها في أربعة آلاف سنة ص ص 462، وانظر كذلك الديانات القديمة ص ص 191، 192، ومقارنة الأديان اليهودية والإسلام ص ص 49، وقصة الديانات - سليمان مظهر ص ص 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88.

(3) الدينان القديمة، ص 17، 18، 19.

(4) قصة الخضارة الجزء الثاني من المجلد الأول ص ص 264، 265.

(5) نفسه.
الاثنين والأربعين قاضيًا الجالسين معلم في قاعة الحق والعدل، لقد أتيت لك يا إلهي بالحق متحليًا عن كل خطيئة، فإني لم أظلم أحدًا، ولم أختلف في بيعي، ولم أشرب أمراً فيرني، ولم أعلم أي حالصي الأورام، ولم أظل القمع بمسك عن كل بنت، ولم أطلق الكيل، ولم أُعجب طيور الشاة، ولم أطرد حيواناتها، ولم أصلد الأسماك المقدسة من بحرها، ولم أختلف نظام الري، ولم أتعلي الأراض الزراعية، ولم أكن قوالي ولا نمانًا، أنا ظاهر، وبما أنني مبرأ من الذنوب فأرجو أن أكون من الفائزين(1).

إن هذا الدفاع وما يحويه من فعل للضياع والاجتناب للشرائع يعطي صورة واضحة عن الأخلاق ومدى الالتزام بها عند قدماء المصريين، ومن عجيب الأمر أن ديوانات يتناقض مع نفسه تنافسًا وصانًا عندما يقول تارة عن اعتراف الميت أما القضاة بأنه من أقيم وأنه ما عصر به الإنسان عن مبادئه الأخلاقية(2)، ثم يعود مرة أخرى في سبيل الأخلاق عن المصريين، ويزعم أن الذين لم يذهب أخلاقهم، فيقول: لقد كان الدين في مصر من فوق كل شيء ومن أسفل منه، فنحن نراه فيها في كل مرحلة من مراحله، وفي كل شكل من أشكاله من الطور إلى علم العلوم، ونرى أثره في الأدب وفي نظام الحكم وفي الفن وفي كل شيء عدا الأخلاق(3).

ثالثًا: الميزان وصدور الحكم:
من التفاصيل التي أوردها لنا من كتبنا عن المصريين القدماء:
الميزان الذي نورس به أعمال اليمتي الحسبة والأعمال السائقة فلم يعرض على الميزان والمعبودة مميتاً مميتة الحقوق والاستقامة جاذبة في كفته اليمنى، وقلب هذا الإنسان في كفته اليسرى رمزًا لأعماله، وهو المَنْطَوَطَ بتأدية

(1) الأديان القديمة في الشرق ص 311 الطبعة الثانية 1983، ونراكنا أن ندر كلي هذه للفشل التي عدها الفيل في دفاعه عن نفسه إلى الإسلام يمكن أن كل هذه الأشياء من الأورام وليس من ابتكارات العقل المصري القديم.
(2) ديوانات - قصة الحضارة - الجزء الثاني - المجلد الأول ص 264.
(3) نفسه ص 155.
الشهادة عليه) (1).

وتكون استقامة لسان الميزان أو عدم استقامته الذليل على صلاح الميت أو فساده لأنه كان المرتوني صادقاً في دفاعه استقامة لسان الميزان) (2).

وحينذاك يحكم للميت بالبراءة، «إذ اتضح أن المرتوني من الصالحين الفائزين المبرئين من كل خطيئة، وأن قلبه وكل أعضائه طاهرة نطق «آسوريس» الإله الأبدى بالحكم النهائي فيقول له: فليخرج الميت فائزًا من قاعة العدل وليذهب حيثما شاء وتفتح له أبواب الجنة، ولتوفيه جميع الآلهة ولا تتعرض له حراس السماء» (3).

فإذا كان الميت شريراً فإن حكم «آسوريس» عليه هو قوله:

اذهب أيها الشرير إلى الجحيمل لتلاقوا أشد العذاب، وأمر النكال، وأنتم أيها القضاة، اقتلوه بسيوفكم، وتغذوا الآن من لحمه، وابشروا من دمه، وأنت أيها الأرواح الشريرة اضربن بالحديد وأحرقنه بالنار، وأنت يا عمم الوحش المفترس، قطفه إربإ إربإ) (4) وتغذ من أحيائتك.

فليفن جسدك أيها الخاطئ، ولتعدم نفسك، وليشطب اسمك من سفر الحياة، قذ جعلتلك غنية للأفعى، وفرصة للوحش الضار.

وأتم يا زبانية جهنة اسحبوه على وجهه إلى الجحيمل، واقطعوا رأسه على خشبة المصشار، ومزقوا جسمه كل ممزق، وألقوه في أتون) (5) النار) (6).

(1) الأدب والدين ص 111، 112.
(2) نفسه ص 111.
(3) الأدب والدين ص 111، 112.
(4) الإرب جمع آراب وهو العضو، وقطعته إربإ إربإ، أي: عضوًا عضوًا - الرائد تأليف جبران مسعود - ص 72 - دائرة العلم للصليبيين 1965 بيروت.
(5) الألون بالتشديد: الموقد وقبل حجارة تقام وثورها فيها النار التي تصير الحجارة كلاً والعامة تخففه.
(6) مختار الصحاح ص 4 للإمام الرازي طبعة دار المعارف مصر ودار الرائد ص 30.
(7) الأدب والدين ص 111 - وانظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام.
رابعًا: مكافأة النفس ومجازاتها

الجنة والنار:

إن الإيمان بالحياة الآخرة عند المصريين تضمن الإيمان بالجنة والنار اللتين يجازى الهمت فيهما، فالمصريون القدماء يعتقدون بخلود الروح، ويعتقدون بالثواب والعقاب والجنة والنار، وهي عقائد قصيرة من جانب، ثم هي بقية من دعوة الأنبياء الذين شاروا مصر في فترات تاريخها الطويل (1).

ونجد الجنة عندهم كالدنيا من ناحية المأكل والمشرب والملابس، غير أنها تختلف عن الدنيا بأنها خالية من البؤس والشقاء، أما الجنة فإنهم يرون أن الحياة فيها تشبه الحياة الدنيا من حيث الأكل والشراب والأولاد، ولكنها تختلف الدنيا بأنها باقية خالدة (2).

وقد ورد طرف من نعيم الجنة الذي يتعمم به الهمت بعد صدور الحكم بالبراءة من الذنوب بأمر الإله أوزريس، بأن يتقدم لذلك الهمت المؤونة والقرابين والشراب، وليقع ثوابًا من الملك الجيد، وليبرد له قلبه، وليتوهله حياة جديدة، وليجلس عن يميني في الفردوس السماري (3).

إن النعيم حسي كما هو واضح من النصوص المصرية القديمة، وذلك التصور للفنبع يختلف صوره، فيناما نجده في بعض النصوص مقصورة على الطعام والشراب، نجده في البعض الآخر يتمثل في الحرية والزرع والاحصاد، وتصور بعض هذه النصوص السبي الذي حكم براءته بأنه «يدخل ويخرج في العالم السفلي، ويسكن حقل باور، ويقيم وقتاً في حقل الطعام ذلك المكان الفسيح ذي الرياح الكثيرة، حيث هو هناك مقبول معبد، وحيث يمر ويهدي ويشرب ويحب ويفعل سائر ما كان

(2) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص 49.
(3) الأدب والدين ص 112.
يفعل على الأرض؛ (1)

هذا عن الجنة ومنعها أما عن مكانها فإن المصريين القدماء اختلفوا في تحديد مكانها، فذهبت الدولتان القديمة الوسطى إلى أنها تحت الأرض أو خلف الجبل الغربي، حيث غرب الشمس، أو في جزيرة السعداء في البحر الأبيض المتوسط، فلهم في ذلك مذاهب عدة (2).

عذاب النار:

بعد أن يحاسب الإنسان أمام المحكمة ينطق الإله أزوريس بالحكم، فإذا كان من الأشرار يقول له اذهب عن أبيا الشرير إلى الجحيم. وهناك يلقى وده من العذاب الذي يمثل في قتال الأشرار الذين حكم عليهم أزوريس، وأكل السباح من لحومهم، وهناك وحش مفترس يأمره أزوريس باتفراس الأشرار وتقطيعهم قطعاً متناهية، وهناك ما يسمى بالربانية يسحبون الأشرار على وجههم إلى الجحيم، ويقطعون رؤوسهم، ويمزقون أجسادهم، ولا يقتصر الأمر عند عذاب الوحش والربانية، ولكن يأمر القضاء الذين حكموا عليه بكونه من الأشرار أن يقتلونه بسبيفهم، ويعيدون من لحمة (3).

وهكذا نجد الأشياء التي يخشىها الإنسان في الدنيا هي من بين الأشياء التي يهدد بها بعد الموت إذا كان شريراً، ومن صور العذاب للأشرار أنهم لا يدخلون مملكة أزوريس، ولا يدخل الموتى الذين يخافون في هذا الامتحان أي محكمة الموتى في محكمة أزوريس، وفي هذا حد الكفاية من اليوس والشقاء، لأنهم يظلون في مقابرهم يضطرون الجوع والعطش (4).

(1) ديخنة مصر نشأتها وتطورها ص 26.
(2) الأدب والدين ص 112.
(3) مقارنة الأديان ص 50 بتصريف.
(4) ديخنة مصر القديمة - نشأتها وتطورها ص 259.
ولعل أبلغ تعبير عن تصوير البعد والحساب عند المصريين ما ذكره الدكتور
عمارة نجيب، بقوله: فالإيمان بالبعث والحساب حقيقة دينية، وصلت إلى المصريين
عن طريق دين صحيح، لولا أن عتب بها الفكر الإنساني البشري، وخلالها التحريف فحوَّل
صورة البعث إلى خيال بشري، وحملها على مستوى الإدراك الحسي للبشر، فنزلت من
مستوى الإدراك الإنساني السامي إلى هذه الصورة التي عرقت، وهي صورة ناقصة تدل على
عجز العقل - حين يكون وحده بلال وحيي - عن الوصول إلى حقائق هذه الأمور. (1)

وبعد استعراض اليوم الآخر عند المصريين القدماء يمكن للباحث أن يخرج
بهذه النتائج:

1- أن فكرة الحياة بعد الموت أو اليوم الآخر عند المصريين تعبير عن عقيدة
راضئة، وترجع في أصلها إلى وحي ورسالة كانت لدى المصريين، ذلك أن
المصريين كغيرهم من الأمم أرسل الله لهم رسولًا بشرى ومنذرين، وهؤلاء الرسل
كان لهم الفضل الأكبر في تذكير المصريين بالحياة الأخرى، وعرف من هؤلاء
الرسول إبراهيم ويوسف عليه السلام، فقد هاجر إبراهيم إلى مصر، وعاش فيها
فترة، ونولى يوسف خزائها فترة كبيرة.

2- أنه بقدام الزمن امتدت عقيدة اليوم الآخر عندهم بكثير من التصورات
البشرية.

3- ووجب تحليل الباحث للنصوص وردَّها إلى التصور الإسلامي، وعدم
اعتماد على وجهة نظر الكتب الغربيين أو الشرقيين، الذين يرون كثيرًا من
المعتقدات الدينية عند المصريين إلى نواعهم الفكري، وسبقه العقلي، بعيدًا عن
المصدر الأساسي لتلك العقائد وهو الرحيم الذي رحم الله به الأمم فأرسل إليهم
رسولا بشريين ومنذرين، يقول تعالى: (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا يَكُونُ رَبِّيَّةً وَبِشَارًا وَإِنَّ مَنْ أَتْمَمَ

(1) الإنسان في ظل الأديان ص 22 - الدكتور/ عمارة نجيب - الناشر الكتبية التوفيقية - الطبعة الأولى 1976 م.
إِلَّا خَلَّةً فِيهَا نَذِيرٌ[فَاتِر: ۴۴] وَيَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعْضُكُمْ فِي سَكَّلٍ أَصْحَابٍۢۢ﴾ ۳۶ أَبِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَآتَيْنِيَّ الْلَّهُ وَلَدًا أَلْخَلفَٰۢ﴾[النَّحل: ۳۶] Ābِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَآتَيْنِيَّ الْلَّهُ وَلَدًا أَلْخَلفَٰۢ﴾[النَّحل: ۳۶]
المبحث الثاني

اليوم الآخر عند الهند

كما سبق أن أوضحنا عند الحديث عن الحياة الأخرى عند قدماء المصريين، نقرر هنا ما أوردته الدكتور د. دراز في كتابه المذكور بقوله: «إن الحقيقة الكبرى التي أجمع عليها مؤرخو الأديان هي أنه ليس هناك جماعة إنسانية - ناهيك عن آمة كبيرة - ظهرت وعاشت ثم مضت دون أن تفكر في مبدأ الإنسان ومصيره»، وفي تعليق ظواهر الكون وأحداثه: 1).

والمسير الذي تفكر فيه الأمم إنما هو حالة الإنسان عندهم بعد الموت وثوابه وعقابه، والهنود من الأمم التي فكرت في مبدأ الإنسان ومصيره وعلمت ظواهر الكون وأحداثه. وسوف نقتصر في هذا المدخل على «البراهمة»، أقدم الديانات الهندية - محاولين الإشارة إلى عقيدتهم في تصورهم للحياة بعد الموت، ومصير الأرواح، وعلاقة الجزاء بالعمل والثواب والعقاب.

أولاً: علاقة العمل بالجزاء:

يعتقد الهندوس الذين يدينون بالبراهمة أن: «جميع أعمال البشر الاختيارية التي تؤثر في الآخرين خيراً كانت أو شرًا لا بد من أن يجازى عليها بالثواب أو العقاب، طبقاً لقائمة العدل الصارم، فنظام الكون إلهي قائم على العدل المحض، وأن العدل الكوني قضى بالجزاء لكل عمل، وأن من الطبيعة نوعًا من النظام لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الناس بدون إحصاء، وبعد إحصائهما ينان كل شخص جزاه على عمله، ويكون الجزاء

1) الدين ص 34 للدكتور محمد عبد الله دراز - الناشر مطبعة السعادة 1969 م.
في هذه الحياة

وأخذ هذا الاعتقاد عنهم صورة قانون عام، لا ينفك عن الإنسان بحال من الأحوال، وقرر الكهنة الهنود أن هناك قانونًا للحياة يقول: جزاء الخير خير مثله، وعقاب الشر شر مثله وهذا القانون اسمه «الكاراما».

وهذا الاعتقاد هو الذي ولد عند الهندود عقيدة التناسخ "عقيدة الهندي في أن كل عمل له جزاء جعلته يعتقد بتردد الأرواح في الأجسام حتى تكفر ما عليها».

ثانيًا: تناسخ الأرواح

يعتبر التناسخ للأرواح هو السمة المميزة لعقيدة الهنود. يقول البيروني: "كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين، والثنية علامة النصرانية، والإسبت علامة اليهودية، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية، فمن لم يحتله لم يك منها، ولم يعد من جملتها نقل لنا."

والتناسخ عند الهندود معناه:

أن الروح لا تفنى بعد الموت، وإنما تحاسب بأن تعود مرة أخرى تنسب جسدًا آخر، جزاء لها على ما عملت من حسنات، أو أقترفت من سيئات، وقد نقل لنا البيروني في كتابه: "تحقيق ما للهند من مقولات، حوارًا بين اثنين من الهندود، يوضح من خلاله عقيدتهم في الروح، ومصيرها بعد الموت.

يقول البيروني: "تحقيق علينا أن نورد من كتبهم شيئاً من صريح كلامهم في هذا الباب قال "باسديو لأرجن" بحريسه على القتال وهما بين الصفين: إن كنت بالقضاء.

(1) أديان الهند الكبرى ص 66 الدكتور أحمد شلبي.
(2) الكاراما معناها العقل، وهي في هذه الحالة متناها العمل الذي لا بد منه في الحياة فهناك ناموس جامد للعقل والمنطق، والعمل والجزاء أديان العالم حسب سعيد ص 79.
(3) قصة الديانات - سليمان مظهر ص 55.
(4) تحقيق ما للهند من مقولات ص 39 لأبي الريحان بن أحمد البيروني، الناشر عالم الكتب - الطبعة الثانية 1982.
السابق مؤمنًا فاعل أنهم ليسوا ولا نحن معًا بموتى ولا ذاهبين ذهابًا لا رجوع معه، فإن الأرواح غير مائدة ولا متغيرة، وإنما تردد في الأبدان على تغير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والكهولة ثم الشيخوخة التي عقبها موت البدن ثم العود.
وقال له: كيف بذكر الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية الوجود، لا عن ولادة ولا إلى تلف وعدم، بل هي ثابتة قائمة، لا سيف يقطعها، ولا نار تحرقها، ولا ماء يغصها، ولا ريح تببها، لكنها تنتقل من بدنها إذا عتق نحو آخر ليس كذلك، كما يستبدل اللباس إذا خلق. فما غمك لنفس لا تبديد، ولو كانت بائدة فأخرى أن لا تخف لمفعول لا يوجد ولا يعود، فإن كنت تلمع البدن دونها وتجزع لفساده فكل مولود ميت، وكل ميت عائد وليس لك من كلا الأمرين شيء إنما هما إلى الله الذي منه جميع الأمور.
وظهر من النص السابق بقاء الروح وعدم فنائها بعد الموت دولا نحن معًا بموتى ولا ذاهبين ذهابًا لا رجوع معه.
فهم يعتقدون في رجوع الروح، ولكن رجوع إلى أي شيء، إنسانًا أو حيوانًا أو نباتًا لتسقفي فيه، جزاء على أعمال صاحبها.
وعقيدة رجوع الروح هذه جعلتهم لا يكثرون كثيرًا بالحياة، وجعلتهم يستعذبون الموت ولا يخفون منه كيف يذكر الموت من عرف أن النفس أبدية الوجود، ولكن الشيء الذي تسترفي فيه الروح لا يتجدد إلا بعد معرفة النفس هل هي شريعة أم خيرة؟ وبناء على معرفتها ومحاسبتها يتجدد الشيء الذي تحل فيه، ومن هنا كان اعتقادهم في الحساب.

(1) المرجع السابق.
(2) نفسه.
(3) نفسه.
ثالثًا: الحساب عند الهنود:

كما تصور المصريون القدماء الحساب تصور الهنود أن الحساب على الأعمال يكون بعد الموت مباشرة وكذلك الجزاء، ويعتقد الهنود أن الإنسان إذا مات ذهب به دازمون وهو من الزبانية إلى مجتمع القضاء، ويحمله مع المجتمعين فيه قائد مأمور إلى «أتيسر»، فأما النفس التي تشتكي الجسد، أو كان عملها شيئًا غير عدل ومشتهية بالأنفس القائلة هربت من هناك وتحيزت في كل نوع إلى أن يمر عليها أزمة، فتؤتي بها ضرورة إلى السكن الذي يشبهها)۱).

والمسكن الذي يشبه تلك النفس السيئة هو أن ترد في النبات وخشاش الطير ومزحول الهوام وقدورها من القلم والدود)۲).

وأما النفس التي تبين أنها طاهرة فإنها تصادف مرافقين وقذوًا آلية، وتسكن الموضوع الذي ينبغي)۳).

والسكن الذي ينبغي لمن استحق الاعتلاج والثواب من الأنفس هو أن يصير كأحد الملكية مخالفًا للمجتمع الروحانية غير محجوب عن التصرف في السماوات والكون مع أهلها)۴).

ولا شك لدينا أن فكرة الحساب والثواب والعقاب مصدرها الوعي عند كل الأمم فإن من أصله إلا خالًا فيها ذكر)۵). [قاطر ۲۴۴]

ولا شك أيضًا أن الهنود كافأ من الأمام جاءها نذير من الله بالأصول العقائدية التي يأتي بها جميع الأنباء، ومن ضمن تلك الأصول الإيمان بالبعث والجزاء والنصوص التي عرضتها عن الحساب والثواب والعقاب - كما يقول الدكتور

---
(۱) تحقيق ما للهند من مقوله ص ۴۰.
(۲) نفسه ص ۴۷.
(۳) نفسه ص ۴۷.
(۴) نفسه.
عمارة نجيب – فقد احتدرت وتراجعت في العقيدة الهندية حتى صارت على هذا النحو، فالوجود منها الآن صورة مشوهة لعِقيدة البُنْث والإيمان بالجزاء الصحيح؛ (1).

رابعًا: الجنة والنار:
قد يتبادر إلى الذهن بعد أن استعرضنا عقيدة البراهمة في تناسخ الأرواح أنه لم يكن عندهم جنة ولا نار، ولكننا وجدنا أنهم يعتقدون في الجنة، وبعددون الجهنيات، وهذا على حد تعبير الدكتور عمارة نجيب، مما يثير التساؤل ويبعث على الغرابة؛ (2).

يشرح البريوني عقيدتهما في الجنة والنار يقول: «المجمع يسمى اللوك، والعالم ينقسم قسمة أولية إلى علم وسفل وواصة، فسمى العالم الأعلى دمرلويد وهو الجنة، والعالم الأسفل تاكلوك، أي مجمع الحيات وهو جهنم، ويسمى أيضًا تركلوك، وبما سميها دياتال، أي أسفل الأردنين، وأما الأوسط الذي ينحدر فيه فيسمى دامارلويد، دامشلوك، أي مجمع الناس، والأوسط للاكتساب، والأعلى للشواب، والأسفل للعقاب، وفي هذين الأخيرين يستوفي جزء العمل من استحقاقهما مدة مضروبة حسب مدة العمل، والكون في كل واحدة منها للروح مجردة من البدن، وللمتعز من السمو إلى الجنة أو الرسوب إلى جهنم. اللوك آخرب يسمى ترجلوك، وهو النبات والحيوان غير الناطق يتردد الروح في أشخاصهما بالتناسخ، إلى أن ينتقل إلى الإنسان على ترتيب من أدنى المراتب» (3) النامية إلى علاج المراتب الحساسة وكونها فيها على أحد وجهين.

الأول: إما لقصور مقدار المكافأة عن محل الثواب والعقاب.

الثاني: إما لرجوعها إلى جهنم. فعند أن العائد إلى الدنيا من الجنة متأنس في أول حالته، والعائد إليها من جهنم متردد من النبات والحيوان إلى أن يبلغ مرتبة

(1) الإنسان في ظل الأديان ص 196 – النشر المكتبة التوفيقية.
(2) نفسه ص 196.
(3) لعلها أدنى.
الإنسان» (1).

والنص يعني أن العائد من الجنة تحل روحه في إنسان، وأما العائد إلى الدنيا من جهنم فهو يتردد في مرتبة أدنى من الإنسان كالنبات والحيوانات مدة معينة، حتى تكفر عنه سيئاته، فيبيرق إلى مرتبة الإنسان.

أما مقدار مكث الأرواح الخيرة في الجنة فتكون مدة كانت الأرواح فيها مثل المدة التي فعلوا فيها الخيرات، وتركوا المنكرات. أما الأرواح الشريرة فتنقل إلى جهنم وهي المنزلة السفلى ثم بعد استيفاء الأرواح الخيرة مدتها في المرتبة العليا تنطلق إلى الإنسان، وكذلك الأرواح الشريرة بعد استيفاء مدتها في جهنم، تنطلق إلى الحيوانات أو النبات أو الإنسان ثم تندرج وتتقل إلى مرتبة أعلى.

وهنا يأتي التساؤل عن الشرير، هل ينال جزاءه في جهنم ثم يعود إلى الدنيا في جسد حي؟ لماذا يرجع إلى الجسد الحي؟ إذا كان قد نال جزاءه في جهنم؟ ومرد هذا التحفظ يرجع إلى التدخل الفكري البشري القاصر على الوحي الإلهي الكامل.

ويلاحظ أن البراهمة لا يكفون بجهنم واحدة، ولكنهم يعددون الجهنيات، وأكثر من ذلك يرون أن لكل ذنب جهنم خاصة به.

يقول (البيروني): وهم من جهة الأخبار يكثرون عدد الجهنيات وصفاتها وأساميها.

ويقررون لكل ذنب منها محلا ورقب في (بسمة بيران) إنها ثمانية وثمانون ألفاً) (2).

ومن النصوص التي وردت على أن الثواب والعقاب عنهم في الجنة والنازإ يكثرون للروح وحدها مجردة عن البدن، ويكونان مؤقتين لأجل محدود لا دائمين (3).

(1) تحقيق ما للهند من مقالة ص 46، 47.
(2) نفسه.
(3) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص 162 للدكتور عبد الواحد وافي الناصر - دار نهضة مصر 1971.
حل التنافض بين التناسخ وبين الجنة والنار في اعتقاد‌(البراهمة)

ذكرنا من قبل عقيدة التناسخ عند الهندوس، وأنها سمة مشتركة لهم كما يقول البيروني، وأن البراهمة بعقائدتهم في التناسخ اعتبروا أن الأرض دار جزاء وثواب، (1).

ورأيناه عندهم نصوصًا يذكرون فيها الجنة والنار والشواب والعقاب. وهذا الجمع بين التناسخ ووجود الجنة والنار مما يثير النساؤ ويبعث على الغريبة، (2) كما يقول الدكتور عمارة نجيب:

والأمل إلى أن البراهمة لم يجمعوا بين عقيدة التناسخ والجنة والنار في وقت واحد، وإنما كان اعتقادهم في الجنة والنار أولًا، مع عقيدتهم في الوحدانية، ومما هو جدير بالذكر أن الهندوس كانت عقيدة الوحدانية متغلفة في نفوسهم.

يقول «ماكس مولر، الثقة الحجة في اللغات الآرية»:

أيا كان العصر الذي تم فيه جمع الأناشيد المسطورة في الرجعية، فإن ذلك العصر كان بين الهندوس مؤمنون بالله الأول الذي لا هو بذكر ولا بأثِن، ولا تحده أحوال التخصص من قيود الطبيعة الإنسانية، وارتفع شعراء الفيدا في الواقع إلى أوج إدراكهم لكنه الرغبية لم ينجز إلى مرة أخرى غير أناس من فلاسفة الإسكندرية المسيحيين، لكنه فرق هذا لا يزال أرفع وأعلى مما يطيف بأذهان قوم يدعون أنفسهم بالمسيحيين (3).

وهكذا يتفق العلماء في نتائجهم مع ما قرره القرآن الكريم من أن الناس كل الناس في ضمائرهم اعتراف بالله أحد، وأن الرسول جاءوا إلى أمهم بالدعوة إلى الوحدانية والإنذار باليوم الآخر.

(1) أدبان الهند الكبرى ص 25.
(2) الإنسان في ظل الأديان ص 196.
(3) الله - كتاب في نشأة العقيدة الإسلامية ص 75 الأستاذ/ عباس محمود العقاد الناصر دار المعارف.
(4) مصر - الطبعة السادسة 1969.
ثم بتقادم الزمن انحرف الناس عن العقيدة الصحيحة إلى التصورات المنحرفة، وكانت أمة الهند من تلك الأمم التي انحرفت عن الوحدانية وعن عقيدة اليوم الآخر.

***
المبحث الثالث

اليوم الآخر عند الفرس

اعتقد الفرس كما اعتقد المصريون والهنود في حياة أخرى بعد الموت، يحاسب الإنسان فيها على أعماله ويجازي، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر. يقول الشهيرستاني: وسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين نتين:

الأولى: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.

الثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة. وجعلوا الامتزاج مبدأ، والخلاص معاذا.

والأصل الثاني وهو المعاد اشترك فيه الفرس مع غيرهم من الأمم، فقد كانت البلاد الفارسية مسرحًا لكثير من الديانات، شأنها شأن الأمم التي شاركت في بناء اللبنت الأولى في الحضارة الإنسانية كاليونان ومصر وبابيل وآشور،. وبعض هذه الديانات كما سبق أن أوضحتا عند المصريين والهنود احتلت فيها عقيدة الحياة الأخرى مكانًا بارزًا. وكانت ديانة الفرس أيضًا من الديانات التي احتلت فيها عقيدة الأخرة ذلك المكان البارز الواضح.

ويذهب الأستاذ العقداء إلى أن الفرس تأثروا بالمصريين والهنود في عقيدة البعث والجزاء، يقول: دخلهم جمعوا بذلك بين عقيدة الهند في نهاية العالم وعقيدة المصريين في محاسبة الروح ووزن أعمالها في موقف الجزاء،. ولكن الأمر ليس أمر

(1) المثل والنحل للمشرستاني ص 59 ج2ب.
(2) الله واله هلان ص 231 الأستاذ عبد الكريم الخطيب.
(3) الله: كتاب في نشأة العقيدة الإلهية أ. العقاد ص 88 نشر دار المعارف.
تأثير وتأثير حسب عقائدهم، وإنما هذا التشابه في التصور الإسلامي يرجع إلى إرسال الله رسلًا مبشرين ومنذرين إلى تلك الأمم، وهو التحليل للتشابه بين عقيدة الفرس والمصرى والهندوس في الحياة الأخرى، وذلك قبل أن تحرك تلك العقائد عن الدين الصحيح. ويرجع هذا التشابه أيضًا إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

تفاصيل ما بعد الموت

أولاً: حالة الروح:

اعتقدم الفرس أنه لا بد لأرواح الموتى بأجمعها أن تجتاز قنطرة تصف فيها(1) وهذه القنطرة مهمتها أن تميز الأرواح الطيبة من الأرواح الخبيثة، ولذلك فإن الروح تهب عليها ريح إما معتورة إذا كان الميت خيرًا، وإما ننة إذا كان شريرًا، فتحمل إلى موضع يلتقى فيه إما بفناة جميلة، وإما ببجور مفروضة، وليس الأول فناة حقيقة ولا الثانية عجوزًا حقيقة، وإنما هي صورة أعمال الميت(2).

ثانياً: الحساب:

اعتقدم الفرس في الحساب والميزان وهي أشياء من بقايا العقيدة الصحيحة، ممزوجة بتصوراتهم البشرية، فتصوروا أن هناك «معينًا للحساب والحكم الآخر» وعلى باب هذا المعبر يوجد ثلاثة قضاة بينهم (ميترا)، وهناك ينصب ميزان توضع في إحدى كفتيه حسنات الميت وفي الأخرى سيئاته(3)، وبناء على ترجيح إحدى كفتي الميزان يكون الثواب أو العقاب للميت، ولعلنا نلاحظ أن تصور الفرس هو نفسه تصور المصريين القدماء، وهذا يؤكد أن العقيدة في أساسها واحدة لكل الأمم، لأن النفس البشرية فطرت على الوحدانية ولوازمها من الاعتقاد في الرجوع إلى الله بعد الحياة الفانية.

(1) قصة الحضارة ج2 ص 434 - ترجمة محمد بدران.
(2) الفلسفة الشرقية للدكتور: محمد غلاب ص 195.
(3) نفسه ص 196.
النار هي عذاب الذين اقترفوا السرمتات ولم تنقل موازينهم في الخير، ولذلك اعتقد الفرس أن الروح الخبيثة لا تستطيع أن تنجذب القنطرة، فتتشرد في درك من الجحيم ينتاسب عمقه مع ما اقترفت من ذنوب، (1) هذا الجحيم الذي تسقط فيه الأرواح الخبيثة عبارة عن جحيم مظلم ظلامًا كثيفًا، (2) أو هو عبارة عن بحيرة متقندة بالنار، يهوى فيها الذين زادت في ثقل المرءان سيناتهم عن حسناتهم، (3) ويعلل الشهرستاني سبب عبادة المجوس لنارنا وتعظيمهم إياها قلبي أن التعليم ينجبهم في المعاد من عذاب النار، (4) أما النعيم فالمسيئين هي الجزء للذين فعلوا الخيرات، أما أنفس الأبرار الذين حرصوا على أحكام النبي، (5) ووصايا فإنهم يجوزون سالمين إلى السماء، (6) وهناك رأى آخر يذهب إلى أن الأخيار يذهبون إلى النور، حيث يستقبلهم (أهورا مازدا) بعد أن يروما في وسط العمل الصالح والقول الخير والفكر الطيبة، وهناك يستمتعون في كنف (مازدا) بالسعادة الأبدية، (7).

والسعادة الأبدية هي الجنة في اعتقادهم، وهذه الجنة تصورها بصورة حسية ملموسة، ونجرة (زراشت) تقع أقصى شرق جبال هيرامبارزينة، ويرتفع الجبل متجاوزًا النجوم إلى عالم النور اللاهيائي، ويصل إلى جنة (أهورا مازدا) في منزل

(1) قصة الخضارة ج 2 ص 434 .
(2) الفلسفة الشرقية ص 196 .
(3) أديان العالم - حبيب سعد ص 166 .
(4) الملل والنحل للشهرستاني ج 2 ص 74 يهامش الفصل في الملل والنحل لابن حزم الناصر مكتبية السلام العالمية.
(5) يقصد المؤلف (زراشت) ولنسا معه في إطلاق لفظ النبي عليه، لأنه لم يرد نص يوضح ذلك فلاً عن (زراشت) شخصية مختلفة حول وجودها أصلاً عند كثير من الباحثين - انظر الشيعة الغالية وتأثريها بالأديان المغايرة للإسلام ص 354 للباحث فتحي الزغيبي .
(6) أديان العالم - حبيب سعد ص 166 .
(7) الفلسفة الشرقية ص 196 .
النجم وهو أم الجبال، وقعته سابحة في العزة الأبدية، لا ليل ولا برد ولا مرض (1).

ويتعلق الدكتور د.عبد الواحد وافي على عقيدة الفرس في الحياة بعد الموت، مقرراً أن الفرس تؤمن باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب والجنة والنار (2).

وهذه الأمور من بقايا العقيدة الصحيحة التي جاء بها الأنبياء إلى الأمم ومنهم أمة الفرس.

***

(1) الأسفار المقدسة ص 146، 147 نقلهن عن القصة في الأدب الفارسي.
(2) الأسفار المقدسة ص 146.
واقعات اليوم الآخر بين الإسلام والنصرانية واليهودية

ويشمل:

تمهيذا عن المقصود باليوم الآخر بين الأديان الثلاثة.

ثم المباحث التالية:

المبحث الأول: الموت.
المبحث الثاني: البرزخ.
المبحث الثالث: علامات الساعة.
المبحث الرابع: البعث.
المبحث الخامس: الحشر.
المبحث السادس: صحائف الأعمال.
المبحث السابع: الحساب.
المبحث الثامن: الصراط.
المبحث التاسع: الميزان.
المبحث العاشر: الحوض.
المبحث الحادي عشر: الشفاعة.
المبحث الثاني عشر: الجنة والنار.
المبحث الثالث عشر: رؤية الله.
اليوم الآخر في التصور الإسلامي

واقعات اليوم الآخر بين الإسلام والنصرانية واليهودية

تمهيد

المقصود باليوم الآخر بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولاً: المقصود باليوم الآخر في التصور الإسلامي

اليوم الآخر في الإسلام له إطلاقان:

الإطلاق الأول: يوم القيامة الذي تتنهى فيه الدنيا، وينزل الأرض غير الأرض والسماوات. وهذا الرأي ذهب إليه جماعة من العلماء والمفسرين. يقول الإمام الطبري في تفسيره لقول الله تعالى: «وَالآخَرُونَ هُمْ نُؤْفِينَ» [البقرة: 42]: "سميت آخيرة لتأخيرا عن الخلق، كم سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق" (1)، ويفهم من تفسير الطبري أن المراد بالآخيرة يوم القيامة، وما فيه من عجائب وغرائب. وأما الذي وصف الله جل ثناؤه به المؤمنين بما أنزل إلى نبيع محمد صلى الله عليه وسلم، وما أنزل من قبله من المرسلين من إياهم به من أمر الآخرة، فهو إياهم بما كان المشركون بجاحدين من البعث والنشور والثواب والعقاب والحساب والمعان وغير ذلك مما أعد الله خلقه يوم القيامة» (2).

وينقل عن ابن عباس تفسير لقوله: «وَالآخَرُونَ هُمْ نُؤْفِينَ» [البقرة: 42] أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والمعان، أي لا هؤلاء الذين يعمون أنهم آمنوا بما كان قبلك ويكفرون بما جاءك من ربك (3).

(1) الطبري ج 1 ص 245 - تحقيق محمود محمد شاكر - أحمد محمد شاكر دار المعارف ط الثانية.
(2) نفسه 246.
(3) نفسه.
والإمام الفخر الرازي عند تفسيره لقول الله تعالى: "وَئِنَّكَ أَزِينَ مِنْ يَوْمِ الْخَيْرَةِ" {البقرة: 80} يقول: "السؤال الثالث: ما المراد باليوم الآخر؟ الجواب: يجوز أن يراد به الوقت الممتد الذي لا حد له، وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع له أبد، ويجوز أن يراد به الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة "الجنة"، وأهل النار "النار"، لأنه آخر الأوقات المحددة، وما بعده فلا حد له" (1).

والإمام البيجوري يقول: "واليوم الآخر هو يوم القيامة، وأوله من وقت الحشر إلى ما لا ينهاي على الصحيح، وقيل إلى أن يدخل أهل الجنة، وأهل النار النار" (2).

هذا هو الإطلاق الأول، الذي ذهب إليه جماعة من العلماء والمفسرين، واليوم الآخر بهذا الإطلاق له أسماء كثيرة "فهله نحو ثلاثمائة اسم"، وهو يحتل تلك المرتبة العليا بعد الإيمان بالله، إلى حد أننا قلنا نجد سورة في التنزيل إلا وليست في اليوم الآخر فيها سهم وأي سهم.

الإطلاق الثاني:

يذهب بعض العلماء إلى أن اليوم الآخر يبدأ بالموت بالنسبة للإنسان، ويستدلون بقول الرسول ﷺ: "إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه" (3).

يقول الإمام ابن كثير: وفي بعض الأحاديث أنه عليه السلام سئل عن الساعة فنظر إلى غالب فقال: "لن يدرك هذا الهمم حتى تأتيكم ساعدكم" (4).

ويشرح ابن كثير هذا الحديث بقوله: "والمراد انحراف قرنهم ودخولهم في عالم

(1) تفسير الفخر الرازي ج1 ص 61، 62.
(2) تحقيق المريد شرح جوهرة التوحيد للإمام البيجوري ص 230 - طبعة الإدارة العامة للمعايدة.
(3) نفس وانظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج16 ص 16959 طبعة دار الشعب.
(4) الترمذي ج4 ص 177 طبعة مصطفى الحلبي.
لا يتباين إلى الأذهان أن المقصود بقول الرسول: "حتى تأتيكم ساعتك، اليوم الآخر على الإطلاق الأول الذي عرضناه، لأن الساعة بهذا المعنى لا يعلمها إلا الله. يقول ابن كثير: "فأما الساعة العظمى وهي وقت اجتماع الأولين والأخرين في صعيد واحد، فهذا مما استأثر الله تعالى بعلمه وقته". (2)
ويجب أن يبدأ بالموم ينتهي بالجنة أو النار، وبلاحظ أنه لا فرق بين الإطلاقين إلا من حيث عموم الإطلاق الثاني واحتماله على الموم كبداية للآخرة.
ثانياً: المقصود باليوم الآخر في التصور النصراني
يسمى النصارى الآخرة "بالسخانثولوجيا"، وهي معنى مركب من كلمتين يونانيتين معناهما: "الكلام في الآخرة، أي الأمور المختصرة بمستقبل النفس ونهاية العالم، ومجيء المسيح الآخر والدينونة ونصيب الأبرار السماوي وقصاص الأشرار الأبدية". (3)
ونلاحظ أن هذا الإطلاق يحدد الآخرة من نهية العالم ومجيء المسيح، أي القيادة الكبرى التي تبدأ بالبعث ومقدماته. ونفس الشيء يذكره "القسي فهيم عزيز" بقول: "والمعنى التقليدي لهذا الاصطلاح "سخانثولوجي" هو الإعلام عن الأشياء الأخيرة فتتضمن العقيدة المختصرة بنهاية العالم أو مجيء المسيح، والعقائد المختصرة ببعض الأفراد الذين يموتون قبل نهاية العالم، كالعقيدة المختصرة بالسماء والجنين والمطهر". (4) الجملة الذي ذكره القسي فهيم

(1) النهاية في الفتن والملاحج ج1 ص 31 لأبي كثير – الناشر دار التراث، والحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه.
(2) النهاية في الفتن والملاحج ج1 ص 31.
(3) علم اللاهوتي النظامي ص 117 تأليف الجنة من القساوة – الناشر دار الثقافة المسيحية.
(4) الفكر اللاهوتي في كتابات بولس ص 197 الدكتور "القسي فهيم عزيز" الناشر دار الثقافة.
عذر نلاحظ أنه يدخل فيه أشياء مثل الموت والمطهر والسماء - وهذه أشياء تحدث للروح بعد الموت وقبل الآخرة - ومن الممكن أن نستنبط أن هذا يشبه الإطلاق الثاني عند المسلمين، الذي يجعل الآخرة تبدأ من الموت بالنسبة للإنسان، وهذا الإطلاق النصري الذي يجعل الآخرة تبدأ بالموت يؤدي ما ذكره الدكتور جميل صليبا في تعريفه للآخرة. ورد في المعجم الفلسفي تحت الآخرة ما نصه «موضع علم الآخرة هو البحث في المسائل المتعلقة بنهائية العالم ومصير الإنسان من موته وعده وناره» (1).

وهذا الإطلاق عند النصارى للآخرة يشبه الإطلاق الثاني عند المسلمين للآخرة وسوف نعرض الآخرة عند النصارى طبقًا للإطلاق الثاني الذي يحددها من موت الإنسان وما يحدث له بعد ذلك، وهو إطلاق يتضمن أيضًا البحث والجنة والنار، وغير ذلك من مشاهد القيامة.

ثالثًا: المقصود باليوم الآخر عند اليهود

من الأمور البالغة التعقيد لدى الباحث الآخرة عند اليهود، إذ أن الإشارات إليها تأتي عابرة مختلفًا حولها، هل المقصود بالآخرة اليوم الذي يبعث فيه الناس للفضاء والحرب؟ أو المقصود به يوم أخير بالنسبة لليهود وحدهم يستريحون فيه من الشقاء والحروب وينتصرون على أعدائهم؟ وبذل كثير من الباحثين إلى أن التوراة خارجة من الإشارة إلى البحث والحرب والجزاء. يقول حبيب سعد: «من الغريب أنه بينما كان اعتقادات بحياة أخرى بعد الموت من المعتقدات التي نادت بها أديان كثيرة في القدم، مثل أمة الفرس فإن أمة إسرائيل لم تلتزم بهذه الطريقة» (2) ويرى الدكتور ظاظا أن اليهود لم يفكروا في الغيبيات إلا بعد أن تعرضوا للنسي البالي، ثم التشتت في الأرض على أيدي الرومان (3). ووجد الدكتور ظاظا مفهوم الغيبيات الذي اتجه

(1) المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا جد ص 72 الناشر دار الكتاب للبناني 1982.
(2) أدباء العالم حبيب سعد ص 194.
(3) الفكر الإسرائيلي أطواره ومفاهيمه ص 109.
تفكر اليهود إليه، فيذكر أن التفكير في الغيبات كان يتخذ اتجاهين محددتين هما: نهاية العالم، والخلاص على يد المسيح المنتظر (1)، ولكن جينيبر يبين أن اليهود حين يتحدثون عن الآخرة لا يقصدون ما يقصده المسلمون أو النصارى.

يقول شارل جينيبر: وكان اليهود بإطلاقهم اسم آخرة الأيام أو نحو ذلك، لم يكونوا على أدنى شك مما استعمله المسيحيون أو المسلمون الذين يؤمنون بالآخرة، و بأنها قريبة جدًا، فاليهود يخفرون منها، ويرون أنها بعيدة جدًا، ولذلك أطلقوا عليها الاسم العبري "آخريت هيانيم" التي معناها آخر الأيام أو الآخرة، وهو يوم لم يذكر التوراة عنه شيئًا، لا على عهد موسى، ولا على عهد القضاة على الأقل في النص الموجود بين أبينانا (2).

وإذا كانت أسفار موسى الحمسة وكذلك أسفار الأنبياء لا تعطينا تحديدًا دقيقًا لليوم الآخر عند اليهود، فإن مفكري اليهود وعلماءهم نجد عنهم تصريحا بالإيمان بالبعث والآخرة. يقول سعديا الفيومي: "إن إحياء الموتى الذي عرفنا ربنآ أنه يكون في دار الآخرة للمجازاة فذلك مما أمتنا مجمعة عليه" (3)، فهذا نص بين أن البحث يجمع عليه اليهود، ولكن يخرج الإجماع الذي يرعه سعديا الفيومي أن هناك فرقًا يهودية تنكر البحث ولا تؤمن به، من هذه الفرق (الصدوقيون) (4)، والذين يهمنا في نص سعديا الفيومي أن هناك تحديدًا للآخرة. وهي تكون ببعث الأحياء من الموت للجزاء. وموسى بن ميمون من علماء اليهود يقول: "أنا لأؤمن إيماناً كاملاً بقيام الموتى في الوقت الذي تبعث فيه بذلك إرادة الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره الآن،

(1) نفسه 10/109.
(2) انظر الفكر الديني أطواره ومفاهيمه ص 112/11 ففيه تلخيص لرأي جينيبر.
(3) الأمانات والاعتقادات ص 211 لسعديا الفيومي طبعة لندن 1882 موجود في دار الكتب المصرية تحت رقم 57 لاهم.
(4) انظر على سبيل المثال قاموس الكتاب المقدس ص 539 والموضوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص 135 وانظر الأسفار المقدسة وغيرها كثير.
وإلى أياد الآبدين: (1) ونص ابن ميمون يتفق مع نص سعدبا الفيوفي في أن الآخرة تبدأ من قيامة الأموات، أي من البشث والنشور، واليهود على عهد رسول الله ﷺ كأنهما يقرون بالقياسة والآخرة التي تبدأ بتبديل الأرض غير الأرض والسموات.


وهذه النصوص سواء لسعدبا الفيوفي، أو لابن كمونه أو للميهود على عهد رسول الله ﷺ يمكن أن تعطي تحديدا للمقصود بالآخرة عند اليهود التي تبدأ من قيام الأموات للبعث وتبدل الأرض والسموات، وسوف نزيد الأمر وضوحًا عند الحديث عن البلاء عند اليهود.

* * *

(1) نقلًا عن الفكر الإسرائيلي أطرافه ومذاهبها، ص 159.
(2) صحيح مسلم ج 3 ص 515 طبعة عيسى الحلبي، الزمر 27.
المبحث الأول

الموت بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولاً: الموت في التصور الإسلامي

حقيقة الموت:

إن الموت حقيقة واقعة يراه البشر جميعًا أمامهم، تختلف أسبابه، ولكن حقيقته واحدة، وهي انقطاع الإنسان عن الحياة الدنيا وانتقاله إلى عالم آخر غير العالم الذي كان يعيش فيه، ويعرف العلماء بتعريفات كثيرة (1) تدور حول انقطاع تعلق الروح بالبدن فيذكر القرطبي تعريف العلماء له بأنه ليس بعد محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقه والحبولة بينهما؛ (2). وورد في التعريفات للسيد الجرجانى تعريف الموت بأنه صفحة وجودية خلفت ضمًا للحياة؛ (3). ويعرفه ابن مسكيوي بأنه ليس شيء أكثر من تفك النفس استعمال آلاتها وهي الأعضاء التي يسمى مجموعها بدناً كما يترك الصانع آلاته؛ (4).

1) يذهب البعض إلى تعريف الموت بأنه إماتة الشهور، ويسمون ذلك الموت الإرادى أو الموت الروحي، وما كان غرضنا من البحث الحديث عن الموت بمعنا البدني رأينا الاقتصر على التعريفات التي تحدث عن الموت بمعنا المعارف لدى الجميع وهو مفارة الإنسان للحياة. انظر التعريفات للسيد ص 111 وانظر تهذيب الأخلاق لابن مسكيوي ص 176، وانظر المعجم الفلسفي ج 2 ص 441 - 442.
2) التذكرة بأحوال الموت والآخرة ج 1 ص 1 للإمام القرطبي. تحقيق الدكتور أحمد حجازي - الناشر مكتبة الكليات الأزهرية 1980 م.
3) التعريفات للسيد الجرجاني ص 211 الناشر البحري الخليفي 1938.
4) تهذيب الأخلاق لابن مسكيوي ص 175 منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ط الثانية.
ويربط الإمام الجويني بين تعلق الروح بالبدن وبين الحياة وبين مفارقة الروح للبدن وبين الموت، فيقول: "والآخرون عندنا أن الروح أجسم لطيفة متشابكة للأجسام المحسوسة، أجزر الله تعالى العادة باستمرار حياة الأجسام ما استمرت مشابكتها لها، فإذا فارقتها يعقب الموت الحياة)."

وإذا كانت التعريفات التي ذكرتها كلها تجمع على أن الموت معناه مفارقة الإنسان للحياة الدنيا، فإن التعريفات الطبية للموت تجمع على تلك الحقيقة، وإذا اختلفت فيما بينها على تحديد أسبابه فإنها تجمع على وقوعه للكائنات كلها، فيعرفه العلماء والمحدثون بأنه فقدان الجسم لفاعليته، وبأنه انتهاء عملية الأجزاء التركيبية وتجدد الأنسجة العصبية،.

وكل هذه التعريفات تجمع على أن الموت هو توقف الحياة عن الإنسان في الدنيا، ولما كان هناك وجد شبه بين النوم والموم يحسن بناء أن نشير إلى الفرق بين ظاهرتي النوم والموم.

يقول الله تعالى: "فَلَيُتَّقَ اللَّهُ الَّذِينَ ظَلَّلُوا أَنفَسَهُمْ وَلَا يَتَّبِعُوا الْأَكْثَرَ بَعْدُ إِذْ أَنَّ اللَّهَ لَا يُشْرِكْنَ بِهِ" (الزمر: 42)، والعقيدة من الآية والله أعلم: أن الله تعالى يتوفى النفس عند النوم إذا أنه يمسك النفس التي قضى عليها الموت ويرسل الآخرة إلى أجل مسمى لحين مومتها.

ويذكر الفخر الرازي - بتحليل دقيق - الفرق بين النوم والموم - بناء على كلما تعلق النفس بالبدن - فيذكر أن النفس الإنسانية عبارة عن جوه مشرق روحي إذا تعلق بالبدن حصل ضوء ففي جميع الأعضاء وهو الحياة، فنقول: إنه

(1) الإرشاد للإمام الجويني ص 277 تحقيق محمد يوسف موسى عبد المعم علي، الناشر مكتبة الخالص 1954
(2) الإسلام يتحدث ص 72 - 74 - للأستاذ وحيد الدين خان - الناشر مكتبة القرآن.
في وقت النوم ينقطع ضؤوه عن ظاهر البدن من بعض الوجوه، ولا ينقطع ضؤوه عن باطن البدن، فثبت أن الموت والنوم من جنس واحد، إلا أن الموت انقطاع كلي والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه. وإذا ثبت هذا ظهر أن القادر العالم الحكيم دُفر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يقع ضوء النفس على البدن بالكلية ظاهره وباطنه وذلك هو يقظة.

ثانيها: أن يرتفع ضوء النفس عن ظاهر البدن من بعض الوجوه دون باطنه وذلك هو النوم.

ثالثها: أن يرتفع ضوء النفس عن البدن بالكلية وهو الموت. فثبت أن الموت والنوم يشتركان في كون كل واحد منهمهما توفيقا للمعنى، ثم يمتاز أحدهما عن الآخر بخواص معينة في صفات معينة، ومثل هذا لا يصدر إلا عن القادر العليم الحكيم.

وبهذا التوضيح يتبين أن بين الموت والنوم شيئًا من جهة أن النفس ترتفع عن ظاهر البدن في النوم، ومن هنا نجد الإنسان في النوم متخفً في منافقة مثلى للبدن وتنقل روحه إلى عالم آخر إلى حين اليقظة تفرد روحه إليه، ووجه المفارقة بين الموت والنوم أن النفس ترتفع عن البدن ظاهرها وباطنًا عند الموت، فتنتمي إن كان المباد من الصالحين وتذوب إن كان من الطالحين.

وبعد هذه التفرقة بين ظاهرة الموت والنوم يأتي هذا التساؤل هل الموت ظاهرة تعري البدن أو النفس؟

وقبل أن نجيب على هذا التساؤل يجدر بما أن نبين المعاني المختلفة التي تطلق

(1) التفسير الكبير للفخر الزاكي جـ 6 ص 284، وانظر روح المعاني للألوسي الجزء 24 ص 7.
(2) انظر شرح الطحاوي في العقيدة السلفية لابن الغضبية 242 تحقيق أحمد محمد شاكر - الناشر مكتبة أنس بن مالك 1400 هـ.
(3) مستحدث عن هذا بالنفي عند الحديث عن عذاب القبر وتعيمه.
عليها النفس، بخاصة وأنه قد مرنا عند تعريفنا للموت إطلاق النفس على الروح، وترتبت الموت على مفارقاتها للإنسان، يذكر شارح العقيدة الطحاوية، ابن القيم، في كتابه الروح أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح، فيتحدث مدالوه تارة ويختلف تارة أخرى، فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالبًا ما تسمى نفسها إذا كانت متصلة بالبدن، أما إذا أخذت مجردة فتسمى الروح أغلب عليها، وتطلق النفس على الدم، ففي الحديث لما من النفس له سائدة لا ينحس الماء إذا ما مات فيه، والنفس تطلق على ذات الإنسان يقول الله تعالى: "إِذَا دَخَلَ الْقُرْآنُ مِنْ حِيْبَةِ أَنْفُسٍ فَسَيْلُوا عَلَىٰ أنفسهم حَيْبَةً مِّنْ عِيدَةِ أَصْرَحٍ صَرْحَةْ طَيِّبَةٍ" (النور: 41) وتطلق النفس على العين الحاسدة، يقال أصابت فلانا نفس، أي عين، أما الروح فلا تطلق على البدن إلا على انفراد، ولا مع النفس، وإنما تطلق على القرآن تارة، يقول تعالى: "وَنَزَّلَهُ مِنْ السَّمَاوَاتِ رَفِيعًا مَّعْرُوجًا" (الشجاع: 193) وتطلق الروح على جبريل أيضًا، يقول تعالى: "فَرَزَّلَهُ مِنْ السَّمَاوَاتِ رَفِيعًا مَّعْرُوجًا" (الإسراء: 27) وتطلق الروح تارة أخرى على ما يؤيد الله به أولياءه، يقول تعالى: "أَوْلَٰئِكَ حَسَنُّونَ فِي جَزَائِرِ الْحَيَّانِ وَأُوْلَٰئِكَ يُرِيضُونَ رُحُولَهُمْ" (المجادلة: 22) وتطلق الروح على ما هو أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله والإثارة إليه.


(1) انظر شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ص 343، والروح لأن القيم ص 55.
وإذا تموت الأبدان، قالوا: وقد دلت الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح.
وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، ولو مانتم الأرواح لا تقطع عنها النعيم واللذة. (1)

وقد قال تعالى: {ولا تحسبوا أن نرزقكم في سبيل الله أموراً بل أنتم تزعمون أن نرغمكم على أن نرسل نملين فرسين} [ال.annotate: 169-170] هذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وذاقائ السوء. (2) حيث نرجح أن النفس بمعنى الروح باقي وأنها لا تختفي ولا تلغى.

وبعد أن بنيت هذه الأمور بالنسبة للفرق بين النوم والموت، وهل الموت ظاهرة تعتري البين أو النفس، وأوضحنا معنى موت النفس الذي ذكره الله في القرآن، نذكر عدة حقائق رائعة على القرآن بالنسبة للموت، منها:

اولاً: الموت عام لحكل البشر:


ويقول عزر وجل: {ليقتلن بنيكم في بنيكم} [الواقعة: 33]

والنهبة في هذه الآية تعني أن الناس جميعا صائرولا إلى الموت لا محالة، ولا ينجو منهم أحد كابن من كان، حتى رسول الله.{فط قد قال الله تعالى: فوما جعلنا لبشرين من بني آدم: أبينا ينت gated ax وهم فهم الموت} [الأنبياء: 44]

(1) من هؤلاء ابن رشد الفيلسوف، - انظر تهافت التهامات ص 833 - 834، القسم الثاني، تحقيق الدكتور سليمان نيما - دار المعارف - الطبعة الثانية.

(2) الروح لابن القيم ص 55.

(3) تفسير ابن كثير ج2 ص 296 طبعة غيسي الحلبی.
والمقصود أن كل أحد صائر إلى الموت لا محالة، ولا ينبغيه من ذلك شيء. فالكل له أجل مُحتمم.

والله عز وجل حين يقرر في القرآن الكريم أن الموت لا بد وأن تزوىه كل نفس ولا بد أن يقع على الجميع لا يقدم صباحاً لذيذة سوير أن الله وحده هو الحي الذي لا يموت وأن الموت مقدر على كل نفس سواء عز وجل.

هذا الذي يذكره القرآن الكريم ويعتقده المسلمون غير ما يذهب إليه النصارى من أن «موت الإنسان كان نتيجة من نتائج السقوط في الخطية، وأن الإنسان حين يرضى نعمة الله لا يحفظ شيء من الموت». (1)

ويستدل أحد علماء النصارى على عقيدة النصارى في ترتيب الموت على الخطية بفقرة في سفر التكوين تقول: «إنه أدم أبدع عن شجرة الحياة التي كانت تجعله خالدًا، أي أنه فقد نعمة الخلوة بابتداؤه عن الله مصدرها، ويعتبر أن الموت ضد طبيعة الإنسان الأصلية، فإن الله خلق الإنسان خالدًا وصُنع على صورة ذاته». (2)

ثانيًا: الموت والحياة بامر الله وحده:

يقرر القرآن الكريم أن الموت لا يقع إلا بأمر الله. يقول الله تعالى: «فَوَيَدُّ اللَّهُ وَيُصَلِّي عَلَى مُوسَىٰ وَيُقُولُ لِأَمْرِهِمْ يَتْبَعُواَ الْمُلْكَ يَتْبَعُواَ الْمُلْكَ» (آل عمران: 156).

أي أن الله يبره الخلق، وإليه يرجع الأمر كله، ولا يحيا أحد ولا يموت أحد إلا بمشيئته وقدره، ولا يزد في عمره ولا ينقص منه شيء إلا بقضاءه وقدره.

ويقول الله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ أَنْعَمُ عَلَيْهِ وَرَضَيْنَاهُ وَإِنَّا أَلْمَصِيرُونَ» (ق: 43).

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «إِخْبَارٌ عَنْ قِدرِهِ تَعَالَى عَلَى بَدْهِ الخلق وإعادته. وأنه هو الذي أحيا الخلق من العدم، ثم يحييتهم، ثم يبعثهم كلهم لِيَوْمٍ» (3).

(1) مدخل إلى العقيدة المسيحية ص 93 تأليف كوشللي يندلي وآخرين منشورات النور بيروت.
(2) المصدر السابق ص 93، 279 - وسوف نناقش النصارى في عقائدهم في مفسرين تلك عند الحديث عن العلاقة بين الموت والخطيئة في مفهوم النصارى.
الجمع


وقد ورد في القرآن الكريم إضافة التوفي إلى الله تارة، وإلى الملائكة تارة، وإلى ملك الموت تارة أخرى، كيف يوفيق بين هذه الآيات وبين ما يؤكد عليه القرآن الكريم من أن الموت بيد الله وحده؟ يقول القرطبي: "إن قال قائل: كيف الجمع بين هذه الآيات، كيف يقبض ملك الموت في زمن واحد أرواح من يموت بالشرق والغرب؟ قبل له: أعلم أن التوفى مأخوذ من توفيت الدين واستوحته إذا قضيه ولم ندع منه شيئاً، فتاراً بضفململك الموت لمسأبه ذلك، وتاراً أخرى إلى أعوانه من الملائكة لأنهم قد يтолون ذلك أيضاً، وتاراً إلى الله تعالى وهو المنفوذ على الحقيقة كما قال عز وجل: "إِنَّ اللَّهَ يُتْرُكُ الأَنفُسُ سَيْنَ مَيْتِهَا أَحَيَّةٌ" [النذر: 43] وقيل: "وَهُوَ أَلْيَزَ أَثَانِيَةٌ يُبَيِّنُ لَهُمْ" [الملك: 2] فكلاً مأمور من الملائكة فإنهما يفعل ما يفعل بأمره؟). ولهذا يروى ما يظن أنه تعارض بين آيات القرآن بعضها وبعض الآخر، وثبت أن الموت بأمر الله وحده، وأن الذين أضيف إليهم التوفي من الملائكة أو ملك الموت فإنهم يتصرفون بأمر الله القادر على الموت وحده.

(1) تفسير ابن كثير ج 2 ص 549
(2) انظر مدخل إلى العقيدة المسيحية ص 279 وما بعدها
(3) التذكرى للقرطبي ج 1 ص 84 - 85 وأنظر تحقّفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص 199
ثالثًا: أن لحكم نفس أجلًا معلومًا:


والقرآن الكريم وهو يتحدث عن الموت لا يذكر شيئًا عن الأشياء التي تسبب الموت ولكن يصور عجز البشر عن رد الحياة لإنسان أراد الله له الموت. يقول تعالى: {«فقلوا إذ بلغتم النحلوم وأنتم جهنم تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فقولوا إن كنتم عبر مدينين ترجوعنا إن كنتم صادقين»} [الواقعة: 37-38]، وهذه الآية تصور عجز البشر التام عن رد الحياة لإنسان يقرد الله له الموت. فالجميع من حوله وهم يعلمون أنه بحتمرة، ولكن لا يملكون أن يردوا النفس بعد أن بلغت الحبلوم إلى مكانها الذي لا يعرفها إلا الله وهي من أبلغ الآيات التي يتحدث الله بها البشر على قدره ونصرفه في خلقه.

وهنا نطرق إلى مبحث من الفائدة أن نذكره هنا ونحن نتحدث عن الأجل المعلوم الذي قدره الله لكل إنسان.

المقتول هل هو ميت بأجله أم لا؟

يرى أهل السنة أن كل مقتول ميت باقية عمره وحضور أجله في الوقت الذي علم الله حصول موته فيه أزلا بخلقه تعالى من غير مدخله للقاتل فيه، وإنما

(1) ابن كثير ج2 ص 456
(2) نفسه ج2 ص 456
القاضي عبد الجبار من المعتزلة برى: "أأن من مات حتف أنفه مات بأجله، وكدنا من قتل فقد مات بأجله أيضًا، ولا خلاف في هذا، والدليل عليه أن الأجل ليس المراد به هنا إلا وقت الموت، وهو قد ماتا جميعًا في وقت موتهما". 

وهذا يبين أن ليس خلاف بين القاضي عبد الجبار في هذه المسألة وبين أهل السنة وإنما الخلاف بين القاضي عبد الجبار وبين بعض شيوخ المعتزلة - وبين بعض شيوخ المعتزلة وأهل السنة في أنه لو لم يقتل كيف يكون حاله في الحياة والموت؟

١) انظر الإرشاد ص ٣٦٢ - ٣٦٣ بتصرف وانظر تفسير المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٠٠ - ٢٠٢.

٢) الاقتصاد في الإعتقاد للإمام الغزالي ص ١٨٧ - الناشر مكتبة الجندي.

٣) الأصول الخمسة: للقاضي عبد الجبار ص ١٨٧ - الناشر مكتبة وهرة.
يقول القاضي عبد الجبار: «الخلاف في المقتول لو لم يقتل كيف كان يكون؟ فعند شيخنا أبي الهذيل أنه كان يموت قطعاً لولا، وإلا يكون القاتل قاطعًا لأجله، وذلك غير ممكـن، وعند البغدادي أنه كان يعيش قطعاً».(1)

ثم يبين القاضي عبد الجبار رأي جمهور المعتزلة (2) في تلك المسألة بقوله:

والذي عدنا أنه كان يجوز أن يحيا ويوجز أن يموت، ولا يقتطع على واحد من الأشياء، فليس إلا التجوز، (3) ويُثبت صاحب الأصول الحمـسة ما ذهب إليه أبو الهذيل بقوله: «وأما ما قاله أبو الهذيل فليس يصح، لأن ذلك الأجل الذي لو لم يقتل فيه لبقى إليه أجل غير محق، فكيف يلزم أن يكون قاطعًا لأجله».(4)


ويستدلون أيضًا بقوله تعالى: "كل نفس ذائعة الموت" (العمران: 185) على أن المقتول يسبي بالميـت.(1) وبعد عرضنا للأدلة ينبين لنا أن ما ذهب إليه أهل السنة هو الحق، وأن الكثرة من المعتزلة بذهبو إلى أن المقتول ميت بأجله، ولا يجزمون برأي فيما لو فرض عدم موت المقتول حين القتل، كما ذهب إلى ذلك أهل السنة، وأن من شد من المعتزلة فقد كفاننا القاضي عبد الجبار ميئة الرد عليهم وتفتيح أدالتهم.

(1) الأصول الحمـسة للقاضي عبد الجبار ص 182 الناشر مكتبة وهبة.
(2) أنظر مقالات الإسلاميين للأعشري ج 1 ص 324، يذهب الأعشري إلى أن أكثر المعتزلة على أن الأجل هو الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان يموت فيه أو يقتل، فإذا قتل قبل بأجله وإذا مات مات بأجله.
(3) الأصول الحمـسة للقاضي عبد الجبار ص 783.
(4) نفسه ص 783.
(5) أنظر تفسير المريد شرح جوهرة التوحيد ص 201.
(6) التفسير الكبير للفى الرازي ج 9 ص 125.
رابعاً، حال المؤمنين والكافرين ساعة الاحتضار والمال الذي يصبرون إليه:

ينص القرآن الكريم حالة المؤمن وحالة الكافر عند خروج الروح أثناء الموت، فالروح والريحان للمؤمن. يقول الله تعالى: "فَأَنَّكَ إِنْ كَانَ مِنَ الْمُتَّقِينَ مُقْعُوتُ وَرُجَّحَ هَكَذَا وَلَكَ ۖ أَنَا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَّمْ لَهُ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ" (الواقعة: 88-89) وهذه الآية تبين حالة المؤمن عند خروج الروح. والمأل الذي يشير إليه إن كان من المقربين أو كان من أصحاب الهمين.

والفحص والحميم والجاحيم للكافر المكذب. يقول الله تعالى عن المبتعدة، خروج الروح:

"وَأَنَّكَ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَفَّارِ الْمُضْنَأَةِ الْكَلَّامُنَّ مُفَّلَّتْ بِصَبْرِهِ وَضُرُّهُ" (الواقعة: 92-94). وينص الله تعالى: "وَلَوْ تُرَى إِذَّ يَتَوَفَّى أَلَذِينَ سَكَنُوا الْمَلَائِكَةُ يُصَيَّرُونَ وَجْهَهُمْ وَأَدِسْرُهُمْ وَذُوَّوْا عَذَابُ الْجَحِيمِ" (الأنفال: 50) ونفس المصير يتعرض له الأشخاص عند خروج الروح. يقول الله تعالى: "وَلَوْ تُرَى إِذَّ أَلَدْنَى فِي عَمَّارِي الْمَوْرَدُ وَالْمَلَائِكَةُ بِأَسْفَلِيْهَا أَسْفَعْ بِمَا جَعَلْنَا عِدَّةً أَلْهُوُبِهِ وَأَكْسَبْنَاهُ أَحْسَبَ ۖ إِنَّهُ مُحَوَّرُ عَذَابَ الْجَحِيمِ يُقْتَلْنَ إِلَى اللَّهِ ۗ ۖ وَكَنَّا نَعْلُهُمْ عَلَى الْأَرْضِ عَبْرَ أَلْهَيْهِ" (الإسماع: 33).

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "إن الكافر إذا احترض نشرته العذاب والنكال والأغلال والسلاسل والحميم والجاحيم وغضب الرحمن الرحيم، فتفرق روحه في جسدته وتعصى وتأتي الخروج، تضريهم العذابات حتى نخرج أرواحهم من أجسادهم (1)."

وكما رأينا فإن القرآن الكريم يذكر عن الموت حقائق أساسية؛ لفلا يضلل الإنسان، ولأن الموت بداية لرحلة طويلة يقطعها الإنسان في عالم آخر يختلف عن الدنيا، ومن هنا كثرت الإشارة إليه على النحو الذي ذكرنا.

ولأهمية الموت وما يقع بعده حث الرسول ﷺ المسلمين على تذكره والعمل

(1) تفسير ابن كثير ج2 ص 107.
لما بعدة باعتبار أنه أمر لا مفر منه وأن تذكره يحفر للعمل لما بعده.

روى النسائي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أكرروا ذكر هاذم اللذات» (1).

ويفسر القرطي في تذكره هاذم اللذات فيقول: "عنى الموت" (2).


وهكذا نرى اهتمام الرسول ﷺ والقرآن الكريم بالموت والبحث على ذكره والعمل لما بعده.

ولعلماء الإسلام استنباطات قيمة من القرآن الكريم في أمر الموت، ما بين معتبر إياه نعمة كبرى من النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وما بين واقف عند بعض ألفاظ القرآن الكريم التي تعتبره مصيبة، وعلى كل الأحوال فهو «مصيبة» يصاب بها الإنسان، ولا يقدر أن يدفعها عن نفسه، ولا يدفعها أحد عنه، وهو مع ذلك نعمة كبرى إذا كان قنطرة يعبر عليها الإنسان الصالح إلى الجنة، يقول القرطي في التذكرة: "وهو لا الموت، فمن أعظم المصائب وقد سماه الله تعالى مسماً مصيبة في قوله: «فأصابته مصيبته الالم» (المائدة: 106) فالموت هو المصيبه الكبرى والرزية العظمى" (4) هكذا يراه القرطي، وهو يقف في نظره تلك عند حدود ألفاظ القرآن الكريم التي تصف الموت بأنه مصيبة، ولكن الراغب الأصفهاني في كتابه "تفسير النشائين" ينظر إلى الموت على أنه نعمة أنعم الله بها على الإنسان، يقول عن الموت "فالموت باب من أبواب الجنة، منه يتواصل إليها، ولو لم يكن موت لم تكن جنة، ولذلك من الله".

(1) رواة النسائي ج 4 صفحة 4 الناشر دار الفكر بيروت - الطبعة الأولى.
(2) التذكرة للقرطي ج 1 صفحة 14.
(3) رواه ابن ماجه ج 2 صفحة 1423 الناشر دار الفكر الحديث.
(4) التذكرة للقرطي ج 1 صفحة 3 تصرف بسير جداً.
الموت بين الإسلام والتراويح واليهودية

به على الإنسان [الله] خلق الموت والحياة [الموت] ثم أدرك الموت، ثم أدرك أحسن عمله [الملك: 2]. فقدم الموت على الحياة تنبىها على أنه يتوصل به إلى الحياة الحقيقية، وعدها علينا نعمة [كيف تكونت بإله ومبني، ثم أدرك الموت، ثم أدرك أحسن عمله؟] (البقرة: 28)، فجعل الموت إلماماً، لأنه لما كانت الحياة الأخروية نعمة لا وصول إليها إلا بالموت فالموت نعمة، لأن السبب الذي يتوصل به إلى النعمة نعمة.

وعلى هذا نبى الله تعالى بقوله: [فأدرك الموت، ثم أدرك أحسن عمله] (المؤمنون: 141-142) فنبه على أن هذه التغييرات خلق أحسنها.

والذي ذهب إليه الراغبون في الحياة الإلهيّة يستحقو الوقوف عنده التأمل فيهم، فقد دعا الرسول ﷺ أمه أن يدعو الواحد منهم ربه بهذا الدعاء الذي رواه الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [لا يمين أحد منكم الموت لضনزل به، فإن كان لا بد من مثلي للموت فليقل: اللهم أحنني ما كنت الحياة خيرًا لي، وتوبيفي إذا كانت الوفاة خيرًا لي؟].

وأيضًا اعتبر رسول الله ﷺ أن الموت خير للمؤمن من الفتنة.

روى الإمام أحمد بن سبده عن محمود بن لبيد مرفوعًا أن النبي ﷺ قال: [ثنتان يكرهما ابن آدم: الموت، والموت خير للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب؟].

والإمام الغزالي ينظر إلى الموت لا باعتباره هو، ولكن باعتبار الشخص الذي يقع عليه الموت يقول في كتابه (ميزان العمل):

(1) ففصل النشأتين ص 31 للراغبين الأصفهاني نقلًا عن الله والهانين من 219 للأستاذ عبد الكريم الخطيب.
(2) صحيح البخاري ج 4 ص 106، 107 - طبعة عمري الحضري.
(3) مسند الإمام أحمد ج 5 ص 427 - الناشر دار الفكر العربي.
الناس عنده - أي الموت - ثلاثة أقسام:
الأول: ذو بصرة علم أن الموت يعتقه والحياة تسترقه، وأن الإنسان وإن طال في الدنيا مكنه فهو كخطفجة برق لمعت في أكشاك السماء ثم عادت للاختفاء، فلا يقبل عليه الخروج من الدنيا إلا بقدر ما يغول من خدمة ربه وزوجه، والأزدياد من تقربه والإشفاق مما يقول أو يقال له، كما قال بعضهم لما قيل له: لم تجزع! قال: لأنني أسلك طريقاً لم أعهد وأقدم على رب لم أره، ولا أدرى ما أقول وما يقال لي. ومثل هذا الشخص لا ينفر من الموت (1) - هذا الشخص في نظر الإمام الغزالي لا ينفر من الموت بل أكثر من ذلك أنه إذا عجز عن زيادة العبادة ردما اشتاق إليه (2).

الثاني: رجل رديء البصيرة، متلطتخ السريرة، منهك في الدنيا، منغمس في علاتتها، رضي بالحياة الدنيا واطمان بها، وبسن من الدار الآخرة كما يس الكفار من أصحاب القبور، فإذا خرج إلى دار الخلود أضمر به - أي الموت - كما تضر رياح الورد بالجعل (3). وإذا خرج من قاورات الدنيا لم يوفقه عالم العلا ومصيب المحال الأعلى، فكان كما قال تعالى: "ومن كان في هذين أعظم فهم في الآخرة أعمى وضل سبئيل" [الإسراء: 27].

الثالث: رتبة بين رتبتين. رجل عرف عوائل هذا العالم، و كره صحبه، ولكنه أنس به وألفه، فسبيل سبئيل من أليف بيتا مظلمة قذرًا ولم تزته، فهو يكره الخروج منه وإن كان قد كره دخوله، فإذا خرج ورأى ما أعاد الله للصالحين لم يتأسف على ما كره تواته، بل قالوا: "أَمْلَحُمُ اللَّهُ أَلْبَىْ أَذْهَبْ عِنْدَهُمْ إِنَّا رَبُّكُمْ لَفْتَرُونَا لَمْ نَفْسُكُمْ مَعِيَّنَةً فَمَا فَيْتَكُمُّ النُّجُومُ وَلَا يَسْمَعُونَ فَيْهَا لَعْبُوتُنا" [طه: 43-44] (4). بهذه النظرية الشاقيه استطاع الإمام الغزالي أن

---

(1) من ميزان العمل ص 163 للإمام الغزالي - الناشر مكتبة الجندي.

(2) نفسه.

(3) الجمل - حيوان كالجبشاء يكثر في المواضع الندية. المعجم الوسيط ج 1 ص 126.

(4) انظر ميزان العمل ص 113 - 114.
يدين موقف الشخص بالنسبة للموت، فهو نعمة عظمى للمرجع الصالح (1) لأنه يوصله إلى النعيم، وهو موضوع كبير للمراحل الطالب لأنه يوصله إلى الجحيم.

ومما تجدر الإشارة إليه سريعاً أن العلم الحديث بالرغم من تقدمه الهائل لا يستطيع أن يقدم تفسيرًا لحدث الموت، ولا يستطيع أيضًا أن يرد الجواب عن الإنسان أولاد الله له الموت، يقول الأستاذ وحيد الدين خان: «إن الذين لا يؤمنون بالعالم الثاني - الآخرة - يحاولون بدافع الغريزة أن يجعلوا من هذا الكون عالمًا أبدًا لأفرادهم، ولذلك بحثوا كثيرًا عن أسباب الموت، حتى يتمكنوا من الحيلولة دون روعه هذه الأسباب من أجل تخلية الحياة، ولكنهم أخفقوا إخفاقًا دريًا. وكلما بحثوا في هذا الموضوع رجع إليهم بجثة برلمانية جديدة عن حقيقية الموت، وأنه لا مناص منه» (2).

غسل الميت وتقفينه والصلاة عليه ودفنه:

من الأمور التي ترتيب على الموت في التصور الإسلامي: غسل الميت وتقفينه ودفنه والصلاة عليه.

يقول البغدادي في أصول الدين: «الأموات ثلاثة أحكام، منها حكم الكفن والمؤونة والشعل والدفن، فأما حكم الكفن والمؤونة والغسل فإنه أول ما يبدأ به من رأس مال الميت قبل الدنيا والوصايا» (3).

وغسل الميت واجب عند الجمهور، يقول ابن حجر في الفتح: «الجمهور على وجهه، وقد رد ابن العربي على من لم يقل بذلك، وقد توارد به القول والعمل وغسل الطاهر المشهور فكيف بين سواء» (4).

(1) الإسلام يحتوي ص 79 - 80 للأستاذ وحيد الدين خان - ترجمة ظهر الإسلام خان، ونشر
اليوم الآخر والحياة المعاصرة ص 33 للدكتور عبد الغني عبود.
(2) الإسلام يحتوي ص 79 - 80 للأستاذ وحيد الدين خان - ترجمة ظهر الإسلام خان، ونشر
اليوم الآخر والحياة المعاصرة ص 62 - 63.
(3) أصول الدين للبغدادي ص 300 - الطبعة الثالثة 1981 دار الكتب العلمية.
(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج 3 ص 97 دار إحياء التراث العربي
- الطبعة الثانية 1981.
والدليل عليه ما رواه البخاري عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفيت ابنته فقال: "اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك - إن رأيت ذلك - فما أسدى وسدر - واجعل في الآخرة كيفًا أو شيئاً من كافور، فإذا فرغتم فذبى فلما فرغتم آذناه، فأعطاناه حقوقه، فقال: آه! أشعرنها إياه. يعني إزاره (1).

ووالحديث يدخل على وجوب الغسل للملامع واستحباب تطهير الماء الذي يغسل به الميت. قال في الفتح: "وظهره جعل الكافور في الماء، وله قال الجمهور، وقال النحبي والكوفيون إنما يجعل في الحنوط، أي بعد انتهاء الغسل والتجفيف. قيل: الحكمة في الكافور مع كونه يطيب رائحة الموضع لأجل من بحور من الملائكة وغيرهم، أن فيه تجفيفًا وبريده وقوة نفوذ وخاصة في تصليب بدن الميت وطرد الهواء عنه، ورد ما يتخلله من الفضلات، ومنع إسراع الفساد إليه، وهو أقوى الأرابيب الطبية، ويجري كل رائحة طيبة غير الكافور (2) وقوله (3) "أشعرنها إياه، أي اجعلن الإزار شعارها أي الثوب الذي يلي جسدها.

ويستحب المسارعة إلى تجهيز الميت إذا تيقن موته لأنه أصوله له وأحفظ أن يتغير. قال الإمام أحمد: "كرامة الميت تعجيله لما أراه أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم "إن أرى طلهة... وقد حدث فيه الموت، فأذنني بأمره، وعجلوا فإنه لا ينبغي ليجعله مسلم أن نحبس بين ظهري أهله" قال صاحب المغني: "ولا بأس أن يتذكر بها مقدار ما يجتمع لها جماعة لبئس يوم الدعاء له إذا صلى على مه ما لم يخف عليه أو يشتق على الناس" (3).

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤمن لا ينجس حيًا ولا ميتًا (4). قال ابن

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج 3 ص 99، 100، 101
(2) انظر فتح الباري ج 3 ص 100، 101
(3) المغني لابن قدامة أبي عبد الله بن أحمد بن قادة ج 4 ص 524 الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.
(4) يعكس ما نجد عند اليهود إذ يعتقدون أن الميت حي ومستعرض لهذا عند الحديث عن غسل الميت عند اليهود.
عباس رضي الله عنهما: "المسلم لا ينجس حيًا ولا ميتًا"، وقال سعد: "الو كان نجسًا ما مسته" (1).
و هذا النفي ينبغي عن المؤمن كونه نجسًا حقيقة ومجازًا.

تحكينالميت:
روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب يمانية بيض صحوجية من كرسف، ليس فيهن قميص ولا عمامة (2) ووجه الاستدلال بالحديث أن الله لم يكن ليختار لنبيه إلا الأفضل، والثلاثة الأثواب ليست شرطًا في صحة الكفن، وإنما يستحب ذلك، وهذا ما عليه الجمهور (3)، ويجري ثوب واحد.

صلاة على الميت:
أما الصلاة على الميت فقد فعلها الرسول ﷺ وثبت عليها.
روى البخاري بسنده، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: "فأثنى في اليوم رجل صالح من الحبش فصلوا عليه، فقسمنا، فصلني النبي ﷺ ونحن صفو" (4).

وقد استدل الفقهاء بهذا الحديث على مشروعية الصلاة على الميت الغائب عن البلد، قال بذلك الشافعي وأحمد وجمهور السلف، حتى قال ابن حزم: "لم يأت عن أحد من الصحابة منعه" (5).
و حث الرسول ﷺ على إتباع الجنائز والصلاة عليها. روى البخاري بسنده عن

---

(1) فتح البخاري ج3 ص 98 99.
(2) المرجع السابق ج3 ص 105.
(3) نفسه.
(4) المرجع السابق ج3 ص 146.
(5) فتح البخاري ج3 ص 46.
أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من شهد جنازة حتى يصلي فله قبرات، ومن شهد حتى تدفن كان له قبراطان. فهل وما الخير؟ قال: مثل الجبلين العظيمين (1).

وقد يختلف في بيان رأفة النبي ﷺ ورحمة بأمته إذ إن شهود الجنازة والصلاة على الميت فيه ثواب وأجر للهِي الذي يقوم بذلك، وأيضًا رحمة بالميت، إذ كلما كثر الذين يصلون عليه كان ذلك رحمة به، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ.

ثانيا: الموت في التصور النصري

يقسم النصارى الموت إلى قسمين: الموت الجسدي الذي هو مفارقة الحياة، والموت الروحي وهو عبارة عن انفصال النفس عن الله.

ورد في قاموس الكتاب تحت مادة الموت ما نصه: "الموت ينقسم إلى ما يصيب الجسد فقط دون النفس وإلى ما يصيبهما معًا" (2) وورد في إنجيل متى: "لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، ولكن النفس لا يقتلون أن يقتلونها، بل خافوا - بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم" (3) وسوف نقتصر في بحثنا هنا على الموت بمعناه الجسدي، لأنه المقصود في البحث ويعرف الموت الجسدي عند النصارى بأنه "انفصال النفس عن الجسد، وعودة الجسد إلى التراب متحللاً إلى عناصره البسيطة" (4). ويعرف عن هذا الموت الجسدي للإنسان تعبيرات مختلفة في العهدين القديم والجديد، أوردها علم اللاهوت النظامي. يعبر عن موت الإنسان الجسدي في الكتاب المقدس بالانضمام إلى قومه (5)، وبالذهب في

(1) المرجع السابق 3 ص 154.
(2) قاموس الكتاب المقدس ص 949 - تأليف لجنة من اللاهوت - الطبعة السادسة 61.
(3) إنجيل متى 10 - 28.
(4) حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص 258 - تأليف القص. فائز فارس - الناشر دار الثقافة - الطبعة الأولى.
(5) سفر التثنية 32: 5.
الموت بين الإسلام والنصرانية واليهودية

طريق الأرض كلها (1)، وبالانضمام إلى آبائه (2)، ويرجع التراب إلى الأرض، وبالنوم (3)، وبالموت (4)، وجهد بيت خيمتنا الأرضي عند السرب (5)، وبالرقد، يبسوع (6)، وبالانحلال (7)، وبالنزول إلى القبر (8).

والموت الجسدي عند النصارى مترتب على خطيئة آدم الذي لا بد من الموت لكل إنسان لأن آدم الإنسان الأول سقط في الخطيئة (9).

وورد في رسالة رومية هذا المعنى، وهو ترتيب الموت على خطيئة آدم عليه السلام، لأن الجميع معه، من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، والخطيئة الموت هكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذا أخطأ الجميع (10).

ما سبق يتبين لنا أن الموت الجسدي مصيب خطيئة آدم التي ورثها الناس عنه. يقول صاحب «مدخل إلى العقيدة المسيحية»: «الذي كانت نعم الله تكثيف الإنسان وتحفظه من الأمراض والموت، أما وقد رفض هذه النعمة وتعري عنها، فلم يعد شيء يحفظه من الانحلال الذي تؤول إليه طبيعته إذا تركت وشأنها، هذا ما عبر عنه الكاتب المقدس بقوله: إن آدم أبعد شجرة الحياة التي كانت تجعله خالداً (11) أي أنه فقد نعمة الخلود بابتعاده عن الله مصدرها، وبهذا المعنى قال الله لأدم: نعود إلى الأرض التي أخذت منها لأنك تراب وإلى التراب نعود (12). وواصل المؤلف استدلاله على

(1) جامعة 12 - 7.
(2) القضاء: 2: 1.
(3) يوحنأ: 11: 11.
(4) رسالة كورنيلوس الثانية: 5: 1.
(5) كورنيلوس الثانية: 5: 9.
(6) رسالة تالوثوسي: 14.
(7) رسالة نبأ شلاموس الثانية: 4: 6.
(8) خم اللافتون النظامي - لجنة من القساوسة ص 137 - 119 - الناصر دار الثقافة المسيحية.
(9) إيماناً الحي ص 508 - 1187 - تأليف الأدب درويك كليمان البسوعي. الأب آدمون تارجي.
(11) مدخل إلى العقيدة المسيحية ص 93 وسفر التكوين 3: 19.
(12) يعقوب: 1: 15.
(13) سفر التكوين: 3: 22.
أن الموت ليس من صنع الله فيقول: «فالموت ضد طبيعة الإنسان الأصلية، فإن الله خلق الإنسان خالدًا، وصنعه على صورة ذاته، وكذلك ليس الموت من صنع الله ولا يسبره هلاك الأحياء» (1). وواضح من النص الذي نقلته عن صاحب مدخل إلى العقيدة المسيحية أنه يعتبر أن الإنسان خالد، وأن آدم لم يخطئ لصراحة. ومات البشر من بعده، ويعتبر أن الموت ليس من صنع الله، لأن الله خالد وخلق الإنسان على صورة ذاته خالدًا أيضًا، والمحور الذي يترتكز عليه العقيدة النصارية في الموت: خطيئة آدم عليه السلام وترتب الموت لآدم وللبشر من بعده عليها، وهذه المعاني تفيض بها الأناجيل وأعمال الرسول، ورد في رسالة يومية: «أن أجزء الخطيئة هو موت وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيه يسوع رتبنا» (2).

وردد في رسالة كورنثوس الأولى: «أما شوكة الموت فهي الخطيئة، وقوة الخطيئة هي الناموس» (3) ويفسر صاحب الكهن التجيل النص السابق بقوله: «فأما شوكة الموت فهي الخطيئة، لولا الخطيئة لم يكن للموت قوة على الإبداء» (4).

النصوص السابقة والثانية يقوم عليها اعتقاد النصارى تذهب إلى أن سبب الموت الخطيئة، وهنا نجد اختلافًا جوهريًا بين التصور الإسلامي للموت والنصوص النصارية، فالقرآن الكريم لا يقدم سببًا للموت سوى أن الله وحده هو المستحق للبقاء بقوله تعالى: «كل شيء هاذا إلّا ما جَعَلْنَهُمْ لِيُفْلِحُوا وَيُصَلِّوْنَ» (القصص: 89).

والسؤال الذي نطرحه هنا للنصارى بعد استعراضنا للنصوص التي تربط بين الموت والخطيئة هو: ماهو علاقة خطيئة آدم بموت البشر من بعدة؟ ولماذا لم يخطئ آدم لكتب للكتب الخلق من بعدة وامتنع عنهم الموت؟ هذا يذهب

(1) مدخل إلى العقيدة المسيحية ص 279.
(2) رسالة رومية: 6: 23.
(3) كورنثوس الأولي: 15-56.
(4) الكهن التجيل في تفسير الإنجيل ص 304 ج 6.
صاحب مدخل إلى العقيدة المسيحية والنصوص التي أوردناها تثبت ذلك، بل إن ميخائيل مينا يصرح بذلك بقوله: "أهلاً، لم يخطئ آدم لما مات، ولما كنا نحن أيضًا نموت، بل نحيا حياة سعيدة على الأرض، وأسما من قبل في السماء" (1).
والذي ذهب إليه ميخائيل مينا وغيره من النصارى مختلف للفنبرة ولسنن الله في الكون، ونحن نفترض هنا أن آدم أحضا، فالعقل يقول إنه هو الذي يتلحم نتيجة ذلك الخطأ، إن ملباسي إذا علق بها بعض القاذورات، فلا يزال هذه القاذورات غسل ملباسي غيري، وإنما ملباسي أنا، وعلى رفض أن البشر ورثوا هذا الخطا عن آدم (2)، فالنصارى تعتقد أن المسيح جاء ليتحمل الأخطاء عن البشر، والنتيجة المنطقية أن يرفع المسيح الموت عن الناس، ما دام قد تحمل خطاباهم التي تسبب الموت لهم. وهنا نرى الاضطراب الواضح لدى النصارى حين يرتبون الموت على الحقيقة التي ارتكبها آدم عليه السلام كما يعانون.
ونحن نعتقد أن الإنسان لا يتلحم أوزار غيره قال الله تعالى: "ولَآ رَأَيْتُ وَأَزْوَاجِيَْ وَأَزْوَاجَ أُخْرِىَْ" (الأنعام: 164)، وقال سبحانه و تعالى: "وَأَنْ لَيْسَ لِلَّهِ مَثَلُ مَا سَمِعْتُ وَالْجَمِيعِ" (النجم: 39).
ونحن أيضًا أن آدم تاب فتاسب الله عليه، يقول الله تعالى: "فَلَقَّبَهُ ابْنَى عَلَيْهِ إِنَّهُ مَوْلَىُّ الْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" (البقرة: 27)، والتابث من الذنب كمن لا ذنب له.
ويصل الأمر إلى أبعد من ذلك عند النصارى في فهمهم للموت وعلاقته بالسيدة المسيح يقول الأنباء يؤنس عن الموت: "إن ليس هو النهاية أو الخاتمة، إنما هو نهاية رحلة مؤلمة من مراحل حياة الإنسان في عالم الشقاء والتعب، كما أنه بداية لحياة أبدية سعيدة لا تنتهي، فالسيدة المسيح له المجد، ذلك الموت بإرادته فحوله إلى حياة" (3).

(1) علم اللاهوت - ميخائيل مينا جد 2 ص 284.
(2) تقول هذا مجازاً للخصم.
(3) السماوات للأنباء يؤنس ص 94.
وقائع الأيام الآخر

ونحن نتساءل هنا تعليقاً على كلام الأنبا يوائس: إذا كان المسيح قد ذاق الموت بإرادته فحوّله إلى حياة، فلماذا صرح حين الموت وهو على الصليب:

(1) على حد تعبير إنجيل متى، فقد ورد فيه ما نصه: "فونحو الساعة التاسعة صرح يسوع بصوت عظيم قائلًا: إيلي إيلي لم أشيقتي أي إله إلهي لماذا تركتي؟ فقوم من الواقفين هنا كنما سمعوا قالوا: إنه ينادي إيليا، وللوقت ركض واحد منهم وأخذ سفينته وسماها خلّ، وجعلها على قصبة وسقاء، وأما البقاقون فقالوا: اترك لندى هل بأتي إيليا يخلصه، فصرخ بصوّة أيضاً بصوت عظيم وآسلم الروح.

(2) هذه الصورة التي يرسمها لنا إنجيل متي للسيد المسيح وهو على الصليب لا تناسب مع كون المسيح إيليا وابن إله كما يزعم النصارى، وإذا كان المسيح قد حول الموت إلى حياة فلماذا صرح واستغاث، وإذا كان قد أخذه "على ماتقه بطاقة كاملة ومحبة منتفحة"، كما يقول صاحب كتاب "إيماننا الحي"، فلماذا استنكر أن يترك للموت وينادي مستغفيًا ومتعرضاً على ما فعل به: لم أشيقتي.

(3) كل هذه المتناقضات تبطل اعتقاد النصارى في أن الخطيئة هي سبب الموت، وأن المسيح قد حول الموت إلى حياة، ولست في مجال مناقشة النصارى في ميراث البشر لخطيئة آدم، ولا لتحمل المسيح هذه الخطايا عن البشر.

(4) الذي أوردنه عن النصارى في تصورهم للموت وأسبابه تختلف تمامًا عن الموت في الإسلام وما يعتقده المسلمون من أن الموت بيد الله وحده وليس له أسباب سوى أن الله وحده هو الحي الذي لا يموت، إلا أننا نجد عند النصارى بعض الأشياء الخاضعة

(1) نقول هذا جeterminate للخصوص فيما يعتقد إذ إننا نعتقد أن المسيح لم يقتل ولم يصاب قال الله تعالى: "وَلَمْ يُقْتِلْ وَلْيَصْلَ قَالَ الَّذِي خَلَقَكُمْ" (الناساء: 157).

(2) متى: 27: 47: 50.

(3) إننا الحدي ص 507 لربر دايمان البسيعي.

(4) ينظر بالتفصيل هذا الموضوع في "الخلاص المسحي ونظرية الإسلام إله" رسالة ماجستير للباحث أحمد عجبية - مكتبة كلية أصول الدين بطنطا - الفصل الخامس الخاص بموقف الإسلام من تحل الإنسان لأوزار غيره من ص 593 - 222.
الموت الذي تتفق مع التصور الإسلامي عنده:

أولًا: الموت عام لجميع البشر:

يقول الآب يوحنان: «فالفوت يشمل جميع البشر، حتى إن المرتل بتسائل في تعجب
أي إنسان يحيا ولا يرى الموت» (1)، ونفس المعنى يؤكده بولس بقوله: «وضع للناس
أن يموتون مرة ثم بعد ذلك الدينونة» (2).

ثانيًا: إن وقت الموت غير معلوم:

يقول صاحب كتاب إيماننا الحي: «ولا نعلم من أو لا أبين ولا كيف يغتنش الموت؟
ولكن نعرف بقيننا أننا إذا متنا أبناء لله نخلص» (3).

وعند النصارى أن الموت يأتي بغتنا، ولا يعلم أحد زمانه ولا مكانه، وعندهم أن
الموت يأتي في وقت لا يتوقعه الإنسان، يقول الأب ميشيل ميتيم: «والموت يأتي
كالساقر في ساعة لا نظمنها، وقد نبهنا إلى ذلك يسوع حين قال: «والغوات التي في
السماءات تتزعزع وحينئذ ينصرون ابن الإنسان آنا في سحاب بقوة كثيرة ومجدة» (4).
وإذا هذا النص يستدل به عند النصارى على عدم علم أحد بالقيامة، ولا أدرى لماذا
استدل به المؤلف على عدم تحديد ساعة الموت. الله إنا إذا كان يقصد بالقيامة
الموت.

ولا تقدم الأناجيل صورة مفصلة عن خروج روح الموت، وماله كما قدم
القرآن الكريم كل ما ذكره إنجيل لوقا: أن الصالح تحمل روحه الملائكة إلى
السماء، وأن الفاسد تهوى روحه إلى الحاوية في العذاب. يقول لوقا في إنجيله
عن الفقير الممسكي والغني المتكر: فقومت المسكن وحملته الملائكة إلى حضن

(1) المزمور: 89: 48.
(2) السما للملاك يوحنان: 94.
(3) إيماننا الحي ص 58.
(4) شرح التعليم المسيحي ج 1 ص 22 تأليف الأب ميشيل ميتيم مطبعة الإحسان حلب 1952.
إبراهيم، ومات الفنيد أيضًا ودفن فرع عينه في النافورة وهو في المذاب ورأى إبراهيم من بعيد ولعاذ في حضنها (1).

غسل الميت وتكفنه ودفنه والصلاة عليه عند النصارى:
من الأمور التي يتفق فيها التصور النصري مع التصور الإسلامي بالنسبة للغسل والتكفين والدفن والصلاة عليه.

يقول صاحب كتاب إيماننا الحي: "إن المسيح يهكيل للروح القدس، فهو خاص للروح، ومصيره أن يقوم مجدًا في اليوم الأخير، وبالتالي يجب أن يحاط جسد المسيح أيضًا بالاحترام بعد موته، والكنيسة تكره بإقامة مراسم الجنازة ودفنه في أرض مباركة (2). ولا شك أن هناك اختلافاً بين النصارى والمسلمين في طريقة الغسل والدفن والصلاة والتكفين (3).

ثالثًا: الموت في التصور اليهودي
يؤكد العهد القديم عدة أمور للموت منها:
(اولاً: الموت عام لجميع البشر:
ورد في سفر أيوب ما نقصه "يسلم الروح كل بشر جميعًا ويعود الإنسان إلى
التراب" (4). ويفرز صاحب السنن القروي هذا النص "quete اللعب إذا ترك الإنسان
لحظة واحدة بدون عناية، فإن الإنسان يعود إلى التراب، ويستنتج من هذا بأن وجود
الإنسان حيا ودوام الخير بما ثبت وجود الله" (5) أي أن عناية الله بالإنسان هي

(1) لوقا: 16-22 في مقابلة للباحث مع الأنباء غريغريوس أسقف عامدراسات العليا بالكنيسة القبطية، لم يشر إلا إلى ذلك النص في الاستدلال على خروج روح الصالح والطالح - من النصارى.
(2) إيماننا الحي ص 518.
(3) يكفن النصارى في ملابس جديدة وهي الملابس التي كان الميت يلبسها عادة في حياته بشرط أن تكون جديدة، أخذت تلك المعلومة شموليًا من الأنباء غريغريوس - أسقف عامدراسات العليا والبحث العلمي بالكنيسة القبطية.
(4) سفر أيوب: 34-35.
(5) السنن القروي في تفسير العهد القديم ج 5 ص 247.
الموت بين الإسلام والنصرانية واليهودية

التي تضمن له الحياة وإذا لم يعتن الله بالبشر فإنهم يموتون جميعًا، وهو
تفسير معوج إذ إن عناية الله بالإنسان حيًا وميتاً، ورد في العزامير: "أي إنسان
يحيا ولا يرى الموت أي ينجي نفسه من يد الهارية" (1) لأنك أنت حصني في تلك
استودع روحي (2).

هذه النصوص تثبت أن الجميع سوف يموتون ولن يهرب أحد من الموت،
وعذرنا عدم كتابة النصوص عن الموت لأن العهد القديم يصب اهتمامه على
الحياة الدنيا فقط.

ثانياً: أن الموت له أجل معلوم ووقت محدد:
ورد في سفر الجامعة لكل شيء زمان وكل أمر تحت السماوات وقت،
للولادة وقت وللموت وقت وللحروف وقت وللتنزل وقت وللشفاء وقت، وللباء وقت، (3) هذا النص يدل على أن للموت أجل معلوماً ووقتاً محدداً
كما أن لكل شيء على الأرض وقتاً معلوماً وزمناً محدوداً، وهذا مما يشترك
في التصور الإسلامي مع ما في العهد القديم الحالي.

ثالثاً: ربط الموت بالخطية:
يشترك اليهود والنصارى في أن الخطية سبب الموت، ويفيض العهد القديم
بالنصوص التي تربط بين الموت وبين خطيئة آدم عليه السلام.
ورد في سفر التكوين: "وهما نمرة الشجرة التي وسط الجنة فقال الله لا تأكل منه، ولا نسمى اثلا نموتا" (4) وورد في نفس السفر: "أخذ الرحمن الإله آدم، ووضعه
في جنّة عدن ليعلمه ويعيداه، وأوصى الرحمن الإله آدم قائلًا: من جميع شجرة
تأكل أكلًا، وأما شجرة معرفة للخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتا
نموتا" (5).

(1) العزامير: 31 - 39.
(2) العزامير: 48 - 48.
(3) سفر الجامعة: 13 - 18.
(4) سفر التكوين: 3 - 2.
(5) التكوين: 15 - 18.
ويشرح قاموس الكتاب المقدس النص السابق بقوله:
ليس المراد بذلك أنه يجري حكم الموت في ذلك اليوم بعينه بل المراد أنه يكون على بعين من نزوله به، إنما في ذلك اليوم بعينه أوقع عليها حكم الموت الروحي الذي هو البعد عن الله والانفصال عنه (1).

ورد في سفر حزقيال الربط بين الموت والخطيئة "النفس التي تختبئ هي نموه" (2) وورد في سفر حزقيال أيضاً "إذا رفع البراء عنبره وعمل ثم وقعت مثل كل الرجاءات التي يفعلها الشرير أفيكيا كل البر الذي عمله، لا يذكر في خيانته التي خانتها في خطيته التي أخطأ بها يومرت" (3)! 

هذه النصوص وغيرها من النصوص التي لم نذكرها تربط بين الموت وبين الخطيئة وسناما هنا في مجال مناقشة هذا الربط وبين تهافتته كما أشارنا إلى ذلك عند الحديث عن علاقة الموت بالخطيئة عند النصارى.

ولا يقدم العهد القديم أي صورة عن حالة خروج الروح أثناء الموت بالنسبة للهود كل ما ورد في الفكر اليهودي صورة ينقلها لنا "سعودة الفيروي" في كتاب الأسماء والاعتقادات عن حالة خروج روحك اليهودي يقول: "إن الآباء عرفون أن الملاك الذي يبعث به الخالق ليفرق بينهما" بين النفس والجسم "بظهر للإنسان في صورة نار صفراء مخلوطة عيونًا من نار زرقاء، وفي يده سيف مصلت يقصد به، إذا رأى كذاك أنزعج وفرت (4) روح جسمه" (5).

(1) قاموس الكتاب المقدس 929.
(2) سفر حزقيال: 18. 34 - 35.
(3) سفر حزقيال: 24.
(4) لعلها وفاقت حتي يستقيم المعنى.
ولعل تلك الصورة هي التي جعلت الحاخامات يتآلمون ساعة الموت، وتبدو على وجوههم علامات الخوف والفزوع من صورة هذا الاملاق. وقد وردت أمثلة في التلمود عن كرب وتألم بعض الحاخامات من منظر الموت وهم يعتبرون أنفسهم بأنهم لا أمل لهم في الخلاص (النجاة). خلافين أن يلقى بهم في الجحيم (1).

وهذا ما يفسره لنا كراهية اليهود للموت وحرصهم على الحياة الدنيا.

يقول الله تعالى مخاطبًا اليهود: "قل إن كنت لحكمة الأجراء؟ عند الله خالصتان من دون الناس فسموا الموت. إن شتم صديقين ولا يستمتعون أبداً بينما قدما أبيديهم وله تعالى بطلابين" [البقرة: 94-95].

ويقول: "قل يبكيها الله يد بدها إن ضمعت أخوك أوليتك. نزوى الموت إن كنت صديقين ولا يسمعت أبداً ياما قدما أبيديهم وله تعالى بطلابين" [البقرة: 96-98].

ومن الأمور التي يشترك فيها اليهود مع المسلمين والنصارى: غسل الميت وتكفنه ودفنه.

يشترك اليهود مع المسلمين والنصارى في غسل الميت قبل الدفن، وأيضًا تكفنه ووضع الروائح الطبية على جثته. ورد في قاموس الكتاب المقدس ما نصه: "جرت العادة بين اليهود وبقية الأمم كما في أيامنا هذه أن يغمض الأقارب عيني الميت (1) وأن يبولوا عليه ويتفوا عليه (2) ويستمروا على ذلك أيامًا كثيرة بعد الدفن، وكانوا أيضًا يغسلون الجثة ويلفونها بأكنا من كتان ويربطون الرأس بمديل (3)، وكانوا يدهون الجثة ويلفونها بالأطيان (4)."
وإلى هذا نجد صورة قريبة جدًا من التصور الإسلامي بالنسبة لغسل الميت وتفكيكه ووضع الروائح الطيبة على جثته، ولكن سنجد صورة مختلفة تمامًا عما عند المسلمين والنصارى، فبينما نجد الرسول ﷺ يقول: «المؤمن لا ينسل» (1)، ونجد النصارى يعتبرون أن جسد المسيح يكمل للروح القدس ويجب أن يحاط جسد المسيح بالاحترام (2)، بينما نجد هذا عند المسلمين والنصارى، نجد أن اليهود يعتقدون أن «مس الميت أول الدخول إلى الغرفة التي وضعت الجثة فيها منتجة» (3) ولذلك جرت العادة بأن يدفن الميت بعد الموت بساعات قليلة (4).

ولم يقدم اليهود قرابين على موتاه للرحمة والمغفرة لهم. ورد في قاموس الكتاب المقدس أن اليهود لم يكونوا يقدمون القرابين من أجل الموتى، بل يظهر أن الشريعة الموسوية تنظر تقدير القرابين للموتى (5).

ورد في نفس سفر التثنية ما يشير بعدم جواز تقديم قرابين للأموات، يبدو هذا من تضرع اليهود أمام الله بأن محصولهم وزراعتهم قد أعطوا منها البيت والأرمة، ولم يأخذوا من حق الله المقدر فيها شيئاً لطعامهم ولا لمن لا يستحقها، ورد في سفر التثنية «منى فرعت من تعشير كل عشور محصولك في السنة الثالثة سنة العشور وأعطيت اللائى والقرب والبيتى والأرملة فأكلوا في أبوبك ومن ثم تقوم أمام الرب إلهك، قد نعى المقدس من البيت، وأيضًا أعطيته اللائى والقرب والبيتى والأرملة حسب كل وصيتكم التي أوصيت بها، لم أتجاوز وصايتك ولا نسيتها، لم آكل من في حزني، ولا أخذت منه في نجاسة ولا أعطيت منه لأجل ميت، بل سمعت بصوت الرب إلهي، وعملت حسب كل ما أوصيتني» (1)، والنص واضح بأن تقديم القرابين للأموات لا يجوز.

(1) فتح الباري ج3 ص 99 .
(2) قاموس الكتاب المقدس ص 211 .
(3) فتح الباري ج3 ص 99 .
(4) نفسه.
(5) نفسه.
(6) سفر التثنية: 26 - 3 - 10 - 15 .
البحث الثاني

البرزخ بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولاً: البرزخ في التصور الإسلامي

يعرف البرزخ بأنه الحاجز بين شيئين، وما بين الموت والبعث فمن مت فقد دخل البرزخ (1) وجاء في التعريفات النصية أن البرزخ هو الحاصل بين شيئين، وييء به عن عالم المثال - أعني الحاجز بين الأجسام الكثيفة - وعالم الأرواح المجردة - أعني الدنيا والآخرة (2).

وقد سمي القرآن الكريم الفترة من بعد الموت إلى البعث بالبرزخ.

يقول الله تعالى: "فَخَيَّرْتِ لِذُئْبَ الْيَوْمِ الْأَخَذَانِ الْمَوْتَ الْأَخِذُ الْلَّنَّادِ " {الأنفال: 17}. [المؤمنون: 99-100]

والسبب في تلك الفترة إما أن يكون منعمًا إذا كان من المؤمنين الصالحين، أو معذبًا إن كان من الكافرين أو الكذبين، أو من عصاة المؤمنين. يقول ابن القيم في كتابه الروح: "فمذهب سلف الأمة أثمنها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تلتقي أحيانًا وتحصل له معها التعب أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجسام وقاموا من قبورهم لرب العالمين (3)

(1) المعجم الوسيط ج 3 ص 49 مجمع اللغة العربية - الطبعة الثانية.
(2) التعريفات للسيد الجرجاني ص 38 طبعة الحلب.
(3) الروح لابن القيم ص 81 الناشر مكتبة السلام بالعربية.
ويعتبر عذاب البرزخ ونعيمه أول منازل الآخرة التي يتعرض لها المؤمن وغير المؤمن يذكر ابن القيم أن عذاب البرزخ ونعيمه أول عذاب الآخرة ونعيمه، وهو مشتق من وواصل إلى أهل البرزخ هناك كما دل عليه القرآن والسنة الصحيحة الصريحة في غير موضوع دلالة صريحة كقوله تعالى: "فيفتح له باب إلى الجنة نعيمه من روحه ونعيمه". وفي الفاجر: "فيفتح له باب إلى النار نعيمه من حراً وسومها"، ومعلوم قطعا أن البدن يأخذ حظه من هذا الباب كما تأخذ الروح حظها، فإذا كان يوم القيامة دخل من هذا الباب إلى مقعده الذي هو داخله". (1) وهنا بعض الأشياء التي تحدث للميت في أول فترة البرزخ منها: سؤال الملكين. يقول صاحب كتاب المسامرة في علم الكلام: "سؤال منكر ونداعاً للفهماء ورد فيهما الأخبار وتعددت طرقها". ونحن مع ابن الهمام في تعدد طرق الأحاديث الدالة على عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين، ونسنا معه في تعدد طرق تسميتهما بمنكر ونكر، فهنالك رواية واحدة عن أبي هريرة بأنهما أسودان أزرقان يقال لهما المنكر ولالآخر النكر (2).

وقد وردت الآيات القرآنية التي تثبت سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه.

سؤال الملكين:

مما يسبق سؤال الملكين الحياة في القبر لأهل البرزخ، وما بيدل على الحياة في القبر قوله تعالى: حكایة عن الكافرين (رفتاز أمنا أنيماتي وأحييتها أنيماتي فأعترفنا بهومن فهل إلى جزؤ مين سبلي" [غافر: 11] يذكر شارح المواقف أن المراد بالإماتين والإيحاثين في الآية الإماتة قبل مزار القبور ثم الإحياء في القبر، ثم الإماتة فيه بعد مسألة منكر ونكر، ثم الإحياء للحشر، وذكر أن هذا هو الشائع المستفتيض بين أصحاب التفسير. والغرض من ذكر الإيحاثين أنهم عرفوا فيها

(1) الروح لابن القيم ص 125.
(2) المسامرة في علم الكلام لجمال الدين ابن الهمام ص 146 - 148.
(3) انظر فتح الباري ج 3 ص 184.
قدرت الله على البعث، ولهذا قالوا فاعترفنا بذنوبنا، أي الذنب التي حصلت بسبب إنيكراك الحشر، وإنما لم يذكر الأحياء في الدنيا لأنهم لم يكونوا معترين بذنوبهم في حياتهم الدنيا (1)، والإمام الرazzi في تفسيره للسورة السابقة يرى بأنهم أثنتوا لأنفسهم مؤتمنين حيث قالوا: "أني أمنتُ على النحاسين" [متى: 11] فإحدى الموتتين مشاهدة في الدنيا، فلا بد من إثبات حياة أخرى في القبر، حتى يصير الموت الذي يحصل عليه مرتين ثانية، وذلك يدل على حصول حياة في القبر (2).

وبعد أن يحيا النحاس في قبره يسأله الملكان اللذان وردت عنهما الأخبار وتعدلت طرفاً، يقول الله تعالى: "بعثنا الله النحاس مائتاً بالقول ألذين في الخيمة الدنيا وَفِي الْأَخْرَيْنَ وَبَعَثْنَ اللَّهُ النَّجِيَّينَ وَفِي الْأَخْرَيْنَ [إِبْرَاهِيْمُ: 27] المفسرون على أن هذه الآية تدل على سؤال الملكين في القبر (3) وما يدل على أن هذه الآية تدل على سؤال الملكين ما رواه البخاري بن سبأ عن الراي بن عازب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: "الملسم إذا مات في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فذكرن الله فوالله يقول: "بعثنا الله النحاس مائتاً بالقول ألذين في الخيمة الدنيا وَفِي الْأَخْرَيْنَ [إِبْرَاهِيْمُ: 27]" (4) وأما السنة فيقول ابن القيم: "أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير موتاوية (5). وكون أحاديث عذاب القبر ومساءلة الملكين موتاوية المعنى يوضحه صاحب المواقف بقوله: "الأحاديث الصحيحة الدلالة عليه أي على عذاب القبر أكثر من أن..."
نحصي، بحيث تواثر القدر المشترك، وإن كان كل واحد منها من فيل الآحاد؟ (1).

ومن الأحاديث التي وردت في سؤال الملكين: ما رواه البخاري بسنده عن أسن بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا العبده رفع في قبره وتولى عنه أصحابه - حتى إنه ليس مالهم - أنه ركز في قعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أن 

عبد الله ورسوله، فيقال له انظر إلى مقعده من النار قد أبدلك الله به مكانه من الجنة، فيراها جميعًا، قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره، ثم رجع إلى حديث أن 

قال: وأنا المتقدم والكفار فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدرى، كنت 

أقول ما يقول الناس، فيقال لا دري ولا تلبت، فيضرب بمطرقة من حديد ضربة فيصبح 

صحيحة يسمعها من بلبه غير اللقلقين" (2).

هذا الحديث صريح في الحياة في القبر وسؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه، يقول صاحب الفتح في شرح له لهذا الحديث: "أخير النبي ﷺ أمره بكيفية إمتحانهم في القبور، لان أنه كفى ذلك عن غيرهم" قال: "والذي يظهر أن كل نبي مع أمته كذلك 

فتعذب كثيرهم في قبورهم بعد سؤالهم وإقامة الحجة عليهم كما يذبحون في الآخرة بعد 

سؤال وإقامة الحجة. وفيه أن النبت يحيا في قبره للمسألة، خلأً من رده واحتفظ بقوله 

تعملي: "قالوا: نبأنا أني في النبت، وحنيسنا: النبت "(3) قال: فلر كان يحيا في قبره للزم أن يحيا ثلاث مرات ويموت ثلاث، وهو خلاف النص، والجواب بأن المراد بالحياة في القبر للمسألة ليست الحياة المستمرة المعهودة في الدنيا، التي تقوم فيها 

روح بالبدن وتدبره وتصرفه وتتحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء، بل هي مجرد 

إعادة لفائدة الامتحان الذي وردت به الأحاديث الصحيحة، فهي إعادة عارضة 

حدثت لكثير من الأنبياء لمسائلهم عن أشياء ثم عادوا موتى" (3).

(1) شرح المواقف ج 2 ص 453 وشرح المقصادات ج 2 ص 162.
(2) صحيح البخاري ج 2 ص 183 - 186.
(3) فتح الباري ج 3 ص 187.
وهناك اختلاف بين العلماء: هل سؤال الملكين في القبر خاص بأمة محمد؟

هذا الموضوع اختلف العلماء فيه، فمن العلماء من ذهب إلى أن سؤال الملكين خاص بأمة محمد، لأن الأمم قبل أمته محمد كانت تأتيهم رسولهم بالرسالة إذا أتوا بعجلوا بالعذاب، فلما بعث الله محمدًا رحمة للعالمين أمسك عليهم العذاب، وأعطى السيف، حتى دخل في دين الإسلام من دخل مهاب السيف، وهم المنافقون الذين أعلنوا الإيمان وأسرعوا الكفر، فلما ماتوا فيض الله لهم فتنة القبر لليميز المؤمن من المنافق، وليميز الله الخبيث من الطيب، وإلى هذا الرأي ذهب عبد الله الترمذي. وقال آخرون: إن سؤال الملكين وعذاب القبر لا يختص بأمة محمد دون غيرها من الأمم لأن حديث البخاري الذي فيه ذي اليمن ملكان في يقعدانه، ويسألانه عن الرجل الذي بعثه فيهم، وإن كان فيه سؤال لأمة محمد، إلا أنه لا ينبغي السؤال عن غيرهم من الأمم (1) ويرجح ابن القيم أن سؤال في القبر لأمة محمد وغيرها بقوله: والظاهر والله أعلم أن كل نبي مع أبيه كذلك، وأنهم في تورهم تقام عليهم الحجة ويعذبون كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة عليهم (2). والذي يجب التسليم به أن البيت من أمة محمد يحيا في القبر للمساءلة من الملكين اللذين وردت عنهما الأخبار، وأنه بعد تلك المساءلة إما أن يذهب وإما أن ينعم. يقول القاضي عبد الجبار من المعتزلة بعد أن يستدل بالكتاب والسنة على عذاب القبر وتدفعه سؤال الملكين: فأما الكلام في أن ذلك كيف يكون وأنه تعالى يبعث إليه ملكين يقال لأحدهما منكراً ولاحاً، فيسألانه ثم يعذبانه أو يبشره حسب ما وردت به الأخبار، فإن ذلك لا يهتدي إليه من جهة العقل وإذا

الطريق إليه السمع (3).

(1) الروح لابن القيم ص 146 - 148، فتح الباري ج3 ص 187.
(2) الروح لابن القيم ص 148.
(3) الأصول الحكيمة للقاضي عبد الجبار ص 732.
عذاب القبر ونعيمه:


ومن الآيات التي تثبت عذاب القبر قوله تعالى: <<رَبِّي أَنْتَ أَنتُ نَيْنَ وَحَيِّنَا>> [الأنبأ: 11]. يقول الإمام الرازي في تفسيره: <<احتج أكثر العلماء بهذه الآية في إثبات عذاب القبر. وتقرير الدليل: أنهم أثبتوا لأنفسهم موطنين حيث قالوا ربنا أنتان أنتين (5)

---
(1) تفسير ابن كثير ج3 ص 81.
(2) فتح الباري ج3 ص 180.
(3) الروح لابن القيم ص 127.
(4) فتح الباري ج3 ص 180.
فأحدي الموتتين مشاهد في الدنيا، فلا بد من إثبات حياة أخرى في القبر حتى يصير الموت الذي يحصل عقبها موتًا ثانيًا، وذلك يدل على حصول حياة في القبر» (1).

ويستدل أيضًا بتلك الآية وغيرها صاحب المواقف وصاحب المقاصد.


وذهب البعض إلى أن قوله تعالى: »(بِذَٰلِكَ أُنبِئْنَاهُ وَأَحْيَيْنَاهُ مَنِيَّةً) [فاطر 11] لا تدل على الحياة في القبر، وذهب إلى أن المراد بالمونطة الأولى الإشارة إلى الحالة الحاكمة عند كون الإنسان نفحة وعلاقة، والموت الثانية إشارة إلى ما حصل في الدنيا. ويعد الإمام الرازي والقاضي عبد الجبار هذا الرأي، لأن الإمتاوة تستعمل بمعنىين: أحدهما إيجاد الشيء ميتًا، والثاني تصير الشيء ميتًا بعد أن كان حيًا، كقول الإنسان وسع الخياط ثوبًا يحتمل أنه خاطئ واسعًا، ويحتمل أنه صبره واسعًا بعد أن كان ضيقًا، فلم لا يجوز في هذه الآية أن يكون المراد بالإمتاوة خلقها ميتة ولا يكون المراد تصيرها ميتة، فإن الإمتاوة في الحقيقة إبطال الحياة وتفريق البنية التي تحتاج هي في الوجود إليها، وذلك لا يتصور في المنطقة التي لم تكن حية أصلًا» (3).

ومن حجج الذين يمنعون دلالة الآية على الحياة في القبر والاذاع نه أن قوله تعالى: »(بِذَٰلِكَ أُنبِئْنَاهُ وَأَحْيَيْنَاهُ مَنِيَّةً) [فاطر 11] إنها حكية كلام الكفار فلا تكون حجة، وأيضًا لو ثبتت الحياة في القبر لكان الإحياءات ثلاثة في الدنيا وفي

(1) التفسير الكبير للرازي الجزء 17 ص 39.
(2) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص 721.
(3) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص 721 والتفسير الكبير ج 39 ص 27.
القبر وفي الحضر

أما قولهم هذا من كلام الكفار فلا يكون حجة، فلا وجه فيه، لأنهم لما ذكروا ذلك لم يكذبهم الله تعالى، ولو كانوا كاذبين لأظهر الله تكذيبهم. ألا ترى لما كذبوا في قولهم:[وَلَوْ نُزِّهَا مَا كَا نَّكَذِبُهَا] [الأنمام: 23] كذبهم الله في ذلك فقال: [وَلَوْ كُنَّا كَا نَّكَذِبُهَا عَلَى أُمَّيْمِينَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَنَّا كَانَ مَعَنِيْنِ] [الأنمام: 24]. فلما لم يكذبهم الله في قولهم يجوز لنا أن نستدل بما قالوه على الحياة في القبر والعذاب فيه.

أما أنهم لو كانت لهم حياة في القبر لكان ذلك الأجتنبيات تأتي ثلاث مرات وهو خلاف ما ذكر في قوله تعالى: [وَرَبِّآ أَنتَ النَّهَيُّ وَلَحْيَتَآ أَنتَ النَّهَيُّ] [غافر: 11] فالأمام الرافي برد على هذا الاعتراض من وجه:

الأول: أن مقصودهم في قولهم أعنات أثنتين وأحسنتين أثنتين تعديت أوقات البلاء والمحتنة، وهي أربعة الموت الأول والحياة في القبر، والمودة الثانية والحياة في القياسة، فهذب هذه الأربعة أوقات البلاء والمحنة فأما الحياة في الدنيا فليس من أوقات البلاء والمحنة، فلهذا السبب لم يذكرواها.

الثاني: لعلهم ذكروا الحياتين، وهي الحياة في الدنيا والحياة في القياسة، أما الحياة في القبر فأهلوا ذكرها لقلة وقوعها وقصر مدتها.

الثالث: لعلهم لما صاروا أحياء في القبور لم يموتون، بل بقوا أحياءًا إما في السعادة وما في الشقاء، واتصل بها حياة القياسة.

الرابع: أنه لو تم تثبت الحياة في القبر لزم أن لا يحصل الموت إلا مرة واحدة، فكان إثبات الموت مرتين كذبًا، وهو خلاف لفظ القرآن (1).

ثم يخرج الرازي استدلاله بالآية على عذاب القبر، ونازع قولنا بالأحاديث

(1) شرح الملفاقد ج2 ص162 والتفسير الكبير للرازي الجزء 27 ص39.
(2) انظر التفسير الكبير ج27 ص39 - وانظر الملفاقد ص162 - 164.
الصحيحة في عذاب القبر

ومن الحجج التي يحتج بها المانعون لعذاب القبر قولهم: إذا نرى الميت أو المقتول أو المصلوب يبقى مدة من غير تحرك وتكتمل، ولا أثر تلدذ أو تألم، ولو كان له أصل لكان يجب في النبى أن يرى العقوبة أو الشموع للمعاقب والمنصب، فكان يشاهد عليه أثر الضرب وغيره، وأيضًا فإن الميت ربما يدفن في صندوق أو لحد ضيق لا يتصور فيه جلوسه على ما ورد في الخبر. ويفند صاحب المقاصد ما احتج به المانعون لعذاب القبر بقوله: إن جميع ما ذكرتم استبعادات لا تنفي الإمكان كسائر خارق العادات، إذ قد أخبر بها الصادق فلزم التصديق.

أما قولهم بأننا لا نرى على الميت أثرًا للضرب أو العقوبة، ولو كان لرأها النبى فورد عليهم بأنه من المجوز أن لا يعذبنا الله تعالى في الحالات التي يطلع عليها النبى أو غيره، أو يعذبنا على وجه يستتر عنهم، لوجه من المصلحة برى ذلك.

أما قولهم إن الميت قد يدفن في صندوق أو لحد ضيق لا يتصور فيه جلوسه - على نحو ما ورد في الخبر - فورد عليهم بأنه لا يشترط الحياة بالبينة، ولو كان ذلك شرطاً فقنت الممكن أن يبقى من الأجزاء ما قد يصلح بينه، ثم إن العذاب يجوز أن يكون للروح التي هي أجسام لطيفة أو للأجزاء الأصلية الباقية، فلا يمنع أن لا يشاهدها الناظر، ولا أن يخفى الله تعالى عن الإنسان والجن ليحكم لا اطلاع لنا عليها.

ومن الآيات التي يستشهد بها على عذاب القبر قوله تعالى: {ولا يذيقهم عذاب الآخرة} (السجدة: 21) هذه الآية يحجج بها على إثبات عذاب القبر. يقول ابن القيم: وقد احتج بهذه الآية جماعة.

(1) التفسير الكبير ص 41.
(2) الأصول الخامسة ص 173 والمقاصد ج 2 ص 163.
(3) المقاصد ج 2 ص 163.
(4) الأصول الخامسة ص 733.
(5) المقاصد ج 2 ص 163.
منهم عبد الله بن عباس في إثبات عذاب القبر، وفي الاحتجاج بها شيء، لأن هذا عذاب في الدنيا يستندع به رجوعهم عن ال الكفر، ولم يكن هذا ليخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن، لكن فقههم في القرآن وفقة فهمه فيه فقوم منها عذاب القبر، فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، وهذا يدل على أنه بقي من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا.
ولهذا قال من العذاب الأدنى، ولم يقل العذاب الأدنى فتأمله (١).
وإذا ذهبنا إلى الأحاديث التي وردت في عذاب القبر، فإنها متواثرة المعنى، والقدر المشترك منها متواتر (٢). يقول شرح العقيدة الطحاوية في الأحاديث الواردة في عذاب القبر ونعيمه: «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لما كان لذلك أهل، وسؤول الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا يتكلم في كفيفته، إذ ليس للعقل وقوف على كفيفته، لكونه لا عهد له في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تهيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تجار في العقول، فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا» (٣).
ومن الأحاديث التي تثبت عذاب القبر:
ما رواه البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: مر النبي ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليسانباً وما يعدبان في كبرٍ، ثم قال: بل، أما أحدهما فكان بسعي بالسمية، وأما أحدهما فكان لا يستنفر (٤) من بوله، قال: ثم أخذ عودًا رطبًا فكسره باشتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: «الله يخفف عنهما ما لم يسب» (٥).

(١) الروح لأبي القمر ص ١۸٨.
(٢) شرح المواقف ج ٣ ص ٤٥٣.
(٣) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ص ٣٤٨ - الناشر مكتبة أنس بن مالك ١٤٠٠ ه.
(٤) في معظم الروايات لا يستنفر من بوله.
(٥) فتح الباري ج ٣ ص ١٨٨.
وهذا الحديث صريح في إثبات عذاب القبر لعاصفة المنين، وليس المقصود من الحديث أن العذاب بسبب النميمة وعدم الاستقاء من البول فقط، ولكن كما قال الرازق بن المنير ونقله صاحب الفتح: "المرأة بتخصص هذين الأمرين بالذكر تعمقى أمرهما، لا نفي الحكم عما اعدهما، فعلى هذا لا يلزم من ذكرهما حصر عذاب القبر فيهما، لكن الظاهرة من الاكتسار على ذكرهما أنهما أمكن في ذلك من غيرهما، وقد روى أصحاب السنن من حديث أبي هريرة: "استنجزوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه". (1)

وروى الإمام مسلم بنده عن زيد بن ثابت قال: "بينما النبي ﷺ في حائط بنبي النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادثت به فكادت تلقنه، وإذا أقرب ستة أو خمسة أو أربعة فقال: "من يعرف صاحب هذه الأنثى؟" فقال رجل: "أنا، فقال: "نعتني مات هؤلاء" قالوا: "ماتنا في الإشراك"، فقال: "إن هذه الأمثلة تتلى في قبورها، فلولا أن لا نالفنا لدعاوت الله أن يسمعغمن من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: "تعوذوا بالله من عذاب القبر"، قالوا: "تعوذ بالله من عذاب القبر"، قال: "تعوذوا بالله من الفتنة ما ظهر منها وما بطن"، قالوا: "تعوذ بالله من الفتنة ما ظهر منها وما بطن". قال: "تعوذوا بالله من فتنة الدجال"، قالوا: "تعوذ بالله من فتنة الدجال". (2)

ووالله، وهذا الحديث صريح في عذاب القبر وكيف أن الرسول ﷺ كان يستعذب بالله من عذاب القبر ويأمر أصحابه أن يتعوذوا من القبر وفتنته.

وروى مسلم بنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إذا فرغ أحدكم من الشهاد الأخير فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحبة والممات، ومن شر المسبح الدجال"، (3)

والنعيم والعذاب في القبر يكون بالروح والبدن معًا. يقول شارح العقيدة

(1) فتح الباري ج3 ص 188
(2) رواه مسلم ج3 ص 2199 – 2199
(3) رواه مسلم ج1 ص 412 طبعة الجهل
الطهاوية: "عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به" (1) ويؤكد صاحب المقاصر ذلك بنقل اتفاق أهل الحق على ذلك، يقول: "اتفق أهل الحق على أن الله يعبد إلى الميت في القبر نوع حياة قد ما يتأمل ويبلذذ، ويشهد بذلك الكتاب والأخبار والآثار لكن نوقدا في أنه هل يعاد الروح إليه أم لا؟ وما يتوهم من امتتاع الحياة بدون الروح ممنوع، وإنما ذلك في الحياة الكاملة التي يكون معها القدرة والأعمال الإختيارية" (2)، وابن القيم يفصل تعلق الروح بالبدن وانفصلالها عنه أحيانًا في البرزخ بقوله: "وقد اقتضى عدله ووجبت أسماؤ الحسن وكماله المقدس تنعيم أبدان أوليائه وأرواحهم وتعذيب أبدان أعدائه وأرواحهم، فلا بد أن يذيق بدن المطيع له وروحه من النعيم واللذة ما يلبق به، ويذيق بدن الفاجر العاصي له وروحه من الألم والعقوة ما يستحق. هذا موجب عدله وحكمته وكماله المقدس، لما كانت هذه الدار دار تكليف وامتنان لا دار جزاء لم يظهر فيها، وأما البرزخ فأول دار الجزاء، فيها من ذلك ما يلبق بذك الدار وتقضى الحكمة إظهاره" (3).

وقد وردت بعض الأثار التي تروي تزاور أرواح الموتى وتلاقائهم مع بعضهم ومع الأحياء، وهو أمر غير مستبعد؛ لأن الأرواح إلا أن تكون معدبة أو منعمة مع أبدانها، فالمعدبة في شكل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتناقل، أما الأرواح المنعمة فإنها تتلاقى وتتزاور وتتذكار ما كان منها في الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها. قال الله تعالى: "هَوَمْ يُطِعُ اللّهَ وَأَرْسَلَ فَأُولِيَّ الْبَصَرِ مَعَ الَّذِينَ أُمِّنَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكَفَّارِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْعِبِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ وَالْمُتَّقِينَ أَوْلِيَاءِ الرَّسُولِ لِلنَّاسِ ۖۖ إِنِّي أَنصَرُ عَلَيْهِمْ عَلَىٰكَ وَعَلَىٰ النَّاسِ بِاللّهِ" (النساء: 62) يقول ابن القيم: "وهذه المعمة ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة" (4).

(1) شرح المعيدة الطهاوية ص 348.
(2) شرح المقاصر ج 2 ص 163.
(3) الروح لأبو القيم ص 125.
(4) نفسه ص 26.
وقد عقد ابن القيم، فصلاً كاملاً في كتابه "الروح"، وهو من أشغال الكتب التي ألفت في هذا الموضوع، وفيه روى الآثار التي وردت عن تلاقي أرواح الأموات والأحياء، وأيضًا تلاقي أرواح الأموات مع بعضهم، نذكر من تلك الآثار ما رواه ابن أبي الدنيا قال: حدثني محمد بن بوزر أخبرني فضل بن سليمان النمرزي بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة عن جده قال: لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه مسرح وجدًا شيئًا، فقالت: يا رسول الله، إنه لا يزال الهالك يهلک من بني سلامة، فهله تتعارف الموتی، فأرسه إلى بشر بالسلام! فقال رسول الله ﷺ: أنعم والذي نفسي بيده يا أبشر، إنهم يتعارفون كما تتعارف الطير في رؤوس الشجر، وكان لا يهلک هالك من بني سلامة إلا جاءته أم بشر، فقالت: يا فلان، عليك السلام.
فيقول وعليك، فقال: اقرأ على بشر السلام (١).
فيقول: أنا لله وإنا إليه راجعون، سلوك به غير سبيلنا؟ (٢).
وذكر الإمام الغزالي أن أرواح الأحياء تتلاقى مع أرواح الأموات، والأكثر من ذلك أن الأمور ربما أخروا الأحياء بشيء يحدث لهم مستقبلاً، يذكر الإمام الغزالي أن الحسن بن علي قال: قال لي علي رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ سنح لي في الليلة في مغامرة، فقالت: يا رسول الله، ما لي من أمتك. قال: دع عليهم، فقلت: اللهم أبداني بهم من هو خير لي منهم، وأبدلهم بي من هو شر لهم مني. فخرج فضلربه ابن ملجم (٣)، ونكتفي بهذا القدر من الآثار، نظرًا لأنها عبارة

(١) نقلًا عن الروج لابن القيم ص 19، ٥٠.
(٢) نفسه ص ٢٠ - وانظر بالألفصل من ص ١٩ - ٤٤ وأيضًا ما ذكره الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين الجزء ١٦ - المجلد الرابع ٢٩٤٨ - ٢٩٤٩.
(٣) إحياء علوم الدين ج ١٦ ص ٢٩٤٠.
عن رؤى لا تثبت حكماً شرعيًا، وإنما يستأنس بها فقط.

ثانياً: البرزخ في التصور النصري:
ما هو مصير النفس بعد الموت؟ سؤال يردده علماء فرق النصارى، ويختلفون في الإجابة عليه.

فقرتا «الأرثوذكس» والبروتستانت» لهم رأي في حالة الروح بعد الموت، وفرقة «الكاثوليك» لهم رأي يخالف «الأرثوذكس» والبروتستانت». ولذلك سنعرض آراءهم وتصورهم لحالة الروح بعد الموت.

اولاً: الأرثوذكس (1) والبروتستانت (2):


ثم يعلق على هذه النصوص ويستنتج ثلاث خصائص تتعلق بمومت الأبرار: أنهم في الفردوس، وأنهم مع المسيح، وأنهم سعداء (7)، ونلاحظ أن النصوص

(1) يمثل اتجاه الأرثوذكس الكلب التالية: هذه عقائدا تأليف ج. كلايد تاير - تاريخ الأباطرة للأمتاز زكي شرودة. وهنا بعض الكتب أظهر إليها تمثل عقيدة الأرثوذكس منها: عقائد أساسية مدخل في علم اللاهوت - مدخل إلى العقيدة المسيحية - دينونة البشر العامة.

(2) ويتمثل اتجاه البروتستانت: علم اللاهوت النظام، فضائل المسيحية الكبرى.

(3) هذه عقائدا تأليف ج. كلايد تاير - ناشر. المنشورات المحلية، بيروت 1976.

(4) لوقا: 32: 43.

(5) رسالة فيليب 1: 23.

(6) سفر الرؤيا: 14: 13.

(7) هذه عقائدا ص 109 - 160.
الثلاثة التي وردت في لوقا وفي رسالة فلسطين ونظر المؤرخها اعتبرها المؤلف تمثل مصير أرواح الأبرار بعد الموت. أما عن مصير الأشرار، فإن المؤلف المعذكر يعترف بأن النصوص غير متوازية، ولم يرد عليهم إلا القليل في الأسفار المقدسة. يقول: «لا نكشف لنا الأساطير المقدسة إلا القليل عن حالة الأشرار بعد الموت والقيام»، ويستشهد بنصين في إنجيل لوقا ورسالة بطرس الثانية ويقول عنهما: «هناك عبارتان تعطيانا كل ما نعرفه تقريبًا عن هذا الموضوع، ففي مثل الغنى والعازر، يقول سبوع: «مات الغنى ودفن فرعون عينيه في الهاوية وهو في العذاب»، أما النص في رسالة بطرس الثانية «يعلم الرحب أن ينفذ الألياف من التجربة، ويحفظ الأمة إلى يوم الدين معاقبين»، ففي النصين تصوّر لمصير الأشرار، فالنص الأول يبين أن الغني الفاسد داخل العذاب بعد الموت، والنص الثاني يبين أن الأشرار يحفظهم الله من الفناء معاقبين إلى يوم الدين، ونفس الأدولة يوردها الأباؤات في الاستدلال على مصير الأشرار في كتابه السماء».

والأساتذة زكي شنودة في كتابه تاريخ الأقباط يؤكداً ما تعتقد الكنيسة القبطية في مصير الأرواح بعد الموت بقوله: «إن الأرواح لا تنال ثوابها أو عقابها على أثر انفصالها عن أجسادها، بل تأخذ عربونا فقط من السعادة إذا كانت صالحة، أو من النعمة إذا كان طالحة، حتى بجيء يوم القيامة، فتلبس الأرواح أجسادها»، وهذا قريب من مصير الأرواح عند المسلمين مع إختلاف، ألا وهو أن مصير الأرواح في التصور الإسلامي يتحدد بعد سؤال الملكيين، أما عند الأرثوذكس فإن الأرواح الطيبة تصعد إلى الفردوس مع المسيح كما يقول النصاري الأرثوذكس، والأرواح الشريرة تتزعم يوم القيامة حين اجتماعها مع أجسادها.

(1) نفسه ص 160 - 22 - 23 .
(2) لوقا 16 : 22 - 23.
(3) رسالة بطرس الثانية 2 : 9، وانظر هذه عقدنا. 160.
(4) السماء للأنبا يونس ص 107 - 119.
(5) تاريخ الأقباط للأساطذة زكي شنودة ص 252.
كان هذا رأي الأرثوذكس.
أما البروتستانت فهم يقولون نفس الآراء التي قررها الأرثوذكس، وسوف
نعرض لأرائهم بإيجاز: سؤال يطرحه علم اللاهوت النظامي وهو: ماذا يعلمنا
الوحي في حالة النفس بعد الموت؟، ويجيب بقوله: "النفس لا نموت ولا تنام وإن
أنفس الأبرار تكمل حينئذ في الطهارة، وتدخل السماء، حيث تنتظر فداء أجسادها
الكامل، وإن أنفس الأشرار تطرح في جهنم، حيث تبقى في القصاص والظلم إلى حكم
اليوم العظيم" (1).

بعد استعراض رأي الأرثوذكس والبروتستانت نجد أن هناك اتفاقًا بين الفريقين
على أن أرواح الصالحين عندهم تصدع إلى السماء في الفردوس مع المسيح وهي
سعيدا، كما أن هناك اتفاق فيما بينهم على أن أرواح الأشرار تذهب إلى الجحيم
والظلم حيث تجتمع الأرواح مع الأجسام.
وكمما رأينا فإن النصوص عن مصير الأشرار غير وافية باعتراض النصارى
أنفسهم من فريق الأرثوذكس والبروتستانت، وإذا كانوا يقررون أن النصوص التي
وردت في الأناجيل وأعمال الرسل عن مصير الأبرار غير كافية أيضًا، فهي إشارات
عبارة غير مسجدة أو مفصلة.

ثانيًا: رأى الكاثوليك في مصير الأرواح بعد الموت:
يعتقد الكاثوليك أن هناك محكمة خاصة للأفراد النصارى بعد الموت، يؤدي
الأفراد أمامها حسابًا عما قدمت في الحياة. يقول صاحب كتاب "إيماننا الحي":
"عند الموت تنفصل النفس عن الجسد، يغادر جسدها إلى الأرض وينحل فيها، أما
أنفسنا فلا يمكنها الفساد لأنها روح، وطالما نفارق هذه الدنيا تمثل أنفسنا أمام
محكمة الله، فعليها أن نؤدی حسابًا عن كل أفكارها وأقوالها وأفعالها وعن كل ما

(1) علم اللاهوت النظامي ص 1168 وما بعدها. وأيضًا قضايا المسيحية الكبرى ص 563– 568
أغفلته من أعمال الخير، ويطلق على هذه المحاكمة: "الدينونة الخاصة" 1) هذه المحاكمة الخاصة يشرحها ميشيل ميتيم، يقوله: "حالما نموت نمثل أنفسنا أمام الله لتحاكم عن أعمالنا الصالحة والشريرة" 2). وبعد مثولنا أمام المحكمة المشار إليها يتحدث مصدرها، إن كانت صالحة صعدت إلى السماء، وإن كانت طالحة نزلت إلى المطهر. يقول ميشيل ميتيم عن النفس بعد المحاكمة: "فإذا كانت ناصفة الطهارة - أي الروح - طارت نورًا إلى السماء، وإن كان عليها بعض التكفيرات نزلت إلى المطهر" 3).

هذا المطهر الذي تنزل إليه النفس الطالحة ما حقيقته؟ يشرح الأب ميشيل ميتيم حقيقة المطهر والذين يذهبون إليه من مقرفي الذنوب فيقول: "إن من يموت في حال النعمة دون أن يكفّر عن خطأه، تكفّر تأمّا تذوب نفسه إلى المطهر، تنقضي فيه مدة يحدده الله بعلمه، فتتفرّق جميع دويته وتكفر عن آلامها، فتنظّر من أواسمه ثم تدخل السماء" 4).

العذاب في المطهر:

يرى الكاثوليك من النصارى أن في المطهر نوعين من العذاب، الأول: الحرمون المؤقت من التمنع بمشاهدة وجه الله الكريم، وهو عذاب أليم شديد، الثاني: هو عذاب النار، تنتظر فيه النفوس من أدرائها قبل أن تلج السماء 5).

والعذاب الذي تعرض له النفس في المطهر يخفف عنها بالصلاة والأدعية، والكاثوليك يعتقدون في مساعدة النفس التي تتعدّب في المطهر، وذلك بت تقديم الطقوس الكنيسة والصلوات لهم ورد في شرح التعليم المسيحي، ما نصه: «تأمل»

1) إيمانا الحي ص 508 - وانظر رسالة العيران 9 ج 27.
2) شرح التعليم المسيحي - العقائد الإلهية ص 131 ج 1.
3) نفسه ص 232 ج 3.
4) شرح التعليم المسيحي 237 ج 1، وانظر رسالة كورنتوس الأولى 3 ج 15.
5) شرح التعليم المسيحي 237 ج وإنجيل متى 5 ج 26.
النفوس المطهرة آلامًا فادحة، فينبها نفوس أهاليها وأصدقائها ومعارفنا ومواطنينا، فكيف نسناها وهي عطشى إلى مساعدتنا؟ فتوجب علينا أن نقوم لراحتها صلواتنا ومناولاتها، وخاصة ذبح القداس الإلهي؛ فإن هذه الأعمال الصالحة تخفف من شدة عذاباتها، وتفرسر من مدتها بحسب ما ترتيبه إرادة الله القدوسة. (1) ولنلاحظ أن تلك الصلوات والقراءين لا تلغى العذاب ولكن تخفف فقط.

وفركة المحكمة التي يعتقد الكاثوليك تنقدها فرقة البروتستانت ويعتبرونها وما يترتب عليها - من زوال النفس الشريرة إلى المطهر - من العقائد الوعيدة (2).

ومن الاختلافات الجوهرية بين الأرثوذكس والكاثوليك فكرة المحكمة وفركة المطهر (3). وهذا الاختلاف بين الأرثوذكس والكاثوليك اختلاف جوهري وليس بين عام عند الأرثوذكس ومتصل عند الكاثوليك، لأن النصوص التي نقلناها عن الأرثوذكس لا تشير إلى فكرة المحكمة تلك، ولا إلى المطهر على الإطلاق، وإن كانت فرق النصارى متوقفة على المصير الأخير لأرواح الأبرار وأرواح الأشرار، لأن الأبرار في السماء والأشرار في الجحيم.

ويرى بعض الباحثين المسلمين أن فكرة المطهر عند الكاثوليك مثل القول بعذاب القبر عند بعض المسلمين.

يقول الدكتور السقا: "وشهد نصارى الكاثوليك عن جميع النصارى الذين يقولون بالحساب والتعيم أو العذاب يوم القيامة، وقالوا بحساب الإنسان بعد الموت مباشرة بعد خروج الروح مباشرة من جسد الإنسان، مثل القول بعذاب القبر عند بعض المسلمين". (4)

(1) شرح التعليم المسيحي ص 237.
(2) علم اللاهوت النظامي ص 1176.
(3) تاريخ الأقباط ص 269 - 270.
(4) مقدمة فتح الروح والنسوية للإمام الغزالي تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا مقدمة المحقق ص 15 الناشر مكتبة المدينة المنورة الطبعة الأولى 1979 م.
ولا أوافق الدكتور السقا فيما ذهب إليه لأمرين:

الأمر الأول:
أن عذاب القبر ليس عند بعض المسلمين، ولكن عند جمهور المسلمين، فلقد اتفق سلف الأمة وخلفها على سؤال الملكيين وعذاب القبر ونعيمه، ووردت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي توالت القدر المشترك منها بمعناها (1) كما قال بذلك علماء العقيدة وعلماء الحديث، حتى المعتزلة الذين اتهموا بأنهم ينكرون عذاب القبر، استعرضنا رأي القاضي عبد الجبار من المعتزلة (2) الذي أثبت عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكيين والتزام الدليل السمعي. ونحن لا ننكر أن هناك بعض الآراء التي تنكر عذاب القبر ونعيمه كما دل عليه السمع، فهل جمهور المسلمين هم بعض المسلمين، كما يقول الدكتور السقا؟

الأمر الثاني:
أن فكرة المطهر عند الكاثوليك بينها وبين عذاب القبر ونعيمه اختلاف، لأن في الإسلام سؤال الملكيين الذي يسبق عذاب القبر ونعيمه، ولا يوجد ذلك عند الكاثوليك. وفكرة المحكمة المشار إليها عندهم ليست واضحة، فالنصوص لم تبين لنا من الذي يقوم بذلك، وليس عندهم تفصيل في تلك الفكرة في العهدين القديم والجديد (3) بعكس ما نجد في الإسلام من تفصيل إلى حد ما حول سؤال الملكيين وعذاب القبر ونعيمه.

تعقيب:
بعد عرضنا للبرزخ بين الإسلام والنصرانية يمكن أن نقرر مواطن الاتفاق والاختلاف بين التصور الإسلامي والتصور النصراني للميت في فترة البرزخ.

(1) عرضنا الآراء بالتفصيل عند حديثنا عن نعيم القبر وعذابه في الإسلام.
(2) انظر الأصول الخمسة ص 330 - 733.
(3) في مقالة للباحث مع الأنايا غريغريوس - أسقف علم الدراسات العليا في الكنيسة القبطية، نفى عذاب القبر ونعيمه في اعتقاد الأرثوذكس.
أولاً: أوجه الاتفاق:
يتفق التصور النصراوي المعتصر بالإسلامي في المصير النهائي للأرواح في فترة البرزخ، حيث إنهم يعتقدون أن الأرواح الطيبة تكون منعمة إلى يوم القيامة، وأن الأرواح الشريرة تتعرض إلى ذلك اليوم الذي تجتمع فيه الأرواح مع الأجساد.

ثانيًا: أوجه الاختلاف:
يختلف تصور الأرثوذكس والبروتستانت عن التصور الإسلامي في أن التصور الإسلامي فيه سؤال الملكين وعذاب القبر وعندهم، أما الأرثوذكس والبروتستانت فليس عندهم سؤال الملكين، ولا ما يترتب عليه من عذاب في قبر وعندهم. إن تصور الكاثوليك للمحكمة والمطهر، وإن كان بينهما وبين عذاب القبر وجه شبه، إلا أنها تختلف عن التصور الإسلامي، حيث سؤال الملكين في الإسلام.

ثالثًا: البرزخ في التصور اليهودي
ورد في قاموس الكتاب المقدس أن "الهاوية مقر الموتى"، وهي ترجمة الكلمة العبرية "شولو" (1) والكلمة اليونانية "هاريس" (2). وقد فهم العبرانيون هذه الكلمة تارة كأنها قبر أو موت، وقد صور كتاب الأسفار المقدسة الجحيم كأنه مكان تحت الأرض (3)، ولله أبواب (4)، وهو مكان مظلم مخفى، سكانه يشعرون وكأنهم في وجدان بليد جامد (5)... وتذهب إليه نفوس الجميع (6)، وفيه القصاص، وفيه الشواب، ولا يمكن العودة منه إلى الأرض (7)، وهو مكان عريان أمام الله (8). ويقول المرمّن: إن الله هناك (9)، وإن أرواح شعبه وحالتهم في ذلك

---
(1) قصبة الخضرة ج 2 ص 345 .
(2) هذه عقائدة ص 159 .
(3) صفر القدر 2 - 23 - وحزيـل 31: 14 - 17 .
(4) أشياء 28 / 10 .
(5) صموئيل الثاني 24: 6 وحزيـل 5 : 5 .
(6) صموئيل الأول 28/ 8 - 9 .
(7) صموئيل الثاني 27: 30 .
(8) أبواب 2/ 26 - 6 .
(9) زمر 139: 8 .
المكان كانت تحت عينيه الساهرة، وهذا التعليم عن معرفة الله لشعبة بعد الموت وحضورهم معهم ومجيئهم الدائم لهم استمحل على الغبطة للأب ووالله والأشرار بعد الموت، وأصبح لهم مقران: الأب يكون مع الرّب، والأشرار بعدين عن وجهه.

هذا ما ورد في العهد القديم عن الروح ومصيرها بعد الموت، تنزل جميع الروح إلى الهاوية وفيها يتم القصاص، وبعد هذا القصاص يكون للأب الغبطة والسرور، والويل والدمار للأشرار. إلا أن التلمود يعرض بعض التفاصيلات التي تحدث لروح اليهودي بعد الموت ورد في التلمود: أن الروح عندما تتجاوز الجنة ينتج عنها صوت صارخ، ولكن الحاخامات دعوا الله وصلوا، فامتنع هذا الصوت الذي لا مثيل له إلا صوت الشمس حين تدور حول مدارها، وصوت الجماهير في مدينة روما.

ورد في التلمود أن الروح تحلق فوق الجنة ثلاثة أيام، وهي تريد أن ترجع إلى الجسد مرة ثانية، إلا أنها حين تشاهد أن جسد اليهودي قد تغير تتركه ورد في التلمود: أما بعد الموت فتحلق الروح على الجنة ثلاثة أيام، تنوي الرجوع إليها، ولكنها عندما ترى أن شكل الوجه تغير تتركها وتذهب بعيدا.

ورد فيه أيضًا "أن مساء كل يوم جمعة تدخل روح جديدة في الأجسام الميتة في القبر وتبقى حتى انتهاء السبیت، حيث تغادر الجسم، ولزم إثبات هذه الروح الجديدة بسبب الرغبة المتزايدة في الأكل والشرب". كل هذه التفاصيل لا نجدها في العهد القديم. ويشرح «سعديا الفيرومي» في كتابه "الأمانات والاعتقادات: مفارقة الروح لجسدها بقوله: "وفي أول زمان المفارقة تغييم مدة لا تستمر مقرها إلا أن يبلى الجسم، وعملي ذلك إلى أن تفتقر أجزاؤها فتكون في هذه المدة يصعب عليها ما تعلمه، مما يمر...

1) قاموس الكتاب المقدس ص 250.
2) التلمود تاريخه وتعليمه ص 78 لظفار الإسلام خان - الناشر - دار النفیط بيروت.
3) نفسه ص 77.
4) التلمود تاريخه وتعليمه ص 78 لظفار الإسلام خان - الناشر - دار النفیط بيروت ص 77.
بالمجمل من الدود والردة وما أشبه ذلك. كما يصعب على الإنسان علمه بأن بيئة كان يمكنه قد خرب وتبث فيه الشوك والحبك. وهذه صمودة تكون على النفس بالأقل والأكثر حسب استحقاقها، كما أن منزلته بالسفن تكون بالأقل والأكثر فتصعب عليه حسب استحقاقها (1). وبين سعدية الفيرومي المكان الذي تستقر فيه الروح بعد مفارقتها للجسد بقوله: «تحتفظ إلى وقت المجازاة وتكون الصواعي منها موضع حفظها في علم الكوير في سلف» (2).

وبين المدة التي تحتفظ فيها الروح الصالحة والأرواح الطالحة فيقول: «إن مدة مقامها متفرقة تكون إلى أن تجمع جميع النفوس التي أوجبة الحكمة من الباء خلفها، وذلك يكون إلى آخر مقام الدنيا، فإذا تم عدها واجتمعت جمع بين النفوس وأجسامها (3).

والذي نلاحظ أنه ما ورد في التلمود في تفصيلات لأمور كثيرة لم ترد في العهد القديم عن الروح، وترددها على القبر ورغبته في الرجوع إلى جهة الميت، ثم فارها بعد أن ترى أن الجنة قد تغيرت.

وأما تجد الإشارة إليه أن اليهود على عهد رسول الله ﷺ كانوا يقولون بعذاب القبر ويتعوذون منه.

وروى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: (نعم عذاب القبر) قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدما صلى صلاة إلا تعود من عذاب القبر زاد، عُتِرَت: «عذاب القبر حق» (4).

(1) الأدوات والماعادات ص 206 معدية الفيرومي.
(2) نفسه ص 207.
(3) نفسه ص 207.
(4) فتح الباري ج 3 ص 183/182.
يقول ابن كثير بعد أن أورد حديث عائشة وما دار بينها وبين اليهودية عن عذاب القبر، وإقرار الرسول ﷺ لما ذكرته اليهودية لعائشة عن عذاب القبر: "فهذا يدل على أنه بادر إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر وقرر عليه" (1).

وبعد عرضنا للبرزخ عند اليهود يمكن أن نقر مواطن الاتفاق والاختلاف بين التصور الإسلامي والتصور اليهودي للميت في فترة البرزخ على النحو التالي:

أولاً:

يعتقد اليهود أن هناك قصاصًا بعد الموت في القبر الذي يطلقون عليه لفظ الهاوية (2) وأن هذا القصاص يتربن عليه الثواب والعقاب لروح الميت، وهذا القصاص لا تعطي أسفار العهد القديم صورة مفصلة عنه، ولكن التعاليم الشفوية أعطت بعض التفصيلات عن نعيم الروح وعدبلها، وفكرة القصاص في القبر عند اليهود بينها وبين عذاب القبر في الإسلام وجه شبه بين، خصوصًا إذا علمنا أن اليهودية أخبرت السيدة عائشة بعداب القبر، وأن الرسول ﷺ أقر اليهودية حين أخبرته السيدة عائشة بما قالته اليهودية عن عذاب القبر.

ثانياً:

يتفق التصور اليهودي مع التصور الإسلامي في المصير النهائي للأرواح في فترة البرزخ، حيث يعتقد اليهود أن الأرواح الصالحة تكون في علوب حسب استحقاقها، وأن الأرواح الشريرة تكون في سفلم حسب استحقاقها أيضًا.

أما مواطن الاختلاف فتتمثل فيما يلي:

أولاً:

لا يتفق النبي وعذاب يقع على الروح وحدها (3) دون الجسد، بعكس ما نجد في

---
(1) تفسير ابن كثير ج2 ص82.
(2) انظر قاموس الكتاب المقدس ص250.
(3) انظر الأفكار والاعتقادات ص206 وقاموس الكتاب المقدس ص250.
الإسلام، إذ إن العذاب والنجيم يقع على الروح وحدها أحياناً، وعليها وعلى الجسد أيضًا (1).

ثانيًا: أن البرزخ في التصور الإسلامي يتعرض فيه الميت لسؤال الملكين، ولا يوجد ذلك عند اليهود.

ثالثًا: أن التفصيلات التي وردت عن الروح وتردها على الجسد يوم السبت ورغبتها في الرجوع إلى الجسد لم تراجعها بعد رؤيتها تغير الجسد. لا توجد في التصور الإسلامي تلك الحالة للروح.

* * *

(1) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص 364 و 348، والروح لابن القيم ص 125.
المبحث الثالث

علامات الساعة بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولاً: علامات الساعة في التصور الإسلامي

بدأت يقرر القرآن الكريم أن الساعة بمثابة العام التي تقوم فيها القيامة وتبدل الأرض غير الأرض والسموات لا يعلمها إلا الله، يقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَلْعَبُ عَلَيْهِمَا الْسَاعَةَ وَيُبَيِّنُ لَهُمَا مَا فِي الْأَخِرَةِ وَمَا تَذَّكَّرُونَ} [الأنبياء: 24].

ويقول تعالى في رده على الذين يسألون الرسول ﷺ عن الساعة، مبينًا عدم معرفة الرسول لوقتها، وإنما الذي يعلم وقتها هو الله {يَسْتَوَّلِيكُمْ عَيْنَ الْسَاعَةِ إِذْ لا تَحْسَبُونَ} {الله يعلم ما في السماوات والأرض لا تأخير إلا بناء على نية عبده} {يُلْعَبَ} [الأعراف: 187]. وبين القرآن الكريم أن مهمة الرسول ﷺ الإذارة بها، لا تحديد وقتها، يقول الله تعالى: {يَسْتَوَّلِيكُمْ عَيْنَ الْسَاعَةِ إِذْ لا تَحْسَبُونَ} {يُلْعَبَ} {فَمَن يَخْرُجُ بِالْإِذْنِ قَدْ كَانَ مِنْ يَهْدِيْهَا} {суهد} {إِنَّمَا يَجْعَلُ مَن يَهْدِيْهَا قُرْرَةً} {الله يعلم ما في السماوات والأرض}.

واتضح أن الساعة لا يعلمها أحد إلا الله، ونفى القرآن الكريم عن الرسول معرفتها، وبين أن مهمته تمثل في الإذارة بها لا تحديد وقتها.

إلا أن علامات الساعة وأشراطها قد أخبر عنها الرسول ﷺ، روي الإمام مسلم بسنده عن ابن عمر في حديث جبريل الذي سأل فيه الرسول ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، أن جبريل سأل الرسول ﷺ عن الساعة، قال: فأخبرني عن
الساعة. قال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل؟" قال: "فأخبرني عن أمانتها. قال: "أنا تلد الأمة ربتها وان ترى الحفاظة العرارة العالة رعاها الشاهد ينتظرون في الجنيان" (1) في الحديث نفي الرسول ﷺ عن نفسه العلم بالساعة، ولكن أخبر عن أمانتها كما ورد في الحديث.
وروى مسلم بن سعد عن أبي نصر قال: قال رسول الله ﷺ: "بعثت أنا والساعة كهائنين" وضم السبابة والوسطى (2)، يقول النوروي في شرحه لهذا الحديث "المراد بينها شيء يسير كما بين الأعين في الطول، وقيل هو إشارة إلى قرب المجازة" (3).
وليس في نفي القرآن الكريم العلم بالساعة عن الرسول، وإثبات الرسول ﷺ أنه علم أمانتها، ولا ما أخبر عنه ﷺ من أنه بعث والساعة كهائنين، كما أخبر في الحديث السابق، نوع من التنافض يقول القرطبي في تذكيرته: "إن ظن أن النبي ﷺ سأل جبريل عن الساعة، فقال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل" الحديث، فهذا بدلاً على أنه لم يكن عليه علم، وروت عنه أنه قال: "بعثت أنا والساعة كهائنين" وهذا بدلاً على أنه كان عالماً، فكيف يتالف الخبران؟" (4) ويوقف القرطبي بين ما ورد في القرآن وما أخبر عنه الرسول ﷺ.

فلما يكن علمها هو ولا غيره، أما قوله: "بعثت أنا والساعة كهائنين، فمعناه: أنا النبي الأخير، فلا يليني نبي آخر، وإنما تلني القيامة، كما تلني السبابة الوسطى وليس بينهما إصبع آخر، وهذا لا يوجب أن يكون له علم بالساعة نفسها، وهي مع ذلك كائنة؛ لأن أشراطها متتابعة وقد ذكر الله الأشراط في القرآن فقال: "فاستظهرا" (5)

(1) صحيح مسلم ج1 ص 14 طبعة إيسى الخليلي.
(2) صحيح مسلم بشرح النووي ج1 الثامن عشر ص 89 - 90 الناشر المطبعة المصرية ومكتبتها.
(3) نفسه ص 89.
(4) التذكرة للقرطبي ج2 ص 733 تحقيق الدكتور أحمد حجاجي السفاح - الناشر مكتبة الكليات الأزهرية 1980.
علامات الساعة

(محمد: 18) أياً دنت، وأولها النبي لأنه نبي آخر الزمن، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي، ثم بين ما يليه من الأشراط، فقال: "إنا نسل الأمة ربيها" إلى غير ذلك (1). والذي ذكره القرطبي في تذكرته يرد على كل معترض - بأن بين القرآن الكريم والأحاديث النبوية تعارض فيما يتعلق بالساعة ووقتها - إذ إنما ورد في الأحاديث النبوية موافق لما جاء في القرآن الكريم من ناحيتين:

الناحية الأولى: أن الرسول نفى عن نفسه وعن غيره العلم بالساعة ووقتها، وهذا ما قره القرآن الكريم.

الناحية الثانية: أن الله عز جل قد تحدث عن مجيء أشراط الساعة وعلاماتها، والرسول ففصل ما أجمله القرآن الكريم عن تلك الأشراط ووردت بعض التفاصيلات عن العلامات الصغرى والكبرى للساعة، كما سيتضح عند عرضاً للأحاديث التي تحدثت عن ذلك.

أشراط الساعة:

من أشياء ما ورد من الأحاديث الصحيحة في علامات الساعة الصغرى والكبرى ما رواه الإمام البخاري بسديمه عن أبي هريرة أن رسول الله قال: "لا تقوم الساعة حتى تقتل نفتان عظيمان، يكون بينهما مقبلة عظيمة، دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزوالز، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتال، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى بهم رب المال من قبل صدقته، وحتى يعرضه نقول الذي يعرضه عليه لا أرب له، وحتى يبتاهل الناس في البنان، وحتى يممر الرجل بقدر الرجل، يقول يا لبتي مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت وراها الناس آمنوا جميعهم، فذلك حين لا يدفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خبرًا، ولتقوم الساعة وقد انصرف

(1) نفسه ج2 ص732.
الرجل بلين لقحته فلا يطممه، ولتقوم الساعة وهو يثبت حوضه فلا يبقى فيه، ولتقوم الساعة وقد رفع أكمله إلى فيه فلا يطممهها .

وهذا الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن علامات الساعة من أش حال الأحاديث التي وردت في أشراط الساعة في عموم إنذار النبي ﷺ بفساد الزمان وتهيئ الدين، وذهب الأمانة، ما يغني عن ذكر التفاصيل الباطل والواقع الكاذبة في أشراط الساعة.

ولقد استنبط العلماء من حديث البخاري السابق أن علامات الساعة منها ما وقع على وفق ما قاله ﷺ، وهذا من علامات ثبوته، ومنها ما وقعت مباديه ولم يستحكيم بعد، ومنها ما لم يقع منه شيء ولكنه سيعق. يقول ابن حجر في فتح الباري بشرح صحيح البخاري في شرحه للحديث السابق: "هذه المذكورات وغيرها مما آخر ﷺ بأنه سيعق قبل أن تقوم الساعة، لكنه على أقسام:

احدها: ما وقع وفق ما قال، وهذا من علامات النبوة له ﷺ، كاقتنا الق طين العظيمين، وظهور الفتن، وكثرة الهجر، ونظام الناس في الدين، وما ينمني بعض الناس الموت.

الثاني: ما وقعت مباديه ولم يستحكيم، ومن هذا النمط تقارب الزمان، وكثرة الزلزل وخروج الدجالين الكذابين، وحين يوسيد الأمر إلى غير أهله حتى يكون الولد غيطًا، والطبر قيطًا، ويجترى الصغير على الكبير، والظلم على الكريم.

(1) فتح الباري ج 13 ص 70 - 76
(2) التذكرة ج 2 ص 734 يورد القرطبي في التذكرة بعض الأحاديث والتفاصيل الباطل عن أشراط الساعة، والتي منها ما رواه قادة عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ في سنة مائتين وأربعين، وتأكدذا وفي العشر والمائتين يكون كنا وكذا، وبين كذب هذه الأحاديث نافية أنه قد مضت هذه المادة وغيرها. ولم يقع شيء من الذي يدعى أن الرسول آخر به، ومن ناحية أخرى أن التاريخ على عهد الرسول لم يكن معروفاً، وإنما عرف في عهد عمر فكيف يجوز هذا، ولم يكن وضع شيء من التاريخ.

التذكرة ج 2 ص 735
ويخرج عمرن الدنيا.

الثالث: ما لم يقع وسقع بعد، من هذا النمط طلوع الشمس من مغربها، وتناقل المسلمين للمهود حتى يخفيه اليهودي وراء الحجر، يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي وراقي فاقتله، وأن ذلك يظهر قبل الدجال. وهذه العلامات من العلامات الكبرى التي لا تقبل التوبة بعدها. وينقل ابن حجر حديثًا آخره الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل: الدجال، والله، وطول غروب الشمس من مغربها. (1)

وستحدث عن العلامات الكبرى للساعة التي تسبق القيامة مباشرة، ومن أظهر تلك العلامات ظهور الدجال، ونزل عيسى بن مريم إلى الأرض ليعتقل الدجال.

وهناك أحاديث وردت في كتب السنة عن خروج الدجال، ونزل عيسى ابن مريم.

من تلك الأحاديث:
ما رواه البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: دوينما أنا نائم أطف بالكعبة فإذا رجل أدت سبب الشمر بنطف أو يهراق رأسه ماء، قلت من هذا? قالوا: ابن مريم، ثم ذهب ألتفت فإذا رجل جسمن أحمر جسد الرأس أعور العين كان عليه عينة طافية، قالت: هذا الدجال، أقر الناس به شبهًا ابن قتيل رجل من خزاعة. (2)

وردو الأمام مسلم بسنده عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غادة فخفض فيه ورفعه، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رأى إليه عرف ذلك فينا، فقال: ما شأتمكم؟ قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غادة فخفضته فيه ورفعته حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: وغير الدجال أخوفني عليكم، إن بخرج وأننا نكمل فأنا حجيجه دونكم، وإن بخرج وصبر فسكم ما رأوا حجيج.
نفسه، والله خليفتته على كل مسلم. إنه شاب قطط، عينه طاقة، كأنى أشبهه بعد العزي بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فتوح سورة الكهف، إنه خارج خلعة(1) بين الشام والعراق، فعاث بميتابا وشمالاً. يا عباد الله فثبتوا قلنا: يا رسول الله، وما لبته في الأرض؟ قال: أربعون يوماً، يوم كسنة، يوم كشهر، يوم كجمعة، وسائر أيامه كيابامم(2) فقلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتفقنا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقتدوا له قدره» قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالفيث» استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوه فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنت، فتروح عليهم سارتتهم(3) أطول ما كانت ذا وأسبمه ضروعا وأمره خواصى، ثم يأتي القول فيدعوه فيردون عليه توله، فيتصرق عنهم، فتوصون ممحلين(4) ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويهب بالخربة فيقول لها أخرجي كنزوك، فتبه كنزها كيصابيب النحل، ثم يدعو رجلًا ممتلأًا شبابًا فيه ضربه بالسيف فقطعه جزئين رمية الغرض، ثم يدعو فقيل ويتهل ولوجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرق دمشق بين مهروشتين(5) واضعا كفه على أجنحة ملكين، إذا طأتو رأسه نظر، وإذا رفعه انحدر منه جمان كاللؤلؤ(6)، فلا يحل لكافر يجد ريح نفس إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفة، فيطبه حتى بدركه بباب لد(7) فيقل منه، ثم يأتي عيسى ابن مريم فتومًا عصمهم الله منه، فيمسح عن وجههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أفرح الله إلى عيسى: إنه قد أخرج عباداً لي لا بدان(8) لأحد بقتلهم، فحز عبادي إلى الطور، وبعث الله بأجوج وأموج، وهم من كل صوب بنسلون، فيم أولئك على بحيرة طبرية نظرنون ما فيها، وهم آخرهم

(1) أي ما بين البلدين.
(2) أي ماشيهم.
(3) ممديين.
(4) فيها لغتان مهروشتين أو مهروشتين. أي ثوبان مصوبتان بورس ثم بعفران وقيل هما شقتان.
(5) أي حبات الفضة.
(6) بلدة قرية من بيت المقدس.
(7) أي لا قدرة ولا طاقة لأحد على فتالهم.
فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء، وبحضر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيّرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النَّفْف (١) في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملا، زعمهم وتنتمى، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيًّا كأخناف البخت فتحلهم فتنظرهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا، لا يمكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالرَّفَّة (٢)، ثم يقال للأرض أنبي شمرتك، وردى بركتك فيومئذ تأكل المصابة من الرمانة وستظلون بقحها، وبارك في الوُسط (٣)، حتى إن اللهجة من الإبل لتلكفي القام من الناس، واللغحة من البقر لتلكفي القبيلة من الناس، واللغحة من الغنم لتلكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ يبعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباؤهم، فتنبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة (٤).

وهذا الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه يتحدث صراحة عن الدجال وفتحته، وصفته قبل قیام الساعة، ثم نزول المسيح عيسى ابن مريم لقتل الدجال وإظهار الحق والدعوة إلى شريعة الإسلام. يؤكد هذا ما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي ببدله لو شكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مخفظًا، فيكسر الصلب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويغيب الممال حتى لا يقبله أحد (٥) والمسيح عليه السلام حين ينزل يصير هو الحاكم، لأنه لا سلطان يومئذ للمسلمين ولا إمام ولا قاض ولا مفتى، لأن العلم (٦)

(١) دود يكون في أنف الإبل.
(٢) كأمارة أو كالروضة أو كالصفحة كلها معان تحملها الكلمة.
(٣) اللبب.
(٤) اللغة - القرية العهد بالولادة.
(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ٦٣ - ٧١.
(٦) رواه البخاري ج ٢ ص ٢٧، ومسلم ج ١ ص ١٣٥.
يكون قد قبض من الناس، وهذا من علامات الساعة فينزل عيسى عليه السلام للحكم بين الناس بشريعة الإسلام، وحينئذ يجتمع المسلمون حوله ويحكمونه على أنفسهم، إذ لا أحد يصلى لذلك غيره، ولأن تعطيل الأحكام الشرعية غير جائز، وتلاحظ أن هناك تلازمًا بين ظهور الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام. وهذا مما يدل على أن ذلك مما يسبق الساعة، ومن العلامات الكبرى التي لا تُقبل التوبة بعدها.

ثانيًا: علامات الساعة في التصور النصري

ورد في الأنجيل عدم تحديد الساعة ونفي معرفتها عن أحد سوى الله عز وجل، وأن المسيح والملائكة لا يعلمون تحديد الساعة التي تقوم فيها القيامة للدينونة. ورد في إنجيل متي: «وأما في هذا اليوم فتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السماء إلا أبي وحده» (1). واضح من النص أنه ينص صراحة على معرفة الله وحده بالساعة، وأن الملائكة لا تعلم وقتها، ولكن الله هو الذي يعلم ذلك الوقت.

ورد في تفسير النص السابق «فلا يعلم بها أحد» قال هذا لقطع رجاء الرسول أن يعرفوا وقت الدين فالأمر مؤكد والزمان مجهول (2)، ويشعر المفسر بالتناقض بين كون المسيح إلها في اعتقاد النصارى، وبين عدم معرفته بتحديد وقت الساعة، فيرد ذلك على عدم قدرة العقل في الخوض والترقيق بين كونه إلها، وكونه لا يعلم الساعة. يقول مفسر إنجيل متي: «ولناستطيع أن ندرك كيف أن يسوغ باعتبار كونه إنسانا لا يعرف الزمان الذي عينه باعتبار كونه إلها، ولكن هذا ليس بأبعد عن إدراكنا سر التثليث أو سر التجسد» (3). إلى هذا الحد يصل المفسر إلى التناقض، إذ إنه يعتقد أن المسيح باعتبار كونه إلها قد عين وقت الساعة، وباعتبار كونه إنسانا لا يعلم

(1) متي 24: 36 - 37
(2) الكتب الجليل في تفسير الإنجيل جد 1 ص 418
(3) الكتب الجليل جد 1 ص 418
وقتها. ونظرًا لمصادمة ذلك للعقل فإن المفسر يذهب إلى القول بأن هذا من الأسرار التي لا تستطيع عقولنا أن تهتدي إليه.

ورد في مثت في عدم تحديد وقت الساعة: «إشهدوا، لأنكم لا تعلمون في أي ساعة يأتي ربكم، واعملوا هذا أنه لو عرف رب البيت في أي هزيع يأتي السارق لسهر ولم يدع بيئة ينهب، لذلك كانوا أنتم أيضًا مستعدين، لأنه في ساعة لا نظرون يأتي ابن الإنسان.» (1)

ورد في أعمال الرسل عن عدم تحديدها أيضًا ما نصه: «ليس لكم أن تعرفوا الأزمة والأوقات التي جعلها الأب في سلطانه،» وورد في تفسير ذلك النص قول صاحب الكنز الجليل: «أبي في جوابه أن يعين لهم الوقت بناء على المبدأ، وهو أن الله لا يخبر الناس بأوقات الحوادث العظيمة المتعلقة بملكته.» ومن ذلك كان جوابه للرسول حين قالوا: «قل لنا متى يكون هذا، وهو قوله: وأما ذلك اليوم وتكذلك الساعة فلم يعلم بها أحد ولا ملائكة السماوات إلا أبي وحده، ولكن وجه أشكرهم إلى الاستعداد للقيام بما يجب عليهم من الخدمة، لأن الأزمة والأوقات التي تحدث فيها الأمور المستقبلية التي جعلها الأب في سلطانه - أي عينها يحكمته الأزلية - لا يعرفها أحد، ولا الملائكة، ولا المسيح نفسه باعتبار كونه إنسانًا ولا بليغ بالإنسان أن يسأل عنها، ولا تعلم علة ذلك، إنما نعلم أن الناس لو علموا وعرفوا أنها بعيدة للفظوا عن الاستعداد لأعمال السهوة.» (2)

وهذه النصوص تدل بصراحة ووضوح أن الساعة لا يعلمها أحد إلا الله، وهذا هو اعتقاد النصارى كما ورد في الأناجيل وأعمال الرسل، وهذا النصور يتفق مع التصور الإسلامي بالنسبة لعدم تحديد وقت الساعة وأنه لا يعرفها أحد إلا الله، وليس المجال هنا لبيان التنافض الصحيح والواضح جدًا بين اعتقاد النصارى في ألوهة المسيح ونفي العلم عنه بالساعة وموعدها، بالرغم من ادعاء النصارى أنه هو

1. من 24-42/45.
2. أعمال الرسل 1-7.
3. الكون الحديث 4 ص 10 بصرف.
الذي حددته لأنه فهمها لأنه إنسان (1).

وإذا كانت الساعة غير معلومة فإن علاماتها قد أخبر بها المسيح كما يقول النصارى في العهد الجديد، ورد عن علامات الساعة في إنجيل يوحنا: «إيهاء الأولاد، هي الساعة الأخيرة، وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتي قد صار الآن أضداد كثيرون، من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة» (2).

النص السابق يشير إلى علامات الساعة، وهي مجيء ضد المسيح، أي ضده شخصه وضد دعوته، ويقصد يوحنا بذلك النص الإشارة إلى مجيء المسيح الدجال، ورد في رسالة بولس الثانية إلى أهل تاسالونيكي ما نصه: «ثم نسألكم أيها الإخوة من جهة مجيء ريبا يسوخ المسيح واجتمعنا إليه أن لا تزعزعوا سريعا عن ذهنكم، ولا ترتفعوا ولا بروحو ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا - أي أن يوم المسيح قد حضر - لا بخدعنا أبدًا على طريقة ما، لأنه لا يأتي إن لم بذلك الارتداد أولا، ويستشعر إنسان الخاتمة ابن الهلال القائم والمتفوق على كل ما يدعى إلهًا أو معبدًا، حتى إنه يجلس في هيكل الله كالمظهر نفسه أنه إله» (3). بولس يتحدث عن مجيء المسيح وعودته مرة أخرى إلى الأرض، ولكنه يحذر أهل تاسالونيكي أن لا يرتفعوا وأن لا يخدعوا بأي واحد يقول لهم إن يوم المسيح قد حضر، ثم بين العلامات التي تسبق مجيء المسيح وتعلقهم رجوعه، وهذه العلامات تتمثل في الارتداد عن الكنيسة ويظهر إنسان الخاتمة ابن الهلال - أي المسيح الدجال - الذي يدعى الأولوهية، ويرتفع حتى يظهر في هيكل الله معلنا نفسه أنه إله، يقول ميخائيل مينا: «وضوح من هذه النصوص الإلهية أن يوم الرب الأخير لا يأتي ما لم يأت هذا الإنسان المقاوم المعروف بالمسيح الدجال» (4). وقد وردت صفات الدجال في رؤيا يوحنا اللاهوتي: «والروح الذي

(1) انظر الكتار الجليل 2 ص. 418.
(2) يوحنا 2 / 418 وانظر بولس والMISSION ص. 129.
(3) رسالة بولس إلى أهل تاسالونيكي 2 / 5.
(4) علم اللاهوت ج.2 ص175.
رآيته شبه نمر، قوائمه كقوائم دب، وفمه قفم أسد، وأعطاه التنين قدرته وعرشه وسلطانًا عظيمًا، ورأيت واحدًا من رؤوسه كأنه مذبحة للموت، وجرحه المجيد قد شفي، وتعجبت كل الأرض رواة الوحوش، وسجدوا للتينين الذي أعطى السلطان للوحش، وسجدوا للوحش قائلين: من هو مثل الوحش، من يستطيع أن يحاربه؟ وأعطى فما يتكلم بعظائم وجاديف، وأعطى سلطانًا أن يفعل التنين وأربعين شهراً، ففتح فمه بالتجديف على الله، ليجدف على اسمه وعلى مسكنه وعلى الساكنين في السماء، وأعطى أن يصنع حربًا مع القديسين ويثبتهم، وأعطى سلطانًا على كل قبيلة ونسان وأمة، فسجد له جميع الساكنين على الأرض الذين ليست أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في سفر حياة الخروف الذي ذهب، (1) ويرى صاحب الكنز الجليل تلك الصفات بقوله: إن قوة الوحش مكتسبة لا أصلية أي أن الله سمح له أن يستعملها زمنًا يسيرًا، وسماح الله للوحش بذلك امتحان لإيمان الكنيسة، (2).

وهناك بعض الفئات التي يحدثها المسيح الدجال مع القديسين كما يزعم النصارى، يقول ميخائيل مينا: يصنع الدجال حربًا مع رجال الله، ولا سيما مع إيلياس، وأخنوخ، الذين بعد أن يبصرون عليه ويغيبوه يسمع له الله أن يقتلهم، وتبقي جثثاً حاماً مطروحة على الأرض بلا دفن ثلاثة أيام ونصفاً، وبعد ذلك يقومان بقوة الله حيين، (3).

ورد في سفر رؤيا يوحا اللاهوتي: هذان لهما السلطان أن يغلق السماء حتى لا يمطر مطرًا في أيام نبوهما، ولهم سلطان على المياه أن يحولوها إلى دم، وأن يضربوا الأرض ضربة كالأرض أراد، ومن ثم شهدوه فالوحش الصاعد من الهاوية سيصنع معهما حرباً، ويفلوهم ويتقبلهم، وتكون جثثهما على شارع المدينة العظيمة التي تدعى روحياً سدوم، ومصر، حيث صلب ربيا، وينظر أناس من الشعوب والقبائل والأئمة والأمم جثثهما ثلاثة أيام ونصفاً، ولا يدعون جثثهما توضعان في القبور، ويستلم بهما الساكنون على الأرض.

(1) رؤيا يوحا اللاهوتي 13: 2 / 10.
(2) الكتب الجليل ج 8 ص 480.
(3) علم اللاهوت ج 2 ص 178.
وينتهلون ويرسلون هدايا بعضهم لبعض، لأن النبي قد عذب الساكنين على الأرض،(1) ونص يوحنا يوضح أن الوحش المسيح الدجال سيحدث فتنة عظيمة، منها غلبه لشيئ، وإنها لحروج، وقعت لهما، وترك جئتيهما على الطريق والناس ينظرون إلى قوة الدجال، ويشتملون في قتل هذين النبيين؛ لأنهما قد عذب الساكنين على الأرض، والاعذاب هنا كتابة عن التوبيخات من النبيين الذين يفعلون الخطايا (2)، ففترة المسيح الدجال تمثل في القتل وافظتان الناس به، وفرحهم بقتل الصالحين الذين شهدوا على خطابهم.

ومن العجائب التي تظهر على يد المسيح الدجال يذكر العهد الجديد عددًا من العجائب التي تظهر على يده، والتي يدعو الناس بسبها إلى كونه إلها يستحق العبادة منهم. ورد في إنجيل متي: «حينئذ إن قال لكم أحد هو هذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوه؛ لأنه سيقوم مسحاء كذبة، ونبي ابنة كذبة، ويعظمون آيات عظيمة وعجائب، حتى يذلونه لو أمكن المختارين أيضًا، ما أنا قد سبقت وأخبرتم» (3) يقول صاحب الكنيز الجليل: «فعل المسيح أراد تحذير تلامذته من توقع مجيئه الثاني على أثر خراب أورشليم، ولا شك أن نقص تحذير شعبه في العصور الآتية من أن يخدعوا بآيات الكذبة» (4)، وإذا كان متي يخبر بأن هناك مسحاء سيظهرون آيات عجيبة ويحذر من تصديقهم، فإن يوحنا اللاهوتي يتحدث عن الآيات العجيبة التي تظهر على يد المسيح الدجال قبل قيام الساعة وقبل رجوع المسيح عليه السلام، ويتحدث في رؤية عن ثلاث عجائب، تظهر على يد الدجال، ورد في رؤية يوحنا اللاهوتي ما نصه: "ورأيت واحدًا من رؤوسه كان مذبوح للموت، وجرحه المميت قد شفي، وتعجبت كل الأرض وراء الوحش، وسجدوا للذين الذي أعطى السلطان للوحش، وسجدوا للوحش.

(1) رؤية يوحنا اللاهوتي 11/6/11.
(2) الكنيز الجليل 460 وما بعدها.
(3) متي 24-26/26.
(4) الكنيز الجليل 1 ص 412.
علامات الساعة

قائلين، من هو مثال الوحش، من يستطيع أن يحارب، (1)، ويصنع آيات عظيمة، حتى إنه يجعل نارًا تنزل من السماء على الأرض قدم الناس، وأعطي أن يعطى روحاً لصورة الوحش، حتى تتكلم صورة الوحش، ويجعل جميع الذين لا يجدون لصورة الوحش يقتلون، ويجعل الجمع الصغار والكبر والأغنياء والفقراء والأحرار والعيد يتسع لهم سماة على يدهم اليمنى أو على جبهتهم، وأن لا يقدر أحد أن يشترى أو يبيع إلا من له السماة (2). يقول ميخائيل مينا: فقد يصنع الدجال آيات ومجرات كثيرة بقوة الشيطان يُشفى أحد أتباعه أو هو نفسه من جرح قاتل، ينزل نارًا من السماء، وذلك في طاقة الشيطان، لأنه قادر على أن ينزل من الجو صواعق ويثير رعدًا وبرقًا، ويجعل تمثاله ينطق وينكلم، وذلك بأن يدخل روحًا من الرواح الشيطانية في ذلك التمثال على عادة الرئيسيين، فنصره ناطقًا متكلمًا، ولكن هذه العجائب كلها باطلة وخيالية، لا حقيقة لها بنفسها، وإنما الشيطان يتحببال الناس بها كأنها حق (3). ونلاحظ أن ما ورد في نص متي الذي يحذر فيه المسيح من المساحات الكاذبين أنه يتثق في معناهم مع ما أخبره عنه النبي بقوله: بين بدي الساعة ثلاثون دجالًا كذابًا (4). وأن ما ورد في العجائب التي تظهر على يد الدجال - والتي عرضنا بعضًا منها عند النصراني - يتفق بمعناهم مع ما أخبر عنه من العجائب التي تظهر على يد المسيح الدجال. روى البخاري بسنده عن جزيرة عن النبي قال في الدجال: إن ياحتة ماء ونارًا، فتارة ماء بارد، وتارة نارًا. قال أبو مسعود: أنا سمعته من رسول الله (5). وأن التنفس التي يحدثها الدجال، وتحتُّنها عنها الأناجيل تتفق في معناها أيضًا مع ما أخبر عنه فيما يفعله الدجال مع السالحين من عباد الله، وأنه ستنظر على يديه بعض العجائب التي تفتن الناس. روى البخاري بسنده أن أبا

(1) رؤيا يوحنا اللاهوتي 3 - 3 - 5 .
(2) رؤيا يوحنا اللاهوتي 13 - 12 - 17.
(3) علم اللاهوت ج2 ص 176 / 177 بصرف.
(4) فتح البخاري ج 13 ص 73.
(5) فتح البخاري ج 13 ص 84.
سعيد قال: حدثنا رسول الله ﷺ يومًا حديثًا طويلًا عن الدجال فكان مما يحدثنا به أنه قال: "يأتي الدجال وهو مخترم عليه أن يدخل نقيب المدينة، فينزل بعض السباقات التي تقلي المدينة، فيخرج إليه يومًا رجل هو خير الناس أو من خيار الناس، يقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه. فقول الدجال أرأيت إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشككون في الأمر؟ يقولون: لا، فيقته، ثم يحييه، يقول: والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم، فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه" (1) ونحن نسجل هذا لا ننزعج من التوافق بين روايات العهد الجديد عن المسيح الدجال وفنته، وما أخبر عنه ﷺ، وما دمنا نعرف أن للعهد الجديد أصول صحيحة انحرف عنه، فقد تكون تلك الروايات من الأصول الصحيحة، بخصوص إذا علمنا أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "ما من نبي وقد أنذرَة قومه، ولكن سأقول لكم فيه قوله لم يقله نبي لقومه: إنه أروع وأحب الله لبأمور" (2) فالرسول ﷺ قد أخبر أن الأنباء قد أندثرت أمهم بالمسيح الدجال، وما يفعله بالناس الذين ينزل فيهم، وأخبر الرسول ﷺ أيضًا بذلك إلا أنه زاد صفاته توضيحاً، ووصفه بأنه أروع، ولم يحدث نبي من الأنبياء أمته بهذه الصفة.

ومما تحدث العهد الجديد عنه بالنسبة للدجال مدة حكمه، ورد في رؤيا يوحنا اللاهوتي: "وأعطيكما مكانة، وسيتكلم بعظائم وتجاديف، وأعطي سلطانًا أن يفعل اثنين وأربعين شهراً" (3) يقول ميخائيل مينا: "أما مدة حكم الدجال فثلاث سنوات ونصف، يعاني فيها العالم من الأهوال والشدايد الفادحة ما يقصر عنه البيان، وقد ينتشر سلطانه ويمتد ملكه إلى أقصى الأرض كلها، حيث يكون له أتباع وأعوان في كل مكان، يحملون لقب ملوك وولاة، ليغرو الناس على الإسرار بألوهته،..."

(1) نفسه ج 13 ص 86، 87، 88، 89
(2) فتح الباري ج 13 ص 80، 81
(3) رؤيا يوحنا اللاهوتي 13 - 6/5
وإلا ساموهم ظلمًا وفسقًا.) ومعلوم أن رسول الله ﷺ قد حدد المدة التي يمكث فيها الدجال في الأرض، بيومًا، يوم كسنة، يوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كألام الناس، ولا شك أننا نتمسك هنا بصحة المدة التي حددها رسول الله ﷺ.

نهاية الدجال في التصور النصراوي:

يعتقد النصارى أن الدجال ستنك من نهايته على يد المسيح عليه السلام، وذلك قبل أن تقوم الساعة، وأنه سيطرح في النار حتى ومعه أحد الكذابين، وأما الذين اتبعوه وصدقوه بكذبه، فسوف يقطلون بيد المسيح الذي يخرج جالسًا على فرس ورد في سفر الرواية - يوحنا اللاهوتي - ما نصه: "ورأيت ملاكاً وحدهًا واقفاً في الشمس، فصرخ بصوت عظيم قائلًا لجميع الطيور الطائرة في وسط السماء: هلام اجتمعي إلى عشاء الإله العظيم، لكني تأكل لحوم ملوك، ولحوم قواد، ولحوم خيل والجالسين عليها، ولحوم الكل حراً وعبد صغيرًا أو كبيرًا، ورأيت الوحش ومملوك الأرض وأجناهم مجتمعين، ليصبمونا حرًا مع الجالس على الفرس ومع جنده، فقبض على الوحش والتي الكذاب معه الصانع، قدما الآيات التي بها أصل الذين قبلوا اسمه الوحش، والذين سجدوا لصورته، وطرح الآثان حبيبنا إلى بحيرة النار المتبعة بالكبريت، والباقيون قتلوا بسيف الجالس على الفرس الخارج من فمه، وجميع الطيور شعبت من لحومهم."

ويقال: إن المدة التي يمكث فيها الدجال بعد أن تنتهي يذهب إلى جبل الزببون - المكان الذي يزعم النصارى أن المسيح صعد منه إلى السماء - ليصعد إلى السماء كما صعد المسيح، ولكن يسبع يضره ضربة قاتلة، يتحدد على أثرها إلى الجحيم، حيث النار المتبعة بالكبريت، والذين معه سوف يقتلون وترك لحومهم لطيور السماء تأكلها وتتغذى عليها، وبعد ذلك نجد أن النصارى يختلفون فيما بينهم.

(1) علم اللاهوت ج2 ص 176
(2) رؤيا يوحنا 19 - 21/17
(3) علم اللاهوت ج2 ص 179
عن المدة التي يبقى فيها المسيح على الأرض، وحال الناس في تلك الفترة التي تعرف بالمملكة الألفية - أي ألف سنة التي يقضيها المسيح على الأرض - اختلفوا على رأيين:

الرأي الأول: يرى أن ألف سنة تبتدأ بمجيء المسيح قبل نهاية العالم، وأنه يملك مع قدسيه ألف سنة على الأرض، وأنه في تلك الفترة يعيش قدسيون تحت لوائه في حالة عظيمة من المجد والسعادة، وأن هذه القيادة التي يقوم فيها المسيح مع قدسيه هي سعادة النفس وحدها، أما القيادة الثانية فهي سعادة الروح والجسد معاً. وقد أيد هذا الرأي الكثير من مشاهير علماء الكتاب.

الرأي الثاني: يذهب إلى أن ألف سنة مدة محصورة بدايتها موت الدجال وتنتهي بالقيادة العامة، وحينذاك يقوم الأبرار من الأموات، ويمولكون على الأرض مع المسيح ألف سنة، وفي هذه الفترة ينتشر الأمن والأمان، ويسكن الذئب مع الخروف، ويرضى النمر مع الجدي. وهذا الرأي يذهب إليه لفيف من البروتستانت.

وزة الآن الرأيان لا اختلاف كبير فيما بينهما، إذ يتفق الرأي الأول والثاني على الملك الألفي والقيادة الخاصة التي تسباق القيادة العامة، وأن الأبرار من الأموات يقومون لعيشوا في سعادة حسبية على الأرض مع المسيح عليه السلام، والاختلاف في الزمن هل هو قبل الدجال أو بعده، والأرثوذكس يرجحون الرأي الأول، والبروتستانت يرجحون الرأي الثاني.

وهذا الملك الألفي الذي اختلف حوله النصارى نجد أن في إنجيل متي نصا يشير إلى أن النصارى لن يكونوا هم أصحاب هذا الملكوت، وإنما ينزع منهم

(1) انظر علم اللاهوت ج2 ص 169/161.
(2) انظر سفر أشعياء 11: 10/2.
(3) انظر علم اللاهوت ج2 ص 170/171.
وبعثه لغيرهم. ويفسر بعض علماء الإسلام هذا النص بأنه إشارة إلى حكم المسيح عليه السلام بشريعة الإسلام في آخر الزمان بعد قتل الدجال. ونص متي هو: «الذين أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويبعث لأجل أتماره».(1)

يقول الدكتور الفرت في تعلقه على نص متي: «إن كتبنا يبقى إخواننا المسيحيون في حيرة، وكلا المسوحين يكذبونهم، يمكن القول بأن ذلك الملكوت يمثّل توقعه في مجيء المسيح الثاني حين انقضاء الدهر، ليقضي على الدجال والدجال في آخر الدنيا، وليصبح الأرض بالإيمان بعدما استثمر فيها الفساد والكفر والضلال، وبذلك تكون على دعوته نهاية العالم، وإننا لنجد في نصوص الإنجيل ما يؤكّد هذا المسلك، فإن المسيح لما رأى انظار القوم لحلول الملكوت أُبعد تحديد وقته على وجه الثمين، ولهما التثلاميذ في شغف من معرفة وقت حلول الملكوت الذي يأتي عند انقضاء الدهر أكد لهم أن لذلك اليوم مقدمات وعلامات متى تأتي يكون الملكوت».(2)

ويذهب الدكتور الفرت إلى أن ما أخبر به المسيح عليه السلام من مجيئه الثاني قبل انقضاء الدهر، ليقيم مملكة قائمة على أسس قوية من الدين، وأنها ستكون مملكة مثالية في سعادتها تحت تنفيذ الشريعة التي ينادي بها المسيح عليه السلام، قول صدق وخبر حق. ونجد في الإسلام ما يؤكدها.

يقول الدكتور الفرت: «والله أكبر، حين يأتى على أسماعنا قوله، ويكرز بشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم، ثم يأتي المنتهى؛ وبذلك يتفق عيسى ومحمد على أن العالم ستنعود دعوة عيسى وحكم عيسى قبل انقضاء الدهر، ولكن بدعوة محمد عليه الصلاة والسلام، والذي يؤكد نبوة محمد هذه أن المسيح عليه السلام ذكر أن بشارته ستكون لجميع الأمم؛ لأن عيسى عليه السلام في رسالته الأولى لم يرسل لبني إسرائيل خاصة، أما في المجيء الثاني فإن بشارته

(1) متي 21: 43
(2) انظر بولس والمسيحيين ص 141، 143 للدكتور أبو الغيط الفرت. الناشر دار الطباعة المحمدية الطبعة الأولى.
ستكون لجميع الأمم حقًا وصدقًاً (١). وأميل إلى ما ذهب إليه الدكتور الفرئ؛ لأن ما ذهب إليه هو ما يتفق مع التصور الإسلامي في نزول المسيح وحكمه بشرعية الإسلام، التي جعلها الله عز وجل خاتمة الشرائع وختتم بنبأها النبوة، ومما تجد الإشارة إليه أن إنجيل برنابا يشير إلى عودة المسيح قبل القيامة، ليشهد على الذين حرروا الإنجيل واتخذوه إليه. ورد في إنجيل برنابا قول المسيح: "إني رجل فنان كسائر الناس، على أنى وإن أقامني الله نبأًا على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء وإصلاح الخطاية، خادم الله وأتم شهداء على هذا، كيف أنى أنكر على هؤلاء الأشرار بعد انصرافي من العالم سيبطلون حق إنجيل بي عمل الشيطان، ولكن سأعود قبل النهاية، وسباني معى أخوتي وإلياً، ويشهد على الأشرار الذين ستكون آخرين ملموسة" (٢).

تعمق على علامات الساعة بين التصور الإسلامي والتصور النصراني:

بعد عرضنا لعلامات الساعة بين الإسلام والنصرانية يمكن أن نقرر مواطن الاتفاق والاختلاف على الوجه التالي:

أوجه الاتفاق:

أولاً: يتفق التصور النصراني مع التصور الإسلامي في أن الساعة لا يعلمها إلا الله وحده، ووردت نصوص في الأنجيل تتفق مع نصوص القرآن الكريم في هذه القضية، ولا شيء في هذا التوافق بين بعض نصوص الأنجيل ونصوص القرآن، ما دمنا نعترف أن للأنجيل أصلاً صحيحاً انحرف عنه، هذا الأصل الصحيح يتمثل في الإنجيل الذي أخبرنا الله عز وجل أنه علمنه لعيسى ابن مريم عليه السلام.

ثانياً: أن أشراط الساعة وعلاماتها في الأنجيل جاءت موفقة في المعنى العام مع ما ورد عن أشراط الساعة في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، مع الاختلاف بين الإعمال عند النصارى والتالفصيل عند المسلمين، وأيضًا بعض الجزيئات التي انفرد بها

(١) بولس والخسيس ص ١٤٥، ١٤٦.
(٢) إنجيل برنابا الفصل الثاني والخمسون ص ١٨/١٣.
التصور الإسلامي عن التصور النصراني.

ثالثًا: أن ظهور المسيح الدجال والفتين التي يحدثها قرب قيام الساعة مما أتفق عليه النصور الإسلامي مع التصور النصراني، مع ملاحظة الإجمال عند النصارى والتفصيل عند المسلمين، وأيضًا بعض الجزيئات التي انفرد بها الإسلام عن النصرانية كصفة المسيح الدجال، وكيف أنه أعور، وأن تلك الصفة أخبر بها رسول الله ﷺ أمه، ولم يخبر أي نبي أنه بتلك الصفة، وعند بحثنا عن تلك الصفة للدجال في كتب النصارى لم نجد لها أي ذكر وهذا تصديق للرسول ﷺ.

رابعًا: أن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان لقتل الدجال مما يتفق فيه التصور النصراني مع التصور الإسلامي.

أوجه الاختلاف:

أولاً: التناقض الموجود عند النصارى بين اعتقادهم في ألوهية المسيح عليه السلام وكونه لا يعلم الساعة، وبلوغ هذا التناقض أقصى حد في عبارة أحد المفسرين، واعتباره إنسانًا لا يعلم وقتها، وهذا يخالف التصور الإسلامي جملة وتفصيلاً.

ثانياً: يختلف التصور النصراني عن التصور الإسلامي في حكم المسيح بعد قتل الدجال، إذ يعتقد النصارى أن المسيح سيُبشر الإنجيل في كل المسكونة، وهذا يخالف ما في العهد الجديد من أن المسيح رسلته لبني إسرائيل خاصة، ويخالف التصور الإسلامي في أن المسيح عليه السلام سوف ينزل ليحكم بشريعة الإسلام، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، ويفرض العمال حتى لا يقبله أحد، ومعلوم أن دعوة الإسلام هي الدعوة العالمية للناس كافة، وهي الدعوة التي يأتي المسيح عليه السلام لدعو الناس إليها.

ثالثًا: علامات الساعة في التصور اليهودي

نظرًا لقلة المصادر اليهودية فإنني لم أعثر في المراجع المتاحة لي على أي إشارة عن علامات الساعة في التصور اليهودي على عكس ما في الإسلام، وما في
النصارانية، ويبدو أن التوراة الحالية لا تهتم كثيرًا باليوم الآخر وما يسبقته وما يقع فيه، وإنما تجعل اهتمامها بالحياة الدنيا وما فيها، وأنه إذا وجد عند مفكري اليهود تفصيلات عن الآخرين وعلاماتها فقليلًا ما يعثر عليها الباحث، نظرًا لأن الديانة اليهودية غير تبشيرية، ولأن اليهود لا يرون نشر دينهم خارج جنسهم من اليهود.

وإذًا ما أسجح في البداية عن قلة المصادر اليهودية التي يمكن أن يرجع الباحث إليها، وعلامات الساعة لا نجد في العهد القديم حديثًا عنها، حتى النصارى الذين يستدلون على الساعة وعلاماتها نجدهم لا يرجعون إلى العهد القديم في الاستدلال على علامات الساعة بالرغم من أنهن يعتبرن العهد القديم من الأصول التي يرجعون إليها ومستدون بها على كثير من قضائهما، ولو كانت علامات الساعة واضحة في العهد القديم لاستدل النصارى عليها بالعهد القديم والجديد معاً، وهذا ما لم نلاحظه في استدلال النصارى، إذ رأينا أنهم يكتفون بالعهد الجديد فقط.

وللأمانة العلمية، فإن النبي قد عثرت على نص عند أحد مفكري اليهود، فيه إشارة ضمiente إلى علامات الساعة، تتمثل هذه الإشارة في استدلال هذا المفكر على أن اليهود سيميزهم الله عن بقية الأمم، فيحييهم في الدنيا أوّلًا قبل الآخرة، ليصل حياتهم الآخرة بحياةهم الدنيا. يقول سعدياً الفيرومي: "أليس نحن عشير الموحدين مقرنين بأن الخلق جل جلاله يحبني جميع الموثوي في دار الآخرة للمجازاة؟ فأي شيء لمنكر أن يكون نقل هذه الأمة بمدة زيدانًا، يحبني فيها موتانا قبل دار الآخرة، حتى يصل حياتهم تلك بحياة الآخرة وأي شيء火山ي والماعون من ذلك والدافع له؟ إلز هو عدلًا، يعرض كل متحجر حسب محنته، وأمتنا هذه قد امتحنها بالأمور العظيمة، فإن الأحرى أن يزيدها هذه المدة من قبل الدار الآخرة، فتكون أفضل من جميع المحسنين، كما كان صبرها ومحبتها أفضل منهم").

و هذا النص يعني إشارة ضمينة إلى علامات الساعة، إذ إن ذلك يحدث قبل قيام الساعة.  

(1) الأمانات والاعتقادات لسعدية الفيرومي ص ٢٢٦ - طبعة ليدن ١٨٨٢.
المبحث الرابع

البحث بين الإسلام والنصرانية واليهودية

ولأول، البحث في التصور الإسلامي

احتلل البحث مكاناً كبيراً في القرآن الكريم لدرجة أننا نجد سورة في التنزيل إلا وللبث واليوم الآخر فيها سهم، وأي سهم(1) واهتمام القرآن الكريم بالبحث واليوم الآخر يرجع إلى نواح منها:

النواحي الأولى: عرض صورة واقعية للبحث وما يصحبه وما يقع عليه من أحداث، وهذا ما ستتعرّض له في هذا البحث كواحدة من واقعات اليوم الآخر، وترجّه الحديث عن الخلاف الذي وقع بين المسلمين وبعض الفلاسفة في حقيقة البحث: هل هو بالروح أم بالجسد أم بهما معاً إلى الفصل الثاني من الرسالة، حين عرض واقعات اليوم الآخر بين المتكلّمين والصوفية والفلاسفة.

النواحي الثانية: مناقشة المنكرين للبحث ودحض شبههم وإثبات الاعتقاد بالأدلة العقلية والوجدانية والعملية والبحث من هذه الناحية ستتعرّض له في فصل مستقل إن شاء الله.

مقدمات البحث:

من مقدمات البحث: النفح في الصور، والصور هو القرن الذي ينفع فيه. روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: قال أعرابي: يا رسول الله ما الصور؟ قال: فلنفخ فيه(2). ولقد تكرر الصور في القرآن الكريم في سورة:

(1) قصد السبيل في التفسير الموضوعي لآي التنزيل ص 127.
(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 10/11 - تحقيق أحمد شاكر.
الأنصار، والمؤمنون، والعملاء، والأمر، وغيرها، وذكر ذكره في السنة النبوية الشريفة. وقد اختلاف العلماء في عدد النفحات في الصور بعد اتفاقهم على أنه مما يسبق القيامة والبعث، فمن العلماء من اعتبار أن عدد النفحات ثلاث، من هؤلاء العلماء: ابن كثير في كتابه النهاية في الفتن والملاحم يقول: "النفحات في الصور ثلاث نفحات، نفخة الفزع، ثم نفخة الصعق، ثم نفخة البعث" (1) والإمام الطبري عند تفسيره نقول الله عز وجل: (ورَبِّ مُتَشِقٍ فِي الصُّورِ فَفَجَّرَ مَنِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ أَنَّ اللَّهَ وَلَّدَهُ وَأَنَّهُ ذَكِيرٌ) (النمل: 77). يقول: "اختفى أحد التأويل في تأويل قوله تعالى: (وَرَبِّ مُتَشِقٍ فِي الصُّورِ) (النمل: 78). عن محمد بن كعب القرشي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا رسول الله ما الصور؟ قال: "قرر ينفع فيه". قال: كيف هو؟ قال: "قرر عظيم ينفع فيه ثلاث نفحات الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيامة لله رب العالمين" (2).

ويذهب الإمام النسفي في تفسيره إلى أن الجمهور على أنها ثلاث. الأولى للززع، كما قال: (ورَبِّ مُتَشِقٍ فِي الصُّورِ فَفَجَّرَ مَنِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ أَنَّ اللَّهَ وَلَّدَهُ وَأَنَّهُ ذَكِيرٌ) (النمل: 78).

وذهب بعض العلماء إلى أن عدد النفحات أثنتان.

يقول القرشي في التذكرة بعد أن أورد اختلاف العلماء في عدد النفحات: "وهما نفحان، ونفخة الفزع هي نفخة الصعق؛ لأن الأمرين لازمانا لهما، أي فزع في زعما ماتوا منه، والسنة الثابتة على ما تقدم، والأحاديث تدل على أنهما نفحان لا ثلاث، وهو الصحيح إن شاء الله، لقول الله تعالى: (وَرَبِّ مُتَشِقٍ فِي الصُّورِ فَفَجَّرَ مَنِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ) (النمل: 78)." (3)

(1) فتح الباري ج2 ص 308.
(2) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ج2 ص 279.
(3) جامع البيان للطبري - المجلد العاشر ص 141/1314. الناشر دار المعرفة بيروت - الطبعة الرابعة 1980.
(4) تفسير النسفي ج2 ص 66. الناشر عيسى الخليلي.

ويذهب صدر الدين الشيرازي إلى أن نفقه الصور نفختان: الأولى لإمامة الإنسان، وينم بإضعاف أن له حياة، والنفقه الثانية لأجل الإحياء بعد الإمامة حياة أخرى أرفع من الأولى (3). قال تعالى: «وما نفع به فجأة إذا هم يبصرون» (الزمر: 88). ورجح ابن حجر في فتح البياري القول بأن النفخ في الصور مرتان فقط، وحديث الصور الطويل الذي فيه ثم ينفخ في الصور ثلاث نفخات: نفقه للنفع، ونفقه للصعق، ونفقه للقيام لرب العالمين، هذا الحديث أخرجه الطرير مختصرًا، وسنده ضعيف ومصرب. والأحاديث الصحيحة تثبت أنهما نفختان، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر (4) وما أخرجه البهيخي بسنده فوي عن ابن مسعود موقوفًا ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه، والصور قرن، فلا يبقى لله خلق في السماوات ولا الأرض إلا مات، إلا من شاء ربك، ثم يكون بين النفخين ما شاء الله أن يكون. وفي حديث أوس بن أوس الثقفي، رفعه أن أفضل أبامكم يوم أنتم جمعة، فيه الصعق، وفيه النفع؛ الحديث أخرجه أحمد وأبو داود.

(1) التذكرة للقرطي بنصرف ج1 ص 227.
(2) تفسير غريب القرآن للعلامة نظام الدين النيسابوري بهامش تفسير الطرير المجدد الحادي عشر ص 19 بتصرف.
(3) حفظي البعث والنشر، صدر الدين الشيرازي ص 99، 100، بتصرف، الناشر دار القرآن العربي الطبعة الأولى 1984.
(4) سيأتي ذكر هذا الحديث.
وافقات اليوم الآخر


وقد ورد في الشهنة أن الصور مقدمات القياسة، وأنه يسبق البعث مباشرة، فقد ورد في صحيح الإمام مسلم الحديث طويلً عن علامات الساعة، وما يقع قبل النفخ في الصور، وما يقع بعد النفخ في النفيحة الأولى والثانية.

روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمر حديث الصور، وفيه "ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورتفع ليتًا قال: وأول من يسمعه رجل يلتو حوض إبله قال: فيصعق الناس، ثم يرسل الله - أو قال: ينزل مطرًا - كأنه الطلل اللهم، أو قال الظل.

(1) فتح الباري ج1 ص111, 311
(2) اللؤلؤ ووالرجال فيما اتفق عليه الشيخان ص283 للأساتذة محمد فؤاد عبد الباقى - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالκωιτ 1977.
(3) نفسه.
(4) فتح الباري ج1 ص310.
البعث بين الإسلام والتوراة واليهودية

- فتثبت من أجسم الناس، ثم ينتفع فيه أخرون إذا هم قيام بنظورهم. ثم قال: وبأيها الناس هم أعلم إلى ركَّم، فقولهم بِنَمَّام تَنْحَرُونَ [الصافات: 24]، ثم يقال أُجرجوا بِعِثْ تُنْقِيم، ففيقال من كم؟ فيقال من كل ألف تسعمئتان وتسعة وتسعين، فذلك يوم يجعل اللوردان شيئاً، وذلك يوم يكشف عن ساق، 1). يقول النور في شرح الحديث السابق: "أصبحلي ليلة ورفع ليلتي، الليل بكسر اللام صفحة المنع وجيابه، وأصبحي مال عنقه ليستعم جيداً من السماء، والظل أي كمن مُنْجُرُ الرجال، فقوله يوم يكشف عن ساق: أي يوم يكشف عن شدة وحول عظيم أي يظهر ذلك، ويقال كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت". 2).

البعث:

عرف العلماء البهث بأنه توجه السيء إلى ما كان عليه، والمراد هنا الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد النفرق، وإلى الحياة بعد الموت، والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة (3)، وعرف البهث بأنه "إعادة الأجزاء الأصلية، لا إعادة الأجزاء الفاضلة" (4)، وعرف أيضاً بأنه "عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم من جبرئهم، بعد جمع الأجزاء الأصلية التي من شأنها ذلك كالظفر" (5). وهذه التعريفات كلهًا تجمع على إحياء الموتى بأغسامهم بعد الموت وخروجهم من القبور. يقول إمام الحرميين في الأرشاد: "فإن سُلِّمنا الدليل على جواز الإعادة استقرناه من نص الكتاب وفحوى الخطاب، وثبتنا الإعادة بالنشأة الأولى، كما قال تعالى رَبَّنا رَبُّ الْعَالَمَاتْ 67/576، 67/575 طبعة المدينة.

1) صحيح مسلم ج 2 ص 376/377.
2) صحيح مسلم ج 18 ص 77/78 وتمسير ابن كثير ج 5 ص 377.
3) شرح المقاصد للسعد ج 2 ص 153.
4) الأربعين في أصول الدين ص 392 للإمام فخر الدين الرازي - الطبعة الأولى مجلس دار المعرف الإسلامي 1353 هـ.
5) تفسير المريد شرح جوهرة التوحيد ص 212.
منكري البهث: قُالَ مَنْ يُبْنِي الْأَلْظَمَ وَهُوَ رَبِّيْنَ أَيْنَ [بَس: 78].

والقرآن الكريم يصور بث الناس وخروجهم من قبورهم أبلغ تصوير في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَظَنُّوا أنَّ الْمَمْلِكَةِ لَهَا فَإِنَّ الْمَمْلِكَةِ لِلْمَلَائِكَةَ [الأنبياء: 61]. ويصور القرآن الكريم البهث وخروج الناس من القبور لله رب العالمين يقول تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا سَأَلُونَ إِلَّا مَعَ الْأَخْرَى ثُمَّ كَفَرُوا بِالْعُلُوْجَ [الأنبياء: 65].

ويبقى البهث للناس عن بث الناس من القبور يبقى مأسئياً. والنظرة إلى الآية 64، يرى الكثيرون هذه الآية كأنها جزء متفرع في الكثرة والتفريع في الأفكار. 

وأما اهتم البهث في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يسبق البهث من أهوال، تتمثل في زلزلة الأرض، ونسف الجبال، وتكوين الشمس، وتفجير البحر، وتناثر النجوم.

(1) وانظر الإرشاد إلى قواعد الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرميين الجنوبي ص 272 تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم مكية الخالفي. 1959.
(2) انظر الكشاف للزمخشي ج 3 ص 225/226.
(3) تفسير أبي السعود ج 4 ص 154.
لبحث بين الإسلام والنصرانية واليهودية

وبتعثر القبور، وغير ذلك من الأحداث التي تقع يوم القيامة. يقول الله تعالى: (إِذَا وَقَعَ الْوَقَعَةُ لَيْسَ لَوَاقَعًا كَأَنَّهُ خَافِضٌ رَأَيْعَةً) (إِذَا رَجَحَ الْأَرْضُ رَجَاحًا)
(وَبَنَّىَ الْجَبَالَ بَنًّا) (فَكَانَتْ هِيَانًا) (الواقعة: 1-16).

ويقول سبحانه وتعالى: (إِذَا رَجَحَ الْأَرْضُ رَجَاحًا وَخَرَجَ أَرْضُ أَنْفَاقًا) وقال:
(وَالْإِنْسُ مَا هُوَ) (يَوْمِيْنِ دَيْنٌ أَحْسَارًا) (يَوْمِيْنِ يَوْمِيْنِ)
(يَمْسَرُ اللَّهُ عَلَيْهَا يَوْمَئیْنَ أَعْمَلُهُمْ) (فَمَنْ يَسْتَغْلِفُ يَشْكَالُ دُوَّرَ حَيْرًا يُسَرُّ)
(وَمَنْ يُسْتَغْلِفُ يَنْفَكَالْ ذَرْوَ شَراً يُخُزُّ) (الزلزلة: 1-8). يقول صاحب ظلال القرآن: "إنه يوم القيامة حيث ترتفع الأرض الثابتة ارتفاعًا، وتزلزل زلزالاً، وتنفض ما في جوفها نفثًا، وتخرج ما ينثقلها من أجساد ومعادن وغيرها مما حملته طويلة، وكنها تنخفف من هذه الأقاليم التي حملتها طويلًا، وهو مشهد يهز تحت أقدام المستمعين لهذه السورة كل شيء نثبت، ويخيل إليهم أنهم يتأرجحون ويتذروRESSQ والأرض من تحتهم تنكر، وتنصور، مشهد يخلي القلوب من كل ما تنتشر به من هذه الأرض، وتنحبه نابيًا باتيًا". (1)

ويقل تصوير القيامة عند الرسول ﷺ مبلغه حين يخصص لنا يوم القيامة ممثلاً في بعض سور القرآن الكريم، روى الإمام أحمد بن سيدنه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (فَمَنْ سَأَلَ أن يَنظَرَ إِلَيْهِ الْقِيَامَةَ كَأَنَّهُ رَأَى عَينٌ فَلَيَقْرَأُ (إِذَا اِنَّفَضَ كُرُونَ) (التكوير: 1) وَ(إِذَا أَنْتَمَا أَنْفَضْتُ) (الانفطار: 1) وَ(إِذَا أَنْتَمَا أَنْفَضْتُ) (الانشقاق: 1)

واحسبه أنه قال: "سوره هود". (2)

(1) ومن السور التي تحدثت عن أحوال يوم القيامة سورة الحج، الواقعة، المعارج، القيامة، المرسلات، النبأ، النازعات، الغاشية.
(2) في ظلال القرآن ج 6 ص 2954 - 2954. دار الشروق الطبية العاشرة 1982.
(3) مسندا الإمام أحمد ج 2 ص 27.
وإن المتأمّل في السور الذي ذكرها الرسول ﷺ على أنها تعرض يوم القيامة مشهودًا للناس يجد حقا أنها تصور يوم القيامة بأهوال أحداثه ومنشأه أن يبلغ تصويره، ولتأخذ سورة التكوين كمثال على ذلك يقول تعالى: 
١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠..
الجبال مما يصاحب النفحات الثانية في الصور، ذلك لأن الآيات التي تحدثت عن ذلك مثل قوله تعالى: "فَإِذَا نَعْجَبَ فِي الْأَرْضِ نَعْجَبْ وَجِلَّتِ الْأَرْضَ وَلَبََّ جَبَلَ "[الحلقة: 12-10].


وظهر النصوص القرآنية تفيد أن نصف الجبال وغير ذلك مما يصاحب البعش والنجاح في الصور، ومن الجدير بالذكر أن رسول الله ﷺ هو أول من نشقت عنه الأرض يوم القيامة. روي البخاري بسنده عن أبي هريرة حديثا طويلا، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تخبروني على موسى، فإن الناس يسعفون يوم القيامة، فاكون أول من يفتي، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري آكان موسى فيمن صلى أنفسهم قبلي، أو كان ممن استثنى الله عز وجل،"(١) وللمعلمين أراة عدة فيمن استثنى الله عز وجل يوم القيامة، فيذهب الإمام الطبري إلى أنهم جبريل وميكائيل وإسرائيل وملك الموت، ويسندل يحدث عن أنيس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ: "فَنُحِب في الْصُّور قَصَحُ مَنِ في السَّمَاوَات وَمَن في الأرض إلا من شاء الله" [النسر: ١٨] فقيل من هؤلاء الذين استثنى الله رسله ﷺ قال: "بجبريل، وميكائيل، وملك الموت، وينقل عن قنادة عن الحسن: يُستثنى الله وما يدع أحدا من أهل السماوات ولا أهل الأرض إلا إذا أذاقه الموت. وليس المعنى بذهب إليه الإمام البغوي في تفسيره إذ ينقل عن الحسن إلا من شاء الله، قال: يبقى الله وحده(٢).

وأين حجر في الفتاح ينقل اختلاف العلماء فيمن استثنىهم الله عز وجل في نفحه

(١) فتح الباري ج:١١ ص:٣١٢.
(٢) تفسير الطبري المجلد الحادي عشر ص:٢٢، وانظر تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ج:٣٤٣ - الطبعة الأولى - دار المعرفة.
الصعق، ويذكر أن الأقوال عشرة في هذه المسألة، فالبعض يقول إنهم الأموات لكونهم ل إحساس لهم فلا يصعقون. والبعض ذهب إلى أنهم الشهداء، وهذا الرأي يؤيده حديث عن أبي هريرة، وذهب آخرون إلى أنهم الأنبياء، وهذا الرأي شبه بسألته الذي يستثنى الشهداء لأن الأنبياء أحياء عند ربهم، فإذا نفع في الصور النبوية الأولى صعقو، ثم لا يكون ذلك مرتاً في جميع معانيه إلا في ذهاب الإشاعر، وذهب بعض العلماء إلى أنهم جبريل، وميكائيل، وإسرائيل، وملك الموت، ثم يموت الثلاثة، ثم يقول الله لملك الموت: ميت. فيموت. وقد استدل الذين ذهبوا إلى أن الذين استثنىهم الله الملائكة المشار إليهم يحدث عن أنس، أخرجه البيهقي، ويقرر ابن حجر أن هذا سنده ضعيف، وله طرق أخرى عن أنس ضعيفة أيضًا، ويزيد بعض العلماء على الملائكة المشار إليهم حملة العرش، وحجت مهم ما رواه أبو هريرة في حديث الصور، وحديث الصور يقول عنه صاحب الفتاح: إن سنده ضعيف ومضطرب، وذهب بعض العلماء إلى أنه موسى وحده. هذه هي الأراء المعروَّل عليها (1) والتي تستحق أن نرجح بعضها عن بعض (2).

وبعد هذا الاستعراض نميل إلى أن الذين استثنىهم الله عز وجل هم الأنبياء والشهداء، وذلك لصحة الحديث الوارد في الشهداء.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية من الذين لم يشأ الله أن يصعقوها قال: فهم شهداء الله عز وجل. قال صاحب الفتاح: صرحه الحاكم ورواته ثقات، ورجحه الطبري (3)، وذهب إليه القرطبي في التذكرة وقال بأنهم الشهداء وهو الصحيح (4). ولأن الأنبياء أحياء عند ربهم أيضًا فيلحقون بالشهداء (5).

(1) هناك بعض الآراء تذهب إلى أنهم الوُلدُان الذين في الجنة والحور العين، والنار وما فيها من الحيات والعقارب، وذهب ابن حزم إلى أنهم الملائكة كلهم لأن الملائكة لا أرواح لها، فلا يموتون أصلاً.
(2) انظر فتح البازري ج1 ص 211، والذكرة للقرطبي ج1 ص 210، 211.
(3) فتح البازري ج1 ص 211، (4) التذكرة ج1 ص 207.
(5) فتح البازري ج1 ص 211.
ثانيًا: البهال في التصور النصارى

يطلق البهال عند النصارى على القيامة. ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة القيامة: "تضمن القيامة حسب تعاليم الكتاب المقدس، قيمة الأجسام، وتبني هذه الأجسام، وباشرها إلى الأبد (1). ويرفض قاموس الكتاب المقدس بين القيامة عند النصارى بالمعنى المتقدم وبين بعض العقائد المشابهة للبعث لدى غيرهم من الأمم كالمصربيين واليونانيين، فذكر قاموس الكتاب المقدس أن قيمة الأجسام عند النصارى تختلف عن عقيدة المصريين القدماء التي تقول بأن الأحياء أو الشخصية الذهنية للإنسان الميت كانت تقوم بزيارة جسم المحتفظ من وقت إلى آخر، ويختلف هذا التعليم - قيمة الأجسام عند النصارى - عن الرأي الذي قال به الفيلسوف اليوناني أفلاطون، أن النفس هي الخالدة فحسب (2). وواصل قاموس الكتاب المقدس تفريقة بين القيمة العامة عند النصارى، والتي تتمثل في قيمة الأجسام المشتركة إليها سابقا، والتي تشمل جميع البشر، وتكون في آخر الزمان، وبين بعض الأفراد الذين قاموا بعد الموت، وورد ذكرهم في الكتاب المقدس، وذكر الكتاب المقدس أن قيمة الأجسام تختلف أيضاً عن القيمة والعودة إلى الأرض المألوفة كما حدث في قيامة ابن أرملة تائبين (3) وكما حدث في قيمة لعذرا (4). وواصل قاموس الكتاب المقدس حديثه عن القيمة العامة فيذكر أن السيد المسيح علّم بوضوح أن الموتى سيقومون، ولقد نقض حجة الصدوقيين الذين كانوا ينكرون القيمة من أسسها (5).

ويربط قاموس الكتاب المقدس بين قيمة الأجسام، وبين الحساب والجزاء

(1) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٨
(2) نفسه
(3) لوقا: ٧/١٧/١٢\11
(4) إنجيل يوحنا ١١:٤٤، وانظر قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٨
(5) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٠
للأبرار والأشرار فيقول: وكثيراً ما نرى تعليم المسيح عن القيامة العامة مرتبطًا بنظامه من الدنياوية النهائية (1)، ولقد علّم الرسول أيضًا أن القيامة العامة التي فيها يقوم الأبرار وال الخاطئون عند الدنيائة الأخيرة (2).

مقدمات البعث عند النصارى:

من مقدمات البعث عند النصارى البوق وهو عبارة عن آلة موسيقية على هيئة القرن كانوا يفتحون فيها في الأعياد، عند إعطاء علامة الحرب وما أشبه، وكانت أبوق الكهنة من الفضة، وسيعلن البوق مجيء المسيح الثاني (3)، وكذلك يعلن القيامة الأموات (4).

ورد في رسالة كورنتوس الأولى قول بولس في الرابط بين البوق والبعث: هو ذا سير أثوبه كلام لا نترقب كنا، ولكننا نتغير في لحظة من طرف قبل عند البوق الأخير، فإنه سيبقى في قباق الأموات عديمي فساس، ونحن نتغير (5). وهذا النص يربط بين البوق والبعث، ويعتبر النصارى أن عقدة القيامة الأجناس من أخص العقائد المسيحية، لأنها إذا انتهت ينتفي معها الخلاص المسيحي (1). كما يقول الأب بوانس، ونلاحظ أن النصارى يربطون البوق والبعث والخلاص المسيحي، ولسنا في معرض مناقشة هذا الرابط ما يهمنا هنا هو تصوير عقيدة النصارى في البعث، ثم المقارنة بينها وبين عقيدة البعث في الإسلام.

يقول ميخائيل مينا: "لم تدع النصوص الإلهية أغلب ريب في نفس المؤمنين من جهة القيامة الأجناس للحساب والدنيئة بل تكلمت عنها بإيضاح واف، ولسوخية مستفيدة (6)

واستنباس: كيف ينتسب قول ميخائيل مينا في هذا النص مع نص ورد في الصفحة التالية لنصره السابق، يقرر فيه ميخائيل مينا أن كلام الكتاب عن قيامة

(1) إنجيل متى 11 - 23، 44، 45، 25: 31 / 426.
(2) قاموس الكتاب المقدس ص 195.
(3) مئات: 24: 31.
(4) قاموس المقدس ص 195.
(5) رسالة كورنتوس الأولى 15: 52.
(6) السماضلية للأب بويانس ص 95.
(7) علم اللاهوت ج 2 ص 138.
الأجساد غير مستوفى، يقول: "إن إقامة الموتى الذين تطورت أجسادهم بهذه الحال - من آدم إلى آخر إنسان يموت - هي بلا شك أسرار العقل البشري عن فهمها عجزًا كاملاً ليس لسهموها في نفسها فقط، بل لأن كلام الكتاب فيها غير مستوفى." في النص الأول يبشّر أن قيامة الأجساد تحدثت عنها النصوص الإلهية بإيضاح وافية وصرامة مستفيدة، وفي النص الثاني يذكر أن كلام الكتاب عن قيامة الأجساد غير مستوفى، فضلاً عن عجز العقل البشري أن يفهمها. فهل النصوص الإلهية الواضحة في النص الأول غير كلام الكتاب غير الواقي في النص الثاني؟ لا أعتقد، إذ إن المصدر واحد، ولا فارق فيما أرى بين النصوص الإلهية وكلام الكتاب، وربما كان النص المعوج عليه هو النص الثاني الذي يقول فيه المؤلف بأن كلام الكتاب غير مستوفى عن قيامة الأجساد، وهذا الرأي هو ما يذهب إليه النصارى أنفسهم من أن العهد الجديد لم يقل إلا قليلاً لإشباع رغبة حب الاستطلاع، والوقوف على وصف تفصيلي مسبح للعالم الآخر.

وهذا ما يعبر عن الواقع الموجود في العهد الجديد إذ إننا نستطيع أن نؤكد بدون تجاوز للحقيقة أن ما ورد عن البعث والقيامة في الأناجيل المعتمدة، وأعمال الرسل لدى النصارى لا يعادل ما جاء في سورة الأنفس والتكوير والانشقاق في القرآن الكريم، هذا عن العهد الجديد، أما العهد القديم الذي يقدسه النصارى فإن الأنبياء يؤناس يقول إن ما ورد في العهد القديم إشارات عابرة عن القيامة من بين الأموات.

ويذكر صاحب كتاب ترات العالمي القديم في معرض جديده عن البعث عند

(1) نفسه ج2 ص 139.
(2) أديان العالم: حبيب سعد ص 248- 249. دار التأليف والنشر للكيسمية الأسقفية.
(3) أقول "المعتادة" لأن ما ورد في إنجيل برناو قريب جدًا مما ورد في القرآن الكريم من ناحة الحقائق وشيء في التفصيل مختلف عن الأناجيل الموجودة لدى النصارى الآن - انظر إنجيل برناو الفصل الثاني والخمسون إلى الثالث والسنين ص 81، 96.
(4) السماء للأنبياء يؤناس ص 93 بصرف يسير جدًا.
اليهود أن النصوص الواردة في العهد القديم التي تشير إليه قليلة ومتأخرة، وعندما تأصل
الاعتقاد بين اليهود كان في صورة تميز بأنها يهودية وفي اتحاد وثيق مع الانتظار القومي
(1) للمملكة، (2).

وستواصل استعراض النصوص التي تتحدث عن البعث في العهدين القديم
والجديد لنصور اعتقاد النصارى في البعث كواقبة من واقعات يوم القيامة.

البعث في العهد القديم:

يذكر الأنبا يوأنس أن في العهد القديم نجد إشارات عابرة عن القيادة من بين
الأموات كما نجد براهين عملية على هذه الحقيقة؛ (3).

ويستدل الأنبا يوأنس بنصوص من سفرى أشعية ودانيال، وسوف نتعرض
لهذين النصين لنتبين هل هما يشيران إلى البعث الأولي أم يشيران إلى البعث
القومي لليهود واستقرارهم السياسي؟ كما يذهب إلى ذلك بعض النصارى. ورد
في سفر أشعية (تحيا أمواتك، تقوم الجثث، استيقظوا، تزوروا يا سكان النراب) (4).

وبالرجوع إلى السنن القوية في تفسير العهد القديم نجد أن النص لا يشير إلى
القيادة في الآخرة، ولكن يشير إلى بعث اليهود بعد السبي. ورد في تفسير النص
السابق أن أعداد اليهود أخيلت لا تقوم، ولكن الرب قام لشعب اليهود: تحيا أمواتك،
كانت اليهود في بابل في مدة السبي في الذل فكانوا بلاق اسم ولا قوة ولا حرية كأنهم أموات،
نقال لهم الرب: إنهم سيرجعون إلى بلادهم فتقوم ثانية أي الكلام هنا في موت الأمة
السياسي وقيامهم للحياة الجديدة (5).

وواضح أن تفسير النص يخرجه عن المراد منه أي البعث الآخري إلى البعث

(1) ستناقش هذا بالتفصيل عند حديثنا عن البعث عند اليهود، ونرجع ما نراه إن شاء الله.
(2) تراث العالم القديم ج1 ص 99 المؤلفة د.ج. دي بورج ترجمة زيدي موسى مراجعة الدكتور
بيحى الخشاب الناشر دار الكرنك 1965.
(3) السماء للأنباء يوأنس ص 99. (4) أشعية 26/19.
(5) السنن القوي في تفسير العهد القديم ج8 ص 187/186.
البعثودين الإسلام والنصرانية اليهودية

القومي للمجاهد، وليس التفسير لنصر أشيامه يذهب إليه. ناشد حنا في تفسيره لسفر أشيامه (1). نص أشيامه - الذي استدل به الأُنباء - يُؤناس على البعث الأخري، وصاحب السنن القويم، وناشد حنا على البعث القومي - يفسره بعض الباحثين على أنه إشارة إلى مجعي الإسلام (2)؛ وإن كنت أوافق الأُنباء فيما ذهب إليه من دلاله النص على البعث الأخري، إذ إن نص أشيامه فيه إشارة إلى الحياة بعد الموت، وإقامة الأجسام والحياة بعد الموت، وقيام الأجسام تتعلق بالبعث الأخري، وتفسيرها بالبعث القومي السياسي للمجاهد ربما كان نوعًا من التحريف الذي تعرضت له النصوص الأصلية.

والذي دعاوني إلى ذكر التفسيرات المختلفة لدى النصارى لنص أشيامه هو بيان عدم الصراحة النامية التي زعمها ميخائيل مينا لإشارات الكتاب المقدس عن البعث كما مبنى وردنا عليه. أما نص دانيال الذي ذهب الأُنباء يؤناس إلى أنه إشارة إلى البعث الأخري: وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستبقيون هؤلاء إلى الحياة الأبديه، ورؤؤوه إلى العالم إلى الازدراء الأبدي (3). وهذا النص مختلف حول دلالته على البعث الأخري فمن النصارى من يرى النص يشير إلى البعث الأخري، ومنهم من يصرعه عن البعث الأخري إلى البعث القومي السياسي. يقول ناشد حنا في تعليقه على نص دانيال: (وقد أخذت الآية أيضًا على أنها قيمة أممات فرحة، وأنها قيمة عامة لبعض يذهبون إلى الحياة الأبديه وبعض الآخر إلى جهنم، لكن المقصود هنا بالراقدين في تراب الأرض اليهود المُستحقون، الآن، سيجمعهم النبى، بعضهم يرجع رجوعًا موطنًا وروحيًا، فرؤؤوه إلى الحياة والأبدية أي الملك الألفي (4))، وكما نرى فإن ناشد حنا يعرض الاختلاف حول نص دانيال، ويرجع القول الذي يذهب بأن البعث هنا إشارة إلى العودة السياسية للمجاهد.

(1) انظر أشيامه مفصولًا آية آية تأليف حنا ص 244.
(2) يقظة أولى الاعتيار صديق حسن خان. تحقيق الدكتور أحمد حجازي السماص 25 للمحقق.
(3) دانيال 12 - 6.
(4) (4) أشيامه مفصولًا آية آية ج 1 ص 245.
وإذا كنا قد رجعنا نص أشياء في الدلالة على البحث الآخرى لا القومي لليهود مخالفين صاحب السنن القديم، وناشد حنا فيما ذهب إليه، فإننا نرى أن نص دانيال لا يشير إلى البحث الأخروي، ونستأنس بما ذهب إليه النصارى في هذا الصدد، فضلاً عن أن النص بظاهره لا يشير إلى البحث الأخروي، وذلك بدليل أن الذين يستقظون ليسوا الراقدين جميعًا، بل كثيرون منهم هم الذين يستيقظون، وإذا كانت البيضة غير عامة شاملة فليست بمثالي لليوم الآخر (1) وسوف يكون لنا رأي في نص دانيال نرجوه عند الحديث عن البحث عند اليهود وأكثري بهذا القدر من استدلال النصارى على البحث في العهد القديم، لأن للبحث عند اليهود مبتهاحًا خاصًا...

البحث في العهد الجديد:

ورد في إنجيل متي محاورة بين المسيح والصدوقيين (2) الذين ينظرون البحث:

وأما من جهة قيام الأموات أنما قرأتم من قبل ما قيل لكم في مقال الله المؤت: «أنا إبراهيم وإسحاق وإيليا وإعقوم. ليس الله إيليا أموات، بل إله أحياء. فلما سمع الجميع بهثنًا من تعاليمه» (3). يقول بنيامين بنكترن منفس إنجيل متي: «عاد النبي فألبته حقيقة القيامة، وأظهر أنها من الإباعات القديمة، ومن أصول إيمانهم كسائر إبراهيم وإسحاق ويعقوم بزمان طويل، قال الله لموسى: أنا إبراهيم وإسحاق وإلية يعقوب» (4) ويستدل المقسور بما ورد في متي أي: أنا إبراهيم وإسحاق ويعقوم يعقوب. (5) وأي ذاك دليل على أنهم أحياء، يقول: «لو كان إبراهيم وإسحاق ويعقوم يعقوب قد كانوا بالموت عن الوجود لما كان من الأموات اللائقة بالله أن يقول لموسى أنا إلهمهم، لأنه ليس إله غير الموجودين، كان يمكن أن يقول أنا كنت إلهمهم. فإن الوقت وانحلال الجسم الثاني لم يقطع العلاقة الكائنة بين الله وبينهم، وهذه العلاقة نفسها توجب إقامتهم، لأن الموت

(1) الدائيات والآفاقت في مختلف العصور رد ص 343 تأليف أحمد عبد الفتوف الطبعة الأولى

(2) الصدوقيون فرقة من فرق اليهود تنكر البحث والقيامة، وكانت تجادل السيد المسيح في ذلك.

(3) إنجيل متي 26-61-31/32-33.

(4) تفسير إنجيل متي بنيامين بنكترن ص 380.
مرحلة استثنائية دخيلة على الإنسان، لأن الله خلقه جسدًا ونفسًا وروحًا، ومن ثم فلا بد أن يقيم الجسد حتى يكون مقدسه أمامه إلى الأب (1) ونلاحظ أن مفسر الإنجيل يثبت البحث لدى النصارى، ويدل عليه بأن الله إله أحياء، فلا بد أن يحب الأجداد بعد الموت حتى يجازى الصالحين منهم.

ورد عن البحث ومقدماته في إنجيل متي ما نصه: دولووقت بعد ضيق تلك الأيام تتزعزع، وهوينث ذي تظهر علامة ابن الإنسان في السماء، فحينئذ نفوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان أنيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثيرة، فيرس ملائكته يبوق عظيم الصوت فيجمعن مختاريه من الأربع الرباح من أقسام السماوات إلى أقسامها (2).

وهذا النص الوارد في إنجيل متي بين البحث ومقدماته، وكيف الشمس نظام، والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماوات تتزعزع، وباني المسيح ليجمع المختارين من أقسام السماوات إلى أقسامها. ونلاحظ في النص أن جميع قبائل الأرض تنوح، وأن المختارين هم الذين يكونون مع المسيح.

ورد في إنجيل مرقس النص التالي: فأما في تلك الأيام بعد ذلك الضيق فالتظم، والقمر لا يعطي ضوءه، ونجوم السماء تتساقط، والقوات التي في السماوات تتزعزع، وحينئذ يبصرون ابن الإنسان أنيا في سحاب بقوة كثيرة ومجد فيرس ملائكته ويجمع مختاريه من الأربع الرباح من أقسام الأرض إلى أقسام السماوات (3).

ونلاحظ أن ما ورد في إنجيل مرقس يتفق مع ما ورد إنجيل متي في أن ابن الإنسان يرسل ملائكته ليجمعوا مختاريه بعد أن تنوح جميع قبائل الأرض.

ورد في إنجيل يوحن: لا تنجبوا من هذا، فإنه يأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فبخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين فعلوا السينات.

(1) نفسه ص 380 / 281.
(2) مرقس 13: 28/14.
(3) متي 24: 39-32/29.
إلى قيمة الدينونة (1 ) ، و يتعلق صاحب كتاب " إيماننا الحي " على نص يوجنا بقوله:

" سوف يسمع الأبرار نداء الأدب بفرح لا يوصف ، أما الأشرار فتعثر بهم الرعب ، و تتحد أن جسد الموتى عند القيامة بنفوسها ، فظهر الخاطئون في صورة قبيحة بتعبير فيها بأسمهم وخيبهم ، أما الأشرار فتجلب أجسادهم بمجد يشبه مجد ابن الله المتجلي (1"). و لسنا في مجال مناقشة النصارى في اعتقادهم بوتلا المسيح لله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (3).

وتكشف بهذا القدر من الاستدلال على واقعة البعث من الأناجيل ، و ننتقل إلى رسائل بولس ، لنتجد أن فكرة البعث والقيامة احتلت مكاناً بارزاً في رسائله إلى الكنيسات المختلفة في ذلك الوقت ، وورد في رسالة "كورنتوس الأولى":

" فإنه سبب في قيامة الأموات عديم فاسد ، ونحن نتغبر ، لأن هذا الفساد لا بد أن يليس عند فاسد ، و هذا المائة بليس عدم موت " (4) . و نص بولس يربط بين النفح في الصور و قيامة الأموات و تغير أجسادهم ليتسنى لهم دخول الملكوت ، وورد في الرسالة الثانية لكورنتوس قول بولس: "الراقدون ببضع سيحضرون الله أيضًا معه " (5) ، و هنا يربط بولس بين قيامة المسيح و قيامة النصارى في الآخرة ، و ورد في سفر أعمال الرجل قول بولس: " إيه سوف تكون القيامة للأبرار والأئمة " (6) ، و نص بولس يوضح أن القيامة سوف تكون للأبرار والأشرار معًا ، و يورد صاحب دينونة البشر العامة نصوصًا من الأناجيل (7) عن القيامة والمبعث ، و يحيل إلى غيرها ، يقول: " إن القيامة حقيقة راسخة تؤديها البراهين الكتابية (8) . و يعتبر الأنباء يؤنوس أن " أروع ما كتب عن حقيقة قيامة

(1) إنجيل يوحنا 5 - 28 .
(2) إيماننا الحي ص 527 .
(3) انتظر في تفسير حجج النصارى في ادعاء بوتلا المسيح لله ، الجواب الصحيح لم يدل دين المسيح.
(4) رسائل كورنتوس الأولى 15/32-33 .
(5) رسائل كورنتوس الثانية 1 - 9 .
(6) أعمال الرجل 9/32 - 25/26 - 41 .
(7) يوحنا 5 - 31 - 28 ص 25/26 - 41 - 42 .
(8) دينونة البشر العامة ص 41 .
الأجساد في العهد الجديد ما دونه معلمينا القديمين بولس الرسول في إصحاح بأكمله هو الإصحاح الخامس عشر في رسالته إلى كنيسة كورنتوس،(1). وورد في الإصحاح المشار إليه قول بولس: "ولكن إن كان المسيح يكرز إلى أنه قام من الأموات، فكيف يقول قوم بيثيم أنه ليس قيامة أموات، فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، فبأثاث كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم؛(2). والذي يقرأ الإصحاح السابق يجد أن ما ورد فيه من عبارات مختلف في أسلوبه عما ورد في سائر الأناجيل، وعن سائر رسائل بولس، نفسه، لأنه في هذا الإصحاح كان يستخدم العقل تارة، ويبذل الأمثلة تارة أخرى، وليبرهن على البحث وحققه، ولعل السبب في ذلك كما يقول الأنباء يؤانس أن مساحة الرسول بولس لهذا الموضوع في رسالة إلى كنيسة في بلاد اليونان مهد الفلسفة، وهي كنيسة كورنتوس كان بلا شك رداً على تأثيرات كل من الفلسفة الرواية والأبطوقية،(3)، التي أنكرت قيامة الأجساد التي انتشرت في تلك البلاد.(4).

وبعد هذا العرض للنصوص التي تثبت البحث من الأناجيل، وأعمال الرسول نستطيع أن نقرر أوجه الاتفاق، وأوجه الاختلاف بين التصور الإسلامي للبعث والتصور النصري.

أولاً، أوجه الاتفاق:

1- نستطيع أن نؤكد بعد عرضنا للبعث في التصور الإسلامي، والتصور

(1) السماه للأنبا يؤانس ص 103.
(2) رسالة كورنتوس الأولى 15 - 15/13.
(3) نلاحظ أن الأنبا يؤانس يؤكد على رد بولس على الفلسفات المنتشرة في ذلك الوقت في بلاد اليونان، ويذهب كثير من الباحثين في تاريخ الأديان وعلى رأسهم شارل جنيرير إلى أن بولس تأثر بهذه الفلسفات، وأن المسيحية لم تعرف كثيرًا من الأشياء إلا عن طريق تأثر بولس بهذه الفلسفات انظر في ذلك المسيحية نشأتها وتطورها تأليف شارل جنيرير ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود ص 88/89.
(4) السماه للأنبا يؤانس ص 104/1.
النصراني لأنه ما جاء في الأناجيل يتصل في أول الفكرة مع ما جاء في الإسلام.

مع اعتبار التفصيلات في التصور الإسلامي عن التصور النصراني.

2- أن مقدمات البعث من زلزال الأرض، وتساقط النجوم مما يشترك فيه التصور النصراني مع التصور الإسلامي، ويتضح ذلك التوافق في البوق الذي يُنسخ فيه لجمع الناس في التصور النصراني، الذي يقابله الصور في التصور الإسلامي، وحين نقرر أوجه الاختلاف بين التصور الإسلامي والتصور النصراني للبعث نقرر أيضًا أن مصدر هذا التوافق هو أن للنصرانية أصلًا سماويًا انحرفت عنه بعد رفع الله للمسيح عليه السلام.

ثانيًا، أوجه الاختلاف:

1- نلاحظ أن الأناجيل لم تتحدث عن البعث كواصفة بنصوص كافية، وهذا هو الملاحظ في الأناجيل وأعمال الرسل، وما بقيره أيضًا علماء النصارى الذين عرضنا أراءهم عند تحديثنا عن البعث في التصور النصراني.

2- لم تقدم الأناجيل أي صورة عن خروج الناس من القبور للقيامة، بعكس القرآن الكريم الذي صور في كثير من آياته أحوال الناس وصورتهم أثناء بعثهم، وهناك جزئيات لم تتحدث عنها الأناجيل، وتعرض لها القرآن الكريم والسنة النبوية. ومن هنا نستطيع أن نؤكد أن الاختلاف بين النصرانية والإسلام في اليوم الآخر دقيق وكثير، ويرهن على أن اليوم الآخر في الإسلام يأتي من مصدره الأصيل، ألا وهو الوحي، وأنه ليس تابعًا لمصدر آخر وليس متطورًا عن الأناجيل للاختلاف البيئي في صورته، ولأن نبي الإسلام لم يطلق على الأناجيل، فهي لم تكن مترجمة إلى العربية كما هو ثابت، ونبي الإسلام لم يكن يعرف العبيرة أو

(1) انظر الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي ص ٢٠٦ وانظر صور استشراقية للدكتور عبد الجليل شلي ص ٢٧٧/٢٧١ في هذا الكتاب يفصل مراجع أحد المستشرقين من اليهود الألمان، الذين يعانون أن الرسول تأثر في فكرة البعث والجزاء باليهودية والمسحية - نشر مجمع البحوث الإسلامية ١٩٨٨.
البعث بين الإسلام والنصرانية واليهودية

السريانية أو اليونانية حتى يزعم زاعم أنه اطلع عليها في إحدى هذه اللغات، وهذا الاختلاف بين البعث في الإسلام والبعث في النصرانية يبطل زعم المستشرقين الذين يزعمون أن فكرة البعث والجزاء أخذها الرسول على المسيحيين أو اليهودية.

ثالثًا: البعث في التصور اليهودي

من الحقائق المعروفة لدى المسلمين أن الله عز وجل أنزل على موسى عليه السلام النزوة فيها هدى ونور يقول تعالى: (إِنَّا أُنْزِيْنَا لَقَدْ نُزِيَّنَا فَيْهَا هَدًى وَنُورًا) [المائدة: 44] ومعموم أن هذه النزوة قد استلمت على التعاليم التي أرادها الله من بني إسرائيل سواء كانت متعلقة بالعقيبة أو بالشريعة.

لقد استلمت النزوة على العقائد والشرايع (1) ومن ضمن أمور العقيدة التي وردت في النزوة (اليوم الآخر وتفصيلاته المختلفة، يقول الله تعالى: (وَكُنْتَ نُذُرًا اللَّهُ فِي الْأَلْوَاجِ بِنَسِيَةٍ وَقَرَاءَةٍ وَبِفَاحَةٍ وَبِفَاحَةٍ وَفَاحَةٍ فَعَذَّبْنَاهُ وَأَمَّرْنَا قُوَّمَكَ يَحْمَذُوْا يَحْمَذُوْا سُلُوكًا كُبْرَىٰ أَفْقِدَوْا) [الأعراف: 145].

وسواء أكانت النزوة هي الألواح أم كانت الألواح مغابرة للتوراة (2)، فموسى عليه السلام أخبر الله تعالى له تفصيل لكل الأشياء، سواء في النزوة أم في الألواح. ومن ضمن الأشياء التي فصلها الله تعالى لموسى عليه السلام اليوم الآخر تفصيلاته المختلفة من البعث والجزاء والحساب والجنة والنار وغيرها، يقول الله تعالى: (فَخَافْتُوهَا مَوْسِيُّ الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الْأَلْوَاجِ أَحْسَنَ وَتَفَصِّيَتُ وَلَكِنَّ شَيْءًا) [الأفعال: 154].

ولكن بالتأمل في أسفار موسى الحمسة الحالية، والتي يطلق عليها اليهود اسم

(1) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص 96.
(2) يذهب جمهور العلماء إلى أن النزوة هي الألواح ومن جمهور العلماء: الخليلان السيوطي والمجل، وابن كثير انظر الآراء في ذلك في كتاب مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص 99 - 100.
النورة وجدنا أنها خالية من الحديث عن البعث والجزاء والجنة والجحيم. يقول الدكتور "دراز": لا نصادف منذ آدم حتى موسى إلى آخر عهدة أية إشارة في أي مكان إلى حياة بعد الموت، كأن لم يكن لعقيدة الحياة الأخرى مكانت في أديانهم.

ووجدنا "ابن كمونة" اليهودي في كتابه "تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث" يعرف بخلو النورة من البعث، والثواب والعقاب الأخروين، ويدافع عن خلو النورة من البعث ويعلل ذلك بمعالات تستعرض لها عند الحديث عن ذلك.

وإذا تركنا أسفار موسى الخمسة، وتأملنا أسفار الأنباء الذين جاءوا من بعد موسى على حد قولهم، وجدنا أن هناك بعض الإشارات عن البعث والجزاء، وبدوراه هذه النصوص، وجدنا أنها مختلفة حولها، فالبعض يذهب إلى أن المقصود بها العودة القومية لليهود، وانتصارهم على أعدائهم، والبعض الآخر يذهب إلى أن تلك النصوص مقصود بها البعث الأخرى، ولكن اليهود تأثروا في عصورهم المتاخرة بالبعث من الديانة الفارسية والبابلية بعد عودتهم من السبي، وتوجد بعض النصوص التي عبرت عنها من التلمود، والثناء تشير إلى البعث، والحساب، والجزاء في الآخرة.

(1) دستور الأخلاق في القرآن ص 28 الدكتور محمد عبد الله دراز ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين - مؤسسة الرسالة - دار البحوث العلمية - بيروت الطبعة الثالثة 1980 م.
(2) منهم على سبيل المثال صاحب كتاب - تراب العالم القديم - ح دي بورج ص 99، ومنهم ناشد حنا في تفسيره لسفر أشعاء. ومنهم صاحب الغصن القيء في تفسير العهد القديم. ومنهم صاحب كتاب الدين وعقائد في مختلف العصور، ومنهم مؤلف الكتاب المقدس وإن كان الذين ذكروا أسماهم أو أسماء كتبهم عن غير اليهود إلا أننا نستنكر بآرائهم، ولا يلزمنا أن نأخذ بوجوهاتهم في التفسير لنصوص البعث في أسفار الأنباء.
(3) من مؤلفو سبيل المثال صاحب كتاب علم اللاهوت الكتابي، صاحب كتاب الفكر الإسلامي أطواره ومذهبه، اليهود تاريخاً وعقيداً، ومفصل العربي، واليهود في التاريخ، قصة الحضارة لدورات.
(4) التلمود أصله وسلاسة وآدابه ص 49.
لبعث بين الإسلام والنصرانية واليهودية

وأجمع المؤرخون على أنهم عُرِفت عليها العلماء من اليهود يتحدث عن اليوم الآخر، وأن اليهود يعتقدون في البعث والجزاء وأن عقيدتهم تحدث إسهامية عند أمة اليهود، ومآم إقرار اليهود بخلو التوراة الحالية - وأعني بها أسفر موسى الخمسة - عن البعث ووجود بعض الإشارات عن الآخرة في أسفر الأنبياء المتأخرين، وبعض نصوص التلمود وأقوال اليهود واعتقادهم في البعث بعد الموت؛ رأيت أن أدرس البعث عند اليهود في اتجاهات ثلاثة:

الاتجاه الأول:
الTORAH الحالية وخلوها من الحديث عن البعث والجزاء، وأعني بالتوراة هنا أسفر موسى الخمسة الحالية - كما يسميها اليهود - فهم يطلقون التوراة على أسفر موسى الخمسة فقط، وفقًا على خلو التوراة الحالية من الحديث عن اليوم الآخر وما السبب في ذلك؟

الاتجاه الثاني:
عرض الإشارات التي وردت في أسفر الأنبياء المتأخرين ودراسة ما قبل حولها.

الاتجاه الثالث:
عرض عبارات التلمود وشرح العقائد اليهودية، وبيان تواصؤهم واختلافهم عن التوراة وأسفر الأنبياء، وأسجل العذر في البداية من قلة المصادر اليهودية التي عثرت عليها، ورجعت إليها، وذلك لأن اليهود لا يحبون نشر دينهم خارج بني جنسهم، لاعتقادهم هم أنهم أبناء الله وأتباعه، وأنهم شعب الله المختار.

ثم التفهيم على هذه الاتجاهات، والحكم عليها من خلال احتكاك إلى القرآن الكريم باعتباره المهيمن على ما سبق من الكتب، يقول تعالى: (يَا آدَمَ إِلَىَّ الْكِتَابِ الْمُقْسَمِ مِنْ أَحَدِ ٍ وَمُهْيَمًا عَلَيْهِمَا فَاحْضِرُوهُمْ يَنْتَهُوُنَّ إِلَيْنَا ۗ وَلَا تُطِبُّنَّ أَهَوَاكَمُ عَنَّا جَآئِهَا لَكُمْ لَآ أَنْصَرُ نَا إِلَّآ بَشِرَاءَةً ۖ وَمِنْها ۚ [المائدة: 48].)
الاتجاه الأول: خلو التوراة من البث والجزاء;

يقصد بالتوراة هنا ما يقصده اليهود فنقد أصطلح الإسرائيليون على تسمية أسفار موسى الخمسة باسم التوراة المكتوبة، وتسمية التلمود باسم التوراة الشفاهية أو المنقلة (1).

خلو التوراة من الحديث عن البث والجزاء كان مثارًا للتطعن فيها، والجدل حوله، ورد في كتاب تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث لابن كمونة تحت عنوان الاعتراف الخامس ما نصه:

إن هذه التوراة لم نجد فيها تصريحًا بالثواب والعقاب الأخرويين، وذلك من أهم ما يذكر، وهو الأصل الأعظم في التشريع. فلو كانت التوراة التي بُليدي اليهود منزلة عن الله تعالى لما جاز خلوعها من التصريح بذلك، والعدل عنده إلى المنبوحين الذين قد أكثر من ذكرهم في التوراة، فإن الدنيا زائبة ولا اعتقد بنعيمها ولا شفائها (2).

هذا جزء من الاعتراف الذي وُجه للتوراة أثناء مجداله ابن كمونة اليهودي، ورد ابن كمونة على هذا الاعتراف قائلًا: "إن خلو التصريح بذلك لا يضر إذا كان قد أُنزل على موسى، يقصد البث والجزاء، وяхبه بما ينبغي إسرائيل واستغله فيهم، فإن قيل: فلما لم يكتب في التوراة مصرحًا؟ قيل: إن الأمور الإلهية لا يجوز المعارضتها فيها، ولا السؤال عنها، بل ربما يكون ذلك لحكمة لا نعرفها (3).

ثم يشرح خلو التوراة من الحديث عن البث والجزاء بقوله: "إن الأنبئاء أطباء النفوس بإرشاد الله تعالى إياهم، وكما أن طبيب الأبدان إنما يعالج على حسب ما يجده في زمانه، وأهل زمان موسى لم يكونوا منكرين لثواب الآخرة وعقابها، بل كان منرضهم عبادة الأصنام والكواكب وغيرها، وبالجملة عبادة غير الله تعالى، واعتقادهم أن عبادتهم

(1) التلمود أصله وتسليمله وأدابه ص 242.
(2) تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث ص 40 لصفي منصور بن كمونة اليهودي. الناشر دار الأنصار.
(3) نفسه ص 40.
وتقرير القرابين لها تعمر الأرض، وتخصب البلاد، وتصنع ثمار الأشجار، كان علماؤهم ونشاكمهم وأهل النقوية منهم يعظون الناس، وتعلمون أن الفلاحية التي بها قوام وجود الإنسان إنما تتتم ونجي، على الاختيار، بأن تعبدوا الشمس والكواكب، وإن سُقطوها بعصيئكم أفرطت البلاد وخربت، وقالوا في كتبهم التي ذكرناها: إن المشتري سخط على البراري والصحارى؛ ولذلك صارت عادة الماء وعادة الأشجار بأوبها الغيلان، وكانوا يEMONشمون الفلاحين والأكارين جدًا. لاستغلالهم بممارسة الأرض التي هي من إرادة الكواكب. (1)

ويحكي ابن كمونة عن الصواب أنهم كانوا يذكرون في كتبهم أن «الحكاماء القدماء كلهم، والأنبىاء قد فرضوا أن يضرب بالآلات في الأعجاب، وبين أبيدي الأصنام، وأن الآلهة يعجيها ذلك، وأنها نكافيئ فاعلية أحسن مكافاة، وأختلفوا في هذا الفصل من الوعود والوعيد على ذلك من تطوير الأعمار، ودفع الفات، وصرف العاهات، وخصص المزارع، وزكاة النشر، فلما شهدت هذه الآيات حتى ظنّت يقيها، وأراد الله تبع، رحمة منه نحو هذا الغلط من الأذى، ورفع هذا التعب عن الأجسام، بتعظيم تلك الأعمال الشاقة الغير مفيدة، أخبر على لسان رسوله موسى هم: (2) أنه إن عباد هذه الكواكب والأصنام انقطع المطر، وخربت الأرض فلم تنبت شيئًا، وسقطت ثمار الأشجار وحلت الآفات والعاهات بالاجسام، وقشرت الأعمار؛ وبالإقبال على عبادة الله تبع، تنزل الأمطار، وتخصب الأرض، وتصلح الأحوال، ويصح الجسم وتطوي الأعمار، ويكرب هذا الوعود والوعيد في عدة مواضع من التوراة؛ ليزول ذلك الرأي وين,mapي أخرى من النفوس، (3)

وبين ابن كمونة: أن سبب خلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء هو معرفة

(1) تنفيذ الأبحاث في الملل الثلاث لأبن كمونة ص 40
(2) لعلها الفعال، وقد نقلت النص بحروفه
(3) لعلها عليه السلام
(4) تنفيذ الأبحاث في الملل الثلاث ص 41
بني إسرائيل بهذه العقيدة؛ ولذلك لا تحتاج إلى تكرار. يقول: "ولو كان مرشح إنكار البقاء الأبدية للنفوس بعد الموت والثواب والعقاب فيه لكأن قد كرر ذكره في التوراة لتأكيد التقرير، ولما لم يكن الأمر كذلك اقتنعت باستفاضته بين الأمة والتعريض به، ولهذا كانت اليهود معقولة ومقررة بالبحث والنشر للأموات، وبناء النفس بعد موت الأجسام، وتناقلوا ذلك سلفًا عن خلف (1) وترحموا على مؤتاهم وأدعوا بالتوية عند ظنهم حلول الأجل (2).

وذكر ابن كمونة تأكيدًا لعقيدة البعث عند اليهود أنهم قد أوجبا ذكر الإيمان بإحياء الموتى في الصلاة وغير الصلاة وعند اجتيازهم مقابل أمتهم (3).

والنص الذي نقلناه عن ابن كمونة يبرز أمرين:

الأمر الأول:
أن التوراة خالية من البث والثواب والعقاب، وذلك راجع إلى أن بني إسرائيل كانوا على علم بالبعث والجزاء قبل موسي عليه السلام، فلم يحتاجوا إلى تكرار الحديث عنه، وإنما جاء موسي ليذكرهم بصورة الله وحده، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام.

الأمر الثاني:
أن التوراة وإن خلت من الحديث عن البعث والجزاء فإن ذلك لا يعني أن اليهود ينكرن البعث، فهم يعتقدون ويقرون بالبعث والنشر للأموات، وبناء النفس بعد موت الأجسام وتناقلوا ذلك خلفًا عن سلف، كما يقول ابن كمونة، وإن خلّ نبأ التوراة لأي أسفر موسي الخمسة، من الحديث عن البعث والجزاء جعل كثيرًا من الباحثين يذهبون إلى أن اليهود لا يعتقدون بالبعث والعقاب في الآخرين، وهذا ياغير الواقع

(1) لعلها خلقًا عن سلف حتى يستقيم المعنى.
(2) نفسه ص 42.
(3) تنقيح الأبحاث ص 42.
البعث بين الإسلام والتراثية واليهودية

الذي يصرح به اليهود، ويكون كلام الباحثين موافقًا للحقيقة وإذا قصدوا أن توراة موسى الحالية خالية عن البعث والجزاء، لأن اليهود يقولون بذلك وي القدمون أسبابًا لحلو التوراة من الحديث عن الآخرة، كما ورد في نص ابن كمونة وهم يعتبرون علينا التوراة لم تنسح عن المعاد إفصاح التلموديين.

ولأن التوراة ليست هي المصادر الوحيد الذي يستقي اليهود عقائدهم منها، وقبل أن نشير إلى السبب الحقيقي في خلو التوراة الحالية عن البعث والجزاء، ونرد على ابن كمونة في زعمه بأنه سبب خلو التوراة من البعث هو الإيمان السابق به فلا حاجة للتكرار. ولا نقول: إن المسائل الغريبة - خاصة فيما يتعلق بالبعث والجزاء والجنة والنار - لا سبيل لمعرفتها إلا من خلال الوعي المنزل، والعقلاني في النصوص المكتوبة التي يرجع إليها، خاصة وأن الناس دائمًا عرضة للسهو والنسبة، فلا تترك أمور كعقائد الآخرة لتعليمهم للناس. ثم إن التكرار في المسائل السمعية مهم جدًا، وضروري لاستمرار الإيمان، خاصة في تلك العقائد التي تتحدث عنها أمور لا يشاهدها الناس ولا يخبرون عنها ممن سبقهم، وتكرار أمر من الأمور يدل على أهميته، وعدم استغ.RequestMapping البصر عنه، خاصة في أمور عقيدة الآخرة التي توجه حياة الناس، ولما كانت الآخرة بهذه المنزلة فإنه من غير المعقول ألا تكون التوراة عليها، والحديث عنها، وننصح لنا أن خلو التوراة الذي نزلت عليه السلام، والقرآن الكريم يقرر ذلك في قوله تعالى: فَأَرَأَيْتُمُ الْكُفَّارَ لَنُصُصُّهُمْ كَفُّكُمُّ صُنُنَّكُمْ (آل عمران: 93). والدليل على التحرير الذي لحق بالتوراة من بعد موسى - أن هناك توراة عبادية وتوراة سارية وبينهما اختلافات جوهرية، تتعلق بالأصل الذي نبحثه، وهو البعث والجزاء. يقول الدكتور أ.م.: إن موسى عليه السلام سلم التوراة التي أنزلها الله عليها إلى بني إسرائيل، وكان موسى نحو 1571 ق.م. وفي مدينة بابل بالعراق - من بعد سنة 586 هـ.

(1) التلمود أصله وتسلسله وأدلته من 91، 91 ترجمة عن العمرانية وشرحه د/ شهوان يوسف موال.
- غير علماء بنى إسرائيل نصوصًا من التوراة التي أنزلها الله على موسى. ومن هذه النصوص التي غيرها، النص على يوم القيامة، ولما رفع بنو إسرائيل من بابل بالتوراة الجديدة التي كتبها لهم "عزير" في بابل اختلفوا على عاصمة الدولة أورشليم أم شكيم؟ وامتنعوا على الجبل المقدس صهون أم جرزيم؟ ولما لم يتفقوا انقسموا إلى فريقين:

السامريين في شكيم، وقيدسون جرزيم، ويتوجهون إليه في الصلاة.
والعبرانيين في أورشليم، وقيدسون صهون، ويتوجهون إليه في الصلاة (1)، وابن حزم في الفصل يذكر أن "أبيدي السامرية تورة غير التي أديدي سائر اليهود، يزعمون أنها المنزلة ويفطعون أن التي أديدي اليهود محروفة مبدلة، وسائر اليهود يقولون: إن التي أديدي السامرية محروفة مبدلة (2) ولا يعلق ابن حزم على التوراة السامرية وما فيها لعدم إطلاعه عليها يقول: "ولم بقع إليها تورة السامرية؛ لأنهم لا يتحملون الخروج عن فلسطين والأردن أصلاً (3) ولكن إن كانت التوراة السامرية لم تصل إلى ابن حزم فقد أكتشفت هذه التوراة أخيرًا، وترجمت إلى اللغة العربية، ومن الاختلافات التي بينها وبين التوراة العبرية النص على يوم القيامة.

يقول الدكتور السقا فقد وجدنا التوراة التي أديدي السامريين تختلف في بعض الآيات عن التوراة التي أديدي العبرانيين، ومن الآيات المختلف فيها النص على يوم القيامة، فهو في التوراة السامرية صريح للغاية، وهو في التوراة العبرانية يحتمل معنيين إما الجزاء في الدنيا، وإما الجزاء في الآخرة (4)، والنصوص المختلف حوله في التوراة العبرانية هو "أليس مكنوزًا عندي مختمًا عليه في خزائي، لي النقمة والإيام في وقت نزل أقدامهم (5)."

(1) مقدمة بقطة أولى الاعتبار بما ورد في ذكر النار وأصحاب النار للشيخ صديق حسن خان ص 6
(2) الفصل لابن حزم ج 1 ص 94
(3) نفسه.
(4) مقدمة بقطة أولى الاعتبار ص 7
(5) سفر التثنية 32 - 34 - 35.
وقد رجعت إلى تفسير النص في السنن الفقيه في تفسير العهد القديم، فوجدت
النقطة والجزاء، أي أنا المنتقم والمتجاوز لا سواه، وقد اقتبس الرسول في
هذه العبارة في المعنى مع تغيير زهيد في النص بقوله في رسالة العبرانيين "فإننا نعرف
الذي قال لي الانتقام أنا أجازي".

يقول الرب ويقوله في رسالة الرومانيين لأنه مكتوب: لي النقطة وأنا أجازي
بقول الرب في وقت تزل أقدامهم. ونزل القدم هنا استعارة للخطأ.

ونلاحظ هنا أن النص فسر في التوراة العبرانية على أن المقصود من الانتقام
والجزاء في وقت زلة أقدامهم الجزاء في الدنيا لا الآخرة، وإن كنا نقرر أن تفسير
صاحب السنن الفقيه ليس حجة على اليهود؛ إلا أننا نذكر رأيه استنادًا ليتبين لنا
أن النص في التوراة العبرانية ليس صريحاً على يوم القيامة.

أما النص في التوراة السامرية التي يقول اليهود السامريون إنه صريح في الإشارة
إلى يوم القيامة فهو "ليس هو مجموعًا عندي مختوطًا في خزائنتي إلى يوم الانتقام
والكافأة، وقت تزل أقدامهم، إذ قريب يوم نعتهم وتسرع المستعدات إليهم، إذ يدين الله
قومه، ومن عبيده فصيح، إذ يرى إن زلت اليد، وتبرض المحاصر والمطلق، ويقول أبن
آلهم القوية التي استطلقها بها، التي شحوب ذباحهم يأكلون ويشروبن خمر سكبهم تقوم
وتعميكم وتكون عليكم ستارة، انظروا الآن إنني أنا هو وليس آلهة معني أنا أميت وأحيي,
أمرت وأنا أشفى وليس من يدي مخلص".

هذا هو نص التوراة السامرية الذي يقول عنه السامريون: إنه يدل على يوم
القيامة.

(1) يقصد "بولس" لأن المنصر نصارى، وهو يربط بين ما ورد في العهد الجديد والعهد القديم، لأنه
يعتبر هو والنصارى أن المصدر واحد.
(2) السنن الفقيه في تفسير العهد القديم ج2 ص50 مانشر مجمع الكتب وهو الشرق الأدنى
(3) التوراة السامرية - سفر ثمانية الأشراع 34 - 38.
ويعلق اليهود السامريون على النص السابق بقولهم: إن قوله بوم «الانتقام والمكافحة» يدل بصراحة ووضوح على قيام الناس من القبر للقاء الله، فيجزؤهم على أعمالهم التي عملوها في الحياة الدنيا(1).

ووهذا النص بالرغم من ادعاء السامريين من صراحته على يوم القيامة، إلا أننا نجده لا يتناسب مع طول أسفار موسي الخمسة، واشتمالها على تفصيلات كثيرة أقل شأنًا بكثير من يوم القيامة، وهذا يدل على أن تلك النسخة - أعني السامرة - محرفية هي الأخرى، أي أن ذلك النص المختلف حوله على فرض أنه يشير إلى الآخرين في النسخ العربية مع النص الذي يقول عنه السامريون إنه يدل صراحة على يوم القيامة على فرض صحة إدعاءهم، أقول أين هذه النصان من حديث القرآن الكريم عن اليوم الآخر وتفصيلاته التي استوعبت معظم سور القرآن الكريم إلى حد أننا قلما نجد سورة في القرآن الكريم إلا تتحدث عن البعث والجزاء، والجنة وأوصافها، والنار وعداها.

ونحن نعتقد أن النسخة التي أنزلها الله على موسي عليه السلام كان فيها تفصيل لكل شيء ومن الأشياء التي أوحى الله بها إلى موسي «اليوم الآخر» وما فيه من بعث وجزاء وحجة ونار، باعتبار أن اليوم الآخر أحد الأصول العقائدية في جميع رسلات الأنبياء قبل موسي عليه السلام وبعده، ونجزم أيضًا أن دعوة موسي عليه السلام كان فيها الإنذار بالعذاب في اليوم الآخر، يقول الله تعالى على لسان موسي عليه السلام:

(إِنَّا نَفْتَحُ لَكُمْ مَرَّاتَيْنِ إِنَّا أَنَا الْغَدِيرِ) (طه: 86)، ويقول تعالى: (وَيَقُولُ: إِنِّي أَنَاَ الأَنْبِيَاتُ الْمُرَاسِخُونَ) (طه: 63-64) عند السكينة والقبر، وأدرك أن الله لا إله إلا أَنَا فِي الْأَلْسَانِ وَالْقُرْآنِ وَالْأُقْرَبِينَ. والقُرْآنِ وَالْأُقْرَبِينَ، وَيَقُولُ: وَيَوْمَ نُذِرُوكُمْ كَذَٰلِكَ نَذَرَهُ مَا بَلَغَهُ وَأَمَرَ وَمَا كُتِبَ لَهُ فَذَٰلِكَ خَيْرًا وَأَمَرَ قَوْمِكَ بِهِ وَأَطَأْتُوهُ وَأَخَذْتُمُوهُ بِمَثَلِهِ) (طه: 145-146).

(1) النسخة السامرة من ص 392، تحقيق الدكتور أحمد حجاجي السقا.
والذين آمنوا بموسي عليه السلام كان عدتهم علم بأمور الآخرة، وما ينتظر الصالحين من ثواب، وما يعاقب به الطالحون من عذاب، يقول الله تعالى عن سحرة فرعون الذين آمنوا بموسي: "فَقُولوا لَنْ نُؤْتَينَكَ عَلَى مَا جَاءَنا مِنْ الْيَسِينِ وَاللَّيْلِ فَطَرَا فَأَقْفُ إِنَّكَ قَاضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ عُقْدَةً لَّا يُقْبَلُ بِهَا إِلَّا مَنْ أَنْصَرَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ۚ إِنَّمَا يَبْتَغُونَ لِيُعْبَرْ لَنَا حُكْمَنَا وَمَا أَهْلُهُ كَثَرَّةً عَلَى يَدَيْنَا وَلَنْ نَشْتَرِ منْ يَتَّبِعُنَا إِلَّا لِلْيَوْمِ الْآٓخَرِ وَإِنَّمَا نُذْبِهِ ذَٰلِكَ لِلْيَوْمِ الْآٓخَرِ" [ط: 72-73]. والأيات التي تتحدث عن الحوار الذي دار بين الذين آمنوا بموسي وبين فرعون، إن دل على شيء فإنما يدل على أن الإيمان بالآخرة قد تغلغل في نفوسهم لدرجة أنهم لا يخشون عذاب فرعون وجنوده، وعقيدة الآخرة تلك التي أفصحت عنها لا بد وأنهم سمعوها من موسى قبل أن يؤمنوا، ورسخت في نفوسهم، بعد أن خالط الإيمان شغف قلوبهم.

والذي ينتهي إليه بعد عرضنا للاتجاه الأول، وهو خلاو أسفار موسى الخمسة من الحديث عن البعث والجزاء هو:

أولاً: أن خلو التوراة من الحديث عن اليوم الآخر يدل على التدخل البشري على الوحي الأصلي المنزل على موسى عليه السلام، ولا ينبغي التحريف البشري على نصوص التوراة قول ابن كمونة: إن اليهود يؤمنون بالبعث والجزاء فلا حاجة لتكراره، لأن الأمور العقائدية وخاصة ما يتعلق منها بالغيبيات لا بد من ذكرها والنص عليها في التوراة، وأهميتها، فلا بد من تكرارها إذ إن التكرار إنما يكون للاهتمام بها والتأكيد عليها.

ثانياً: خلط بعض الباحثين بين خلو التوراة من الحديث عن الآخرة، وعقيدة اليهود في البعث والجزاء. إذ إن خلو التوراة الحالية عن البعث لا يعني أن اليهود لا يعرفون بالآخرة وثوابها وعقابها، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى لأن التوراة ليست هي المصدر الوحيد الذي تؤخذ عقائد اليهود
منه، إذ هناك التعاليم الشفوية، كالتعليم وأسفار الأنبياء المتاخرين والتي يرجع إلها اليهود في عقائدهم وشرائعهم.

الاتجاه الثاني: الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء عن البعث:

إذا تركنا أسفار موسى الخمسة، وتأملنا أسفار الأنبياء بعد موسى نجد أن هناك إشارات عن البعث، وبعض الباحثين يذهب إلى أن هذه الإشارات مقصود بها البعث القومي لليهود، وعودة دولتهم، وانتصارهم على أعدائهم، وسوف نناقش الباحثين فيما ذهبوا إليه.

والبعض الآخر من الباحثين يرون أن الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء مقصود بها البعث الأخري، ولكنهم يرجعون ذلك إلى تأثر اليهود بعقيدة اليوم الآخر من الدينية الفارسية والبابلية بعد الأسر البابلي، وسوف نناقش هذا الرأي أيضاً.

ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان "القيامة في العهد الجديد": "يظهر من الإيحان بالإثابة والجزء الوارد في أيوب (1) بأن القيامة مفهومة ضمناً، وكذلك تذكر القيامة ضمناً في المواضع التي يعبر فيها عن راحة الحياة الآتية مع الله وفي حضرته في المزامير (2)، ويشتدنا أشمهاء (3) عن قيامة المؤمنين، وكذلك يعلم دانيال (4) عن قيامة البعض للحياة الأبدية، وقيامة آخرين للعمر للازدراء الأبدية، ووصف حزقيال (5) نوعاً من القيامة يرمز إلى نهوض شعب الله (6). وسوف نعرض النصوص التي أشار إليها الكتاب المقدس لنرى هل تشير إلى البعث الأخري أم تشير إلى البعث القومي لليهود كما يذهب البعض؟

1) أيوب: 19 : 20 - 27.
3) أشمهاء: 26 : 19.
4) دانيال: 12 : 4.
5) حزقيال.
نص أبو بكر: "أما أنا فقد علمت أن ولي حي، والآخر على الأرض يقوم، وبعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله الذي أراه لنفسي وعندي نظراً، وليس آخرًا، إلى ذلك تتوق كلبتاي في جوفي، (1) ويشير صاحب السنن القويم في تفسير العهد القديم نص أبو بكر هكذا: فقد علمت امنته الله بمصاب عظيمة، حتى ظهر له أن الله قد ترده، وأصحابه كانوا له معزين متعبين، وليس له رجاء بالحياة، ولا يذكر طيب بعد الموت، وليس أمامه إلا الظلام، ومع ذلك ظل إيمانه ثابتاً بأن الله يحبه ولا يترك من خلقه واعتنى به، والشركة التي كانت له مع الله عربون شريكه أفضل ندم إلى الأبد، فقال بشدة فقد علمت، ولم يعلم إلا بالإيمان أولي: هو النسب الآسر، الذي له حق أن يأخذ بالثأر، وله حق أن يفلك المبررات (3)، والله ولي شعبه (4)، وهو ولي المؤمنين أفرادًا، أي يعينهم وينتقم لهم كنائب عنهم، ولا يشير الأسماح أولي إلى من يخلص من الخطأ كناء، في العهد الجديد، وقال إن وليه حي سبهره بعد موته، وخصوص هذا الوالي لنفسه (ولي، والآخر لم يقم له ولي، وهو حي ولكنه رجاء كل الرجاء بولي يقوم له في الآخر، أي بعد موته الأول إشتق إلى مصالح بينه وبين الله، بدون جسدي أي بعد موته فيكون جسدي قد تلاشي، أرى الله، وذلك بعد موته وبدون جسده (4)."

ولا شك في أن معرفة أبو بكر بقيامة الجسد ورؤية الله في السماء كمعرفة غيره من قدسي العهد القديم (5) وهذا النص يشير إلى البيعة الأخري، وليس المجال هنا مناقشة هل النص يشير إلى البيعة الجسدية أم البيعة بالروح (6) الذي يثبت النص أن أبو بكر كان عنده إيمان أنه سيبعث ويرى الله، وهذا ما يرجوه وينتظره.

(1) راوح: 4: 27. (2) أشعياء: 54. (3) أمير: 190. (4) الزمر: 211. (5) الثورة الحسامية ص 14 19 تحقيق الدكتور السفاح.
أما النصوص في المزمجر، والتي أشار إليها قاموس الكتاب المقدس على أنها تشير إلى البث والقيام ف فهي: "اللَّهُ لم تترك نفسي في الهاوية لن تدع تقيتك يرى نفسًا" (1)
نعرفني سبيل الحياة، أمامك شع وسرور في نجميك تعني إلى الأبد (2)
أنا أنا فالبر أنظر وجهك أشع إذا استيقظت بشبهك (3)
إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني (4)
برأيك تهديني ويعد إلى مجد تأخذي. من لي في السماء ومعاه لا أريد شيئًا في الأرض (5).

وهذه إشارات تضمنية إلى البث والقيام والتعيم عند الله.
وتنقل بعد ذلك إلى نص أشعارنا. "تحيا أمواتك، تقوم الحث، استيقظوا، ترنيموا بإسكان التراب، لأن تلك طل أشعة، والأرض تسقط الأخيلة" (6).
ويفسر نص أشعارنا على أنه إشارة إلى البعث القومي، وعودة اليهود لأرضهم.
يقول صاحب السنن القومي: "الرَّبُ قال لشعب اليهود (تحيا أمواتك) كانت اليهود في بابل مدة السبي في الذل، فكانوا بلا اسم ولا قوة ولا حربة كأنهم أموات، فقال لهم الرَّب: إنهم سيرجعون إلى بلادهم، فتقوم أمة اليهود ثانية، أي الكلام هنا في موت الأمة السياسي وقيامهم للحياة كامة جديدة. وإسكان الأرض "إن الرَّبُ دعا هنَا المذلِّينُ والحزاني إلى الفرح والنسابذ لَّأنَّهُم سيخلصهم "ظل أشعة" شبه اليهود بعشت قد يتس من عدم الرطوبة، ثم نزل عليه المطر أي نعمة الله فانتعش (تسقط الأخيلة) معنى هذه الجملة كمعنى الجملة في أول الآية (تحيا أمواتك) أي هي إشارة إلى قيامة أمة اليهود السياسية" (7).

ونفس التفسير يذهب إليه ناشد حنا في تفسيره، يقول: "الحياة من الموت هنا

(1) مزامير 16: 10 - 11
(2) مزامير 49: 15
(3) مزامير 73: 24 - 25
(4) أشعياء 26: 19
(5) السنة القوم في تفسير العهد القديم ص 186، 187.
كتابة عن نهضة قومية ووجود روحي معًا، يغفر خطابهم. قال البعض إن هذه قيامة جسدية حرفيّة قيامة أموات، لكن قيامة الأموات نوعان:

النوع الأول: الذين فعلوا الصالحات يخرجون إلى قيامة الحياة.

النوع الثاني: الذين فعلوا السبيقات يقومون إلى قيامة الدينونة. يقول "استبقوا" أي كانوا نائمين كعظام في التراب، لكنها ستقوم، والأرض تسقط الأخيلاء، أي نلفظ الأموات.

وإن النص على ظاهره يتحدث عن البعث نحياً لأمواتك، ولا أدري لماذا حرفه صاحب السسن القويوم، وناشد حنا في تفسيره عن بعث الأموات، إلى بعث اليهود القومي؟ وعلى فرض أن النص كتابة عن العودة القومية لله، فإن اليهود يعتقدون أنهم سيبعثون قبل يوم القيامة، وقومون دولتهم، وينتصرون على أعدائهم، وبعد ذلك الانتصار والعودة القومية يبعثون للآخرة، باعتبارهم أبناء الله وأحباه، ويعبرون أن العودة القومية التي تسبيح الحياة الأخرى، من الحميات لهم عن بقية الأمم. يقول "سعدبا الفيومي": "السنا نحن معشر الموحدين مقربين بأن الخالق جل جلاله محبٌ جميع الموتى في دار الآخرة للطاعة؟ فأي شيء. لمنكر أن يكون فضل هذه الأمة مدة زيادة يحمي فيها موتاً قبل دار الآخرة، حتى يصل حياتهم تلك بحياة الآخرة؟ وأي شيء السبب المانع من ذلك والدافع له؟ أو ليس هو عدا لبعض كل ممنحن حسب محنته؟ وأمننا هذه قد امتحنها بالأمور العظيمة؟) فعلى فرض أن النص كتابة عن العودة القومية فلتلك العودة يتعبي مباشرة البعث الآخروي. وأرى أن النص بظاهرة يشير إلى البعث الآخروي، أما إشارته إلى العودة القومية، فتأويل كما رأينا في تفسير السسن القويوم، وناشد حنا.

ونص دانيال الذي أورده قاموس الكتاب المقدس هو: "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يسينقون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدية".

(1) أشعاء فصل آية آية ص 244، 245، 246، 1 ناشد حنا.
(2) الأمانات والاعتقادات سعدبا الفيومي ص 279.
(3) دانيال 12، 16-24.
يقول ناشد حنا: «وقد أخذت الأية أيضًا على أنها قيامة أموات خريفة وأنها قيامة عامة، البعض يذهبون إلى الحياة الأبديّة، والبعض الآخر إلى جهنم، لكن المصمود هنالك بالراقيين في تراب الأرض اليهود المشتتون سيموعهم الرب، بعضهم يرجع رجوعًا قوميًا فقط كالذين في دولة إسرائيل الآن، والبعض الآخر يرجعون رجوعًا قوميًا وروحياً فهؤلاء للحياة الأبديّة أي الملك الألُفني» (1).

وسام دانيال لا يشير إلى البعث الأخريّ كما رجحنا في نص أشعياء، بديل أن قوله «وكثيرون من الراقيين» لا يمكن أن يشير إلى البعث الأخريّ، لأن البعث الأخريّ عام وشامل. يقول صاحب الديانات والعقائد: «ونحن كانت كلمة دانيال أو نبوءته تذكر البيقّة التي هي العودة إلى الحياة فليس البعث الذي يتم في اليوم الآخر، بديل أن الذين يستيقظون ليسوا هم الراقيين جميعًا، بل كثيرون منهم هم الذين يستيقظون، وإذا كانت البيقّة غير عامة شاملة فليس بعدًا لليوم الآخر» (2).

أما نص حرقيّاء: «أيها العظام اليابسة، اسمعى كلمة الرّب، هكذا قال السيد الرب لهذه العظام، ها أنا أدخل فيكم روحًا فتحيون، وأضع عليكم عصباً، وأكسكم لحماً، وأبسط عليكم جلدًا، وأجعل فيكم روحًا فتحيون وتعلمون أي أنا الرب» (3).

يقول رشاد فكري، في تفسيره لسفر حرقيّاء: «هذه الأعداد تتكلم عن رجوع الشعب وإحيائهم كأمة يتمعّمون بالبركات الإلهيّة، فالنّوازع هنا ليس رجوع النفس ولا القيامة الطبيعية، لكن عمل الله في إسرائيل لكي يحيا مرة أخرى كامة» (4). ونفس المعنى الذي ذهب إليه رشاد فكري ذكره مؤلفو قاموس الكتاب المقدس. وإن كنت أرى أن ظاهر النص شديد الدلالة على البعث، والحياة بعد الموت يدخل

(1) أشعياء مفصلا آية - ناشد حنا ج 1 ص 245 .
(2) الديانات والعقائد في مختلف العصور ج 2 ص 243 - أحمد عبد الغفور عطا الطباطس الأولى 1981 - مكة المكرمة .
(3) سفر حرقيّاء 27 : 4 - 7 .
(4) تفسير حرقيّاء ص 321 - رشاد فكري - مكتبة كنيسة الأخوة. وانظر قاموس الكتاب المقدس ص 749 .
فيكم روحًا فتحيون، وأعلم عليكم عصبًا، وأكسبكم لحنا، وأبسط عليكم جلدًا (1).

هذه عبارات واضحة تدل على الفهم والتقدير لله على ذلك وذلك على أن يعلم أن أني أبا الوط، ولا أدرى لماذا عقد مفسر النصارى عن القول بأن نص حزقيال يشير إلى النص الأخر، ورجحوا دلالة النص على النص الثاني الخيالي السياسي، ونحن هنا نستخدم في النصين النصálido ليهود.

ووهنا اتجاه آخر يذهب إلى أن الإشارات السابقة في أسفار الأنبياء تشير إلى النص الأخر، وأن الاعتقاد بالآخر لم يكن له وجود قبل عصر الأنبياء. ورد في علم اللاهوت الكاثوليكي أن الاعتقاد بالآخر موحده مثل التوحيد في العهد القديم، كلاهما من اختراع الأنبياء، وهذا معناه أنه لم يكن هناك توحيد أخلاقي قبل عصر الأنبياء، فإنه لم يكن قبل ذلك وجود للإلهية (2).

ولكن هذا الاتجاه يذهب إلى أن اليهود تأثروا ببعضية اليوم الآخر من الأمم الأخرى كالفارسية والبابلية، برى مؤلف ترات العالم القديم أنه حتى في العهدين الفعليين كانت الأمية مستنئزة عن خطابأخ والآخرين، وكان البريء والمذبب على السواء ينالهما الجزاء الذي يقع على المجتمع، ثم حدث بعدن الفن في عدالة يهود، تعلل إلخًا يطرد ازدادًا لا إرضاها، وقد رأينا أن أفكار مؤلف سفر أيوب جاهد على غير طالب للوصول إلى جواب عن المسألة، لقد كانت وراء الأبطال في عهد أنطيوخوس هي التي فرضت الاعتقاد في النص على العقل اليهودي، ولقد كان قاصرا قبض ذلك الوقت على أقلية صغيرة، تأثرت فيما يزعم بالإتصال بالأفكار الزرادشتية في عهد الحكم الفارسي، وأن النصوص الواردة في العهد القديم التي تشير إليه قليلة ومتأخرة (3).

(1) حزقيال 37 : 4 - 7.
(2) علم اللاهوت الكاثوليكي ج2 ص 443 - تأليف جرهارد فوس - ترجمة الدكتور عزت زكي الناشر - دار الثقافة 1982.
(3) ترات العالم القديم ج1 ص 99 - تأليف زكي الناشر - دار الكرنك 1965.
ويذهب إلى هذا الرأي أيضًا - تأثر اليهود بالبعث من الاتصال بالفرس، وبايل - جرهايروش فوس بقوله: "إن الإيمان المبكر كما أنه تأثر في أمور كثيرة بالمعتقدات السائدة. تأثر أيضًا فيما يختص بالأخرى" (1).

يقول الدكتور كامل سعفان: "إذا كان دانيال قد أشار إلى يوم البعث والجزاء بقوله: "كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الأبدية، وهؤلاء إلى العار للإزدراء الأبدي"، فهذا دليل على ما أصاب في تحرر، أو تزييف" (2). ولقد ذكرنا من قبل كيف استدل بعض الباحثين بنص دانيال على أنه إشارة إلى البعث القومي، لأن البعث الأدريبي عام وشامل، ونص دانيال فيه "كثيرون من الراقدين في التراب"، ولعل أصلها الصحيح قبل التحرر، التحرير الذين سردونوا في تراب الأرض، ويكون المعنى حينئذ مشابهًا إلى البعث الأدريبي، ولكن اليهود مارسوا عملية التحرير والتبديل في نصوص الأسفار.

ويذهب الدكتور كامل سعفان إلى احتمال آخر، وهو التأثر بالفرس في عقيدة البعث والجزاء، يقول عن أسباب التحرير في النصوص: "إن أثر الاتصال باللدانية الزرادشية زمن الأسرة الطويل، وإبان الاتصال بدولة الفرس في عهد قورش، وهو احتمال يؤكده المبت للالأصل السماوي" (3). وسوف نناقش عملية التأثر تلك عند عرضنا لأرأي صاحب قصة الحضارة.

يقول د. دبورانت: "ولم تكن فكرة البعث في خلده اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض، وجعلهم أخذوا الفكرة عن الفرس، أو لعلهم أخذوا شيئًا منها عن المصريين، ومن هذه اللحيمة الروحية لضدة المسيحية" (4).

يقول الأستاذ "عبد الكريم الخطيب" في تعليقه على عبارة "دبورانت" الأخيرة:

(1) علم اللاهوت الكتابي ج.2 ص.446
(2) اليهود تاريخًا وعقيدة ص.111
(3) نفسه
(4) قصة الحضارة ج.2 ص.345 - وناظر ترات العالم القديم ج.1 ص.98 و99
هكذا يقول دورانت ونحن نخالفه في هذا، فإن شريعة موسى لا شك قد حملت إلى بني إسرائيل صورة واضحة عن البعث والحساب، والجنة والجحيم، وإن يكن بني إسرائيل قد عبثوا بهذه الصورة في عهد من عهودهم فلنهم حين جددوا العهد والتمسكوا الحياة الآخرة في كان أقرب شيء إليهم هو ما في شريعة موسى المكتوبة في الصحف أو المحفوظ في بعض المصدور، لذلك أقرب إليهم بلا شك من أن يتنفسوا هذه الصورة عن الحياة الآخرة بين الأمم الأخرى، التي تعد ذات ديانات وثنية بالنسبة للديانات المونوسية).
والحق ما ذهب إليه الأستاذ "الخطيب" فإنه مهما كان التعريفي في عهد من عهود اليهود فإن احتمال رجوعهم إلى شريعة موسى أقرب من رجوعهم إلى غيرهم من الأمم الوثنية، وإذا كانت الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء المتاخرتين محتملة كما رأينا، أو يُنْظَم أن اليهود تأثروا فيها بغيرهم من الأمم الوثنية، فإننا نستطيع أن نجد بعض الأدلة على البعث بطريقة غير مباشرة،
هذه الأدلة تتضمن من عدة نماذج لإحياء الموتى كمعجزات للأنبياء.

وبعد أن استعرضنا الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء عن البعث، نجد أنها لا تقدم صورة مسهبة ومفصلة تناسب مع الأصل العقائدي الهام الذي يمثل في الاعتقاد باليوم الآخر.
وإذا أردنا أن نحدد بدقة أوجه الانفاق وأوجه الاختلاف بين ما ورد في العهد القديم وما ورد في القرآن الكريم، فإن أوجه الانفاق تتمثل في: 
أولاً: أن أصل فكرة البعث مثيرة في العهد القديم كإشارات مجملة، ولا تعطي تصورًا مفصلًا عن الآخرة وما فيها.
ثانياً: أن بعض الإشارات كالتي وردت في سفرى أشعياء وحزقيال تتفق بوجه من الوجه مع بعض ما ورد في القرآن الكريم من قيام الناس لله رب العالمين.

(1) الله والإنسان ص 255.
(2)مستحدث عن هذه الحالات تفصيلًا عند مبحث الاستدلال على اليوم الآخر عند اليهود.
أما أوجه الاختلاف: فتمثل في:

أولا: أن العهد القديم لا يقدم تفصيلات تذكر، كالتي يذكرها القرآن الكريم، من إرهاصات يوم القيامة، ونسف الجبال، وتبديل الأرض غير الأرض والسماوات، كما لا يشير إلى نفح الصور، كما تحدث القرآن الكريم، وتحدث بعض النصوص في الأناجيل.

ثانيا: أن العهد القديم لا يقدم أي تصور مفصل عن خروج الناس من القبور سراً، ولا عن كيفية بعثهم ونشرهم يوم القيامة، وهذا إن دل على شيء فإنما بدأ على التحريف الذي لحق بالتوراة الأصلية التي أنزلها الله على موسى والكتب التي نزلت على الأنباء من بعد.

ويتناول أيضًا أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يرجع إليه ويستند له عند الاختلاف بين ما ورد في الكتب السابقة وبين ما في القرآن، وصدق الله إذ يقول: "إِنَّا نَحْنُ أَلْيَعْزُبُونَ وَإِنَّا لَحَقِيفُونَ" ([الحجر: 9]).

الاتجاه الثالث: عرض النصوص التي تثبت البعث من التلمود والكتب اليهودية:

يتمثل هذا الأتجاه في عرض النصوص التي تثبت البعث من التلمود والكتب اليهودية التي تتحدث عن العقائد اليهودية. وتذكر الإشارة إلى أن اليهود يقررون أن التلمود يتحدث عن المعاد، لأن النوراة لم تفصح عن المعاد إفصاح التلموديين، خصوصًا بعد عودتهم من سبي بابل (1). وإن كانت لم أثير على نصوص من التلمود تتحدث عن البعث وكيفيته؛ فإن هذا لا يعني أن التلمود لم يتحدث عن البعث وكيفيته، ونظرًا في ذلك أن التلمود من الكتب النادرة الوحيد. يقول الأستاذ شوقي عبد الناصر: "إن التلمود ومنه كتاب تعاليم اليهود وآدابهم، فهو من أقدر الكتب.

(1) التلمود أصله وسلسله وآدابه ص 90، 91.
الموجودة في عالم المناعي الإطلاق، وأستطيع أن أؤكد أنه لا يوجد منه في العالم أجمع أكثر من خمس نسخة).

وإذا تركننا التلمود فإننا نجد أن مفكري اليهود وعلمهاءهم يقرون بالبحث والقيامة. يقول سعديا الفيرومي: إن إحياء الموتى الذي عرفناه رينا أنه يكون في دار الآخرة للمجازة فذلك بما أمرنا مجمعنا عليه؛ (2) وبين السبب في ذلك يقوله: لأن المقصود من جميع المخلوقين هو الإنسان، وسبب تشريده الطاعة، وثورتها الحياة الدائمة في دار الجزاء؛ (3) وبواسطة حديثه عن البحث قالوا: «ورأينا إحياء الموتى، ولا شاهد يدفنه، لأنه ليس نقول نحيتين من ذواتهم، وإنما نقول إن خالقهم يحيىهم، ثم لا يعقل برده من أجل أن إعادة شيء قد كان نفرق أقرب من المعقول من اختراق شيء لا من شيء»; (4).

وموسى بن ميمون اليهودي يقر أن البحث والقيامة من الأمور من أركان الإيمان عند اليهود. وقد نقلها عن ابن ميمون الدكتور حسن ظاظا. يقول ابن ميمون: "أنا أومن (5) إيماننا كاملا بقيامة الموتى، في الوقت الذي تنبه في ذلك إرادة الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره الآن، وإلى أبد الأبدين". (1).

وعقيدة الآخرة نجدها مبسطة في ثنايا كتب اليهود، إذ يعبرون بأن الغرض الأسمى نيل السعادة في الآخرة. جاء في كتاب شعار الخضر في الأحكام الإسرائيلية قول مؤلفه: "إن جَلْ قصد شريعتنا الإلهية هو أن بنال الإنسان السعادة الأبدية". (7)

(1) بيوت كولات حكام صهيون وتعليم التلمود ص 16 1.
(2) الأفكار والاعتقادات ص 211.
(3) نفسه ص 213.
(4) نفسه ص 213.
(5) انظر الفكر اليهودي الإسرائيلي أطواره ومناهجه ص 157 وما بعدها وذهب الدكتور ظاظا إلى أن موسى بن ميمون تأثر بالمسلمين في عقيدة الآخرة.
(6) نقلنا عن الفكر الإسرائيلي أطواره ومذهبه ص 159.
(7) شعار الخضر في الأحكام الشرعية الإسرائيلية للقرائيين ص 7 تعريب مراد فرح مطبعة الغرائب.

بمصر 1917.
وجاء في مقدمة كتاب التاريخ مما تقدم عن الآباء: «رزقنا الله السمات على حفظه وحب هذا النبي العظيم» أي موسى عليه السلام، وحشرنا في زمرته، ولا جعلنا من المبعدين في هذه الدار من أمته المحمومين في الآخرة من شفعائه. (1)

ومن فوق اليهود فرقة الكوستانية، وهي فرقة من فرق اليهود المتاخرة، تقر بالآخرين، والشواب والعقاب (2)، ونما تجدر الإشارة إليه أن هناك بعض الفرق اليهودية تنكر البعث والآخرة، ومن هذه الفرق الصدوقيين فرقة إلى صدوق أو صادوق بمعنى صادق، رئيس الكهنة أيام داو وسليمان، ومن عائلته حظت رئاسته الكهنوت حتى عصر المكابيين، فسمى أبناؤه وخلفاؤه صدوقيين، أو بمعنى أصح صدوقيين، وكانوا ضد تقليد الآباء، على عكس الفرسين خصوصهم، ومالوا إلى الفلسفة اليونانية، ودعاهم الشر وأنكرها وجود الملائكة والروح، وفي ضرورة الإقرار بالقيامة والشواب في الجسد، بدعوهم أن النفس تموت مع الجسد، وأن النص التوراتي يخلو من أي إشارة إلى معتقدات وحساب» (3).

وتلاحظ أن عدم إيمان الصدوقيين بالقيادة الراعية في عدم إيمانهم بالتعليم الشفوي كالتعلم الذي يعتقد عليه سائر اليهود وغيرهم، ولما كانت النوراة لم تتحدث عن القيادة فقد نسوا بها، ورفضوا التعلم والتعليم الآباء الشفويين، بما فيها من ذكر للبعث والقيادة.

وهناك بعض الفرق اليهودية التي تنكر البعث والقيادة في الآخرة وتوفر بأن الشواب والعقاب في الدنيا، من هذه الفرق الدوستانية يقول الشهرستاني: 

الدوستانية تزعم أن الشواب والعقاب في الدنيا (4).

(1) نقل عن مقدمة يقظة أولي الاختيار ص 12.
(2) الملل والنهل للشهرستاني ص 2-48.
(3) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص 135-136. الدكتور عبد المنعم الحفني.دار المسرة - بيروت الطبعة الأولى 1980، وانظر الفكر الإسرائيلي أطاراته وعضاوته ص 59 والنظر عبقرية المسيح للعقد ص 2- نشر كتاب اليوم 1934، وننشر دينونة اليهود العامة ص 50 و 52.
(4) الملل والنهل للشهرستاني بهامش الفصل 2 ص 48.
تعقيب على البث في التصور اليهودي:

بعد عرضنا للاتجاهات الثلاثة التي مررت يمكن أن نخرج بالنتائج الآتية:

أولاً: أن خلو التوراة الحالية من الحديث عن البث والآخرة وما يسبقه من نفخ في الصور وما يصاحبها من نسف الجبال، وتبديل للأرض غير الأرض والسماوات، وما يقع فيها من حساب وجزاء وجنة ونار، يدل على التحريف الذي لحق بالتوراة، بعد موسى عليه السلام. لأن أمور البث والآخرة أنزلها الله على موسى في التوراة مفصلة.

يقول الله تعالى: "فَنَعْلَمُ مَا نَكْتَبَّ عَلَى الْأَلْوَى أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا" ([الأنعام: 152]).

ولما كان اليهود قد سيطرت عليهم النزعة المادية التي جعلتهم يتعلمون بالدنيا ومتاعها، كتبوا ما أنزل الله في التوراة، من ذكر للآخرة وما فيها، وبقيت صورة مضطربة، ليس لها ما يسدها من نصوص مكتوبة تتعلق بمستقبلهم عند الله بعد الموت... ومن هنا نفسر كراهية اليهود للموت وما بعده، لئلا يشغله بالآخرة عن الدنيا ومتاعها التي سيطرت عليهم سيطرة تامة. يتضح ذلك في التوراة الحالية المحرفة.

ولقد نجحت القرآن الكريم أن يتعاظم الموت إن كانوا صادقين في إيمانهم بالله وما أعدا لهم.

ثانيًا: أن أسفار الأنبياء المتاخرة أشارت إلى البث إشارات عابرة، ولكن تلك الإشارات لا تعطي تفصيلات مناسبة عن اليوم الآخر، تتانسب مع ذلك الركن العقائدي الهام، خاصة وأن تلك الأسفار مليئة بالحديث عن تفصيلات الحياة الدنيا، من أمور الزراعة والمعاملات بين اليهود وغيرهم من الأمم، وأيضًا أمور الحرب والقنابل وغير ذلك من الأمور التي تعتبر أقل أهمية من الآخرة التي كان يجب أن تحتل مكانة كبيرة في أسفار اليهود، ولكن
واتنات اليوم الآخر

التحرير والتبديل سبب كثيرًا من المفارقات عند اليهود.

ثالثًا: إن علماء النصارى شاركوا اليهود في التحرير للنصوص، فإن كنا ذهبتا إلى أن اليهود حرفوا النصوص الواردة في العهد القديم عن الآخرين وما فيها، بكتامشتنا وعدم إثباتها؛ فإن النصارى أيضًا شاركوا في التحرير بتأويل البقية الباقية من الإشارات عن اليوم الآخر في أسفار الأنبياء بصرفهم عن البعث الأخروي إلى البعث القومي السياسي، بالرغم من صراحة بعض النصوص كنص أشعيا وحزقيا. ونحن نتعترض للنصارى ومشاركتهم في التحرير وإن كان التعقيب على البعث عند اليهود، وذلك لأن النصارى تعتقد في قدسية العهد القديم، ويستدلون بنصوصهم في تصوير كافة عقائدهم(1)، وهذا ما جعلنا نتعلق على مسلك النصارى في تأويل نصوص العهد القديم، مع علمنا بأن تفسيراتهم ليست ملزمة لليهود، وإنما نستأنس بما قبل حول النصوص، لا أكثر من ذلك.

رابعًا: أن التلمود وتعاليم الآباء الشفويات كانت مصدرًا من أهم المصادر لدى اليهود في تصويرهم للآخرة، وما فيها من بعث للأموات وثواب وعاقب.

خامسًا: أن اليهود باستثناء بعض الفرق — كالصدوقية — يكرون بالبعث على نحو ما ورد في أسفار الأنبياء المتأخرة. والتلمود والتعاليم الشفوية التي يدعون انتقالها عن الآباء الذين كانوا قبل موسى وعده.

سادسًا: أن اليهود على عهد النبي النبي كانوا يؤمنون بالآخرة.

روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: جاء حير إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم، إن الله تعالى يمسك السماءوات يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء على إصبع، وسائر الخلقت على إصبع، ثم يهزرن فيقول: أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ، (1) لسنًا في مجال مناقشة النصارى في ادعائهم قدسية العهد القديم مع أنهم يخالفون كثيرًا من الأمور الواردة فيه.
تعجبًا بما قال الحبر تصديقًا له، ثم قرأ: «وما قدَّرَوا الله حقًا قدّر، والأرض جميعًا قُضِّيَتْهُم يوم القيامة والسُّمُوقُ مطويتَهُم بسيمه، سَبَحْنَهُم وَتَقَلَّنَّ عَنًا» [الزمر: 27] (1)

***

(1) صحيح مسلم ج2 ص 515 - طبعة عيسى الحلي.
المبحث الخامس

الحشر بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولاً: الحشر في التصور الإسلامي:

للحشر كما ورد في القرآن الكريم أربعة أنواع: حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة. وستحدث بإيجاز عن نوعي الحشر في الدنيا، ثم نفصل نوعي الحشر في الآخرة، فذكر تعرف الحشر، وعمومه للإنس والجن والحيوان والطير، وسماه وأرضه، وكيفيته وذكر العرق يوم القيامة في الحشر، وحشر المؤمنين إلى الجنة، وحشر الكاذبين إلى النار.

الحشر في الدنيا:

أول نوع من أنواع الحشر في الدنيا: هو ما ذكره الله عز وجل في قوله تعالى:

{وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الْجَنَّةَ كَفَرُواْ مِنْ أُهْلِ الْكِتَابِ وَيَزِيمُونَ لِأُخْلِصُونَ} [الحشر: 2]

والمقصود من الآية أن الله أخرج الذين كفراء من أهل الكتاب لأول الحشر، أي في أول حشرهم إلى الشام، وكانوا من سبب من اليهود لم يصبهم جلاء قط، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء، وهم أول من أخرج من جزيرة العرب إلى الشام، وأخر حشرهم يوم القيامة. ويقول ابن عباس: من شك أن الحشر في الدنيا فليقرأ هذه الآية، وذلك أن النبي ﷺ قال لهم: «اخروجوا». قالوا إلى أين؟ قال: "إلى أرض الحشر". قال قتادة: هذا أول الحشر (1).

النوع الثاني في الدنيا: الحشر الذي يكون قبل يوم القيامة، والذي يعتبر

(1) أبو السعود ج4: 201، 202، والذكيرة للقرطبي ج1 ص ٢٤٩
من علامات الساعة، وفيه أن النار تحضر الناس من الشرق إلى المغرب، تبث معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا، وتأكل من تخلف منهم.

وهذا الحشر هو الذي ورد عنه الخير فيما رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "يحضير الناس على ثلاث طرائق، راغبين وراهنين، واثنان على بعير، ثلاثة على بعير، أربعة على بعير، عشرة على بعير، وتحضر بقيتهم النار تقبل معهم حيث قالوا، وتثبت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمس معهم حيث أمسوا". والعلماء مختلفون حول هذا الحشر هل هو في الدنيا أم في الآخرة؟

فذهب بعض العلماء إلى أن المراد بهذا الحشر الحشر في الآخرة، وحججتهم أن الحشر إذا أطلق في عرف الشرع يراد به الحشر من القبور ما لم يخصصه دليل، كما في الحديث السابق، وأيضًا أن بقية الناس التي تحضرهم النار قول لم يرد فيه توقيف، وليس أحد أن يحكم على أهل الشقاوة بتسليط النار عليهم في الدنيا.

ويحتج من يذهب من العلماء إلى أن هذا الحشر في الآخرة بأن التقسيم في الحديث للناس، إشارة إلى التحصيل في سورة الواقعة، ويروين أن قوله ﷺ: "يحضير الناس على ثلاث طرائق؛ إشارة إلى الأبرار، والذين خلطوا عملًا صالحاً وآخر سيئًا وإشارة إلى الكفاف. فأي أبصار هم الراغبون إلى الله تعالى فيما أعدتهم من ثوابه، والراهنون هم الذين بين الخوف والرجاء، والأبرار يحملون على النجات، والراهنون على الأبعرة، والفجار تسوقهم النار، تقبل معهم حيث قالوا، وتثبت معهم حيث باتوا". هذا رأي من ذهب من العلماء إلى أن الحشر الورد في حديث أبي هريرة يقصد به الحشر في الآخرة.

وفريق آخر من العلماء ذهب إلى أن الحشر الورد في الحديث حشر في الدنيا وليس في الآخرة، وحججتهم في ذلك أن الحشر في الآخرة على خلاف الصورة

---

(1) فتح الباري ج1 ص 319/318
(2) نفسه ص 318
(3) التذكرة للفرطجي ج2 ص 243
التي ورد بها الحديث من الركوب على الإبل والتعاقب عليها، وإنما حشر الآخرة هو ما ورد في حديث ابن عباس، بأن الناس يحشرون حفاة عرافة، واستدل هذا الفريق من العلماء على أن هذا الحشر في الدنيا بأن النار التي تحشر الناس والتي ورد بها الخبر ليست نار الآخرة، وإنما هي كتابة عن الفتنة التي تفتن الناس قبل يوم القيامة، وهذه النزاع مثل قوله تعالى: (فَلَمَّا أُوْفِّيَوا نَارًا لِلْحَرِيضَاتِ أَطْلَقَهَا اللَّهُ) [العائدة: 44] وتamel إلى أن الحشر الوارد في حديث أبي هريرة حشر في الدنيا لا في الآخرة، لأنه قد ورد في نفس الحديث أن النار تحشرهم وتقبل منهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتبقى معهم حيث أمسوا، وليس في الآخرة صباح ولا مساء. وقد رجح ابن حجر هذا الرأي في الفتح، يقول: (بسبب غاية البعد أن يحتاج من يساق إلى الموقف إلى الجنة، إلى التعاون على الأمرة، فرجح أن ذلك إنما يكون قبل البعث. والله أعلم) (1).

الحشر في الآخرة:

حشر الأمم من قبوروهم وغيرها بعد البعث إلى الموقف، وهو في اللغة: الجمع ورد في مختار الصحاح: حشر الناس جميعهم، وبابه ضرب ونصر، ومنه يوم الحشر (2). وفي الاست날اح عند علماء التوحيد: (موقف جميعاً - أي المخلوقات - إلى الموقف)، وهو الموضع الذي يقون فيه من الأرض المقدسة المبتدلة التي لم يقص الله عليها، لفصل القضاء بينهم، لفوق في ذلك بين من يجازي وهم الإنس والجن والملك، وبين ما لا يجازي كالبهائم والوحش على ما ذهب إليه المحقون (3). يقول السعد في شرح المقاصد: (المعتمد في إثبات حشر الأجسام دليل السمع وال_codegen عنه غاية الإفصاح من الأديان، ومن الكتاب القرآن، ومن الأنبياء محمد عليه السلام) (4).

(1) فتح الباري ج 11 ص 321. (2) مختار الصحاح ص 137.
(3) تحقية المريد شرح جوهرة التوحيد ص 313.
(4) شرح المقاصد للسعد ج 2 ص 156. الاقتصاد في الإفصاح ص 178، جمسيرة في علم الكلام ص 142.
وحذا الحشر يكون للمخلوقات كلها يقول الله تعالى: (قُلُوا ۖ مَا نَحْنُ بِذَٰلِكَ فَٰحِقِينَ وَلاَ ۤكَيْبُرُوا بِجَنَّاتِنَا أَنَّا أَنْعَمْنَا فَٰخْرًا ۚ إِنَّمَا فَوْقَانَا ۖ مَا فَوْقَانَا ۚ إِنَّمَا نَحْنُ تَحْكُمُونَ) [الأنعام: 88] يسروي الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«لئن تؤدون الحقوق إلى أهلها فإن تقاد نشابة الجلحاد من شفالة القرآن» (1).

وهذا الحديث يدل على حشر البهائم يوم القيامة وإعادتها، كما يعاد أهل التكليف. وقد اختالف أهل التأويل في حشر الحيوانات والطيور المذكور في آية الأعجم، فعن ابن عباس أن موت البهائم حشرها، وقال آخر: الحشر في هذا الموضع يعني به الجمع لبعث الساعة وقيام القيامة، واستدلوا بما ورد عن أبي هريرة في تفسير قوله تعالى: (قُلُوا إِنَّمَا هُمُ الْمُحْضَرُونَ) [الأنعام: 88] قال: يبشير الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم، والدواب، والطيور، وكل شيء، ويلغ من عدل الله مثوى أن يأخذ للجمراء من الفقراء، ثم يقول كوني تراباً، فذلك يقول الكافر ليتني كنت تراباً. واستدلوا أيضاً بما ورد عن النبي ﷺ، عن أبي ذر قال: بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ أطلعت عنزان، فقال رسول الله ﷺ: «أندرون فيهم اطلع الله؟ قالوا: لا ندري. قال: «لكن الله يدرى وسيقضي بينهما» (2).

وبعد أن يستعرض الإمام الطبري آراء القائلين بالحشر، والقائلين بأن الحشر بالنسبة للحيوانات والطيور يعني به الموت، يذهب إلى أن الصواب من قول عندي أن يقول الله تعالى أخبر أن كل دابة وطائر محشر عليه، وجائز أن يكون معنباً به الحشرات جميعاً، ولدا لفة في ظاهر التنزيل ولا في خبر النبي ﷺ أي ذلك المراد في قوله: (قُلُوا إِنَّمَا هُمُ الْمُحْضَرُونَ) [الأنعام: 88] إذا كان الحشر في كلام العرب الجموع، من ذلك قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَرَجُوا بِذَٰلِكَ لُكَوْنَ أُوْلَٰدُ للهِ) [ص: 19] يعني مجموعة، فإذا كان الجموع هو الحشر وكان الله تعالى جامعاً خلقه إله يوم القيامة وجامعهم بالموت، كان أصوب القول في ذلك أن يعم بمعنى الآية ما عمه الله.
بظاهرها، وأن يقال كل دابة وكل طائر محسور إلى الله بعد الفناء، وبعد بعث القيامة، ما دام الله قد عمَّ بقوله: "قُمْ إِلَى رَبِّكَ مَعَ ذَٰلِكَ مَجَابُوتُكَ" [الأنعام: 38] ولم يخصح حشرًا دون حشر (1).

والذي أميل إليه هو أن الحشر في الآخرة عام يشمل جميع المخلوقات لقوله تعالى: "وَإِذَا الْوُحُوشُ حَيْثُرَتُ [التكوير: 5]" وفي تفسير هذه الآية ورد أن معنى حشر الوحوش جمعها وعدها للقصاص. قال قتادة: "بحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص، فإذا قضى بينهما ردت ترابًا، فلا يبقى منها إلا ما في سرور لبني أم وإعجاب بصورته كالطائوس ونحوه" (2). ولا معنى لصرف الحشر في آية الألفاظ ولأي التكوير إلى الموت، لأن اللغة نبت أن الحشر بمعنى الجميع، وسياق الآية الأخيرة بين أنها في معرض الحديث عن القيامة وأهوالها، والرسول ﷺ أخبر أن هناك قصاصًا بين الحيوانات يوم القيامة، ومعلوم أن الحساب بعد الحشر.

أرض الحشر في الآخرة:

إن أرض الحشر التي يحضر الله الخلق إليها يوم القيامة تكون غير أرض الدنيا، مصداقًا لقوله تعالى: "قُمْ بِدْنُ الْأَرْضِ عِنْدَ الْأَرْضِ عِنْدَ الْمَكْرَيْنِ وَالسَّمَوَاتِ وَبِرَّزَلَهَا ليَّ أَلْوَجِدَ أَلْفَهَا [إبراهيم: 48]" الآية فيها دليل على أن الأرض يوم القيامة سوف تبدل، وكذلك السماء وتبدد الأرض قد يكون بالذات، أي أن الأرض ذاتها تبدل، كقوله تعالى: "كَمَّ مُخْطَطْتُ جَذُورُهُمْ بِذِنَاني غَيْرًا مَا يُدْعَوْا النَّمَّادُ [ النساء: 62]" و كقوله تعالى: "وَبِذِنَانِكُمْ جَنُّوْنَ ذَٰلِكَ أَسْتَكِلَّ حَصُولُ وَأَنْثِيَ وَقُلُوبٌ مِنْ بَيَّٰتِ قَلِيلٍ [سبأ: 12]" وإلى هذا الرأي ذهب جماعة من العلماء (3) وهذا الرأي

(1) الطبري بتصريف ج٥ ص١٩١، ص١٩٠
(2) أبو السعود ج٤ ص٨٣٧
(3) انظر الكشاف للزمخشري ج٢ ص٣٨٤، وأبو السعود ج٣ ص٢٠٨، ٢٠٠٩
يؤيده ما رواه البخاري بسنده عن سهل بن سعد قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

"يحب الناس يوم القيامة على أرض بضاء غضرة كفرصن النقيف.
قال سهل أور غيره: ليس فيها معلم لأحد. قال الخطابي: العفر بياض ليس بالناصع، وليس فيها معلم لأحد: أي ليس فيها علم لأحد، أي أنها مستوية، والحديث يدل على أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة، والحكمة في ذلك أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهرًا عن عمل المعصية والظلم، وليكون تجلبه سبحانه على عباده على أرض تلبق بعظمه، ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده، فناسب أن يكون المحل خالصًا له.

وذهب بعض العلماء إلى أن تبديل الأرض과 السماء يوم القيامة يكون بالصفات لا بالذات، ومعنى تبديل صفات الأرض سير الأرض عن جبالها، وتغمر مجاريها، وتسويتها، فلا يرى فيها عوجا ولا أمتا، وتتبدل السماء بانثار كواكبها، وكسوف شمسها، وخسوف قمرها، وانشقاقها، وكونها أبوابًا، كما في قوله تعالى:

"وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَكْبَارُ فَكَانَتْ أَبْوَابٌ [التوبة: 19]."

ويستدل العلماء بأن صفات الأرض هي التي تبدل بما أخرجه الحاكem عن عبد الله بن عمر قال: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأدم، وخشى الخلافة.


ويمكن الجمع بين القائلين بتبديل الذات وتبديل الصفات بأن تبديل الصفات يكون عند نفح الصور وقيام القيامة، وهذا يكون في أرض الدنيا، أما أرض الحشر

(1) فتح الباري ج11 ص315
(2) انظر الكشاف ج3 ص384، وأبو السعود ج3 ص308، 2009.
(3) فتح الباري ج11 ص316.
في الآخرة فتكون تبديل الذات، كما نطق ذلك الآية، ودلت عليها الأحاديث النبوية. وما يقال عن الأرض يقال عن السماء. وقد نقل ابن حجر الخليل في تبديل السماء فقال: «واعترض في السماء أيضًا، فقيل: إنها إذا طويت نكّر شمسها وقمرها وسائر نجومها، وتصير تارة كالمهل، ونارة كالدُّهان، وأخرج البهقي في البعث من طريق السدي من مرة عن ابن مسعود قال: «السماء تكون ألوانًا كالمهل والدُّهان، وواحة، وتشقق، فتكون دُهانًا بعد حلال; وجمع بعضهم بأنها تنشق أولًا فتصير كالرودة، وكالدُهان، والمهل، وتكتُر الشمس، والقمر، وسائر النجوم، ثم تطوى السماوات، وتضاف إلى الجنان» (1).

وبعد أن بينا آراء العلماء في تبديل الأرض والسماءات يوم القيامة، يُطرح هذا التساؤل: أين يكون الناس عند تبديل الأرض غير الأرض؟ وقد سألت السيدة عائشة رضي الله عنها هذا السؤال. روى الإمام مسلم بسنده عن عائشة قالت: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل: (وَبَدَّلَ الْأَرْضَ عِنْدَ الْآخِرَةِ أَلْبَابًا)» (إبّاحيم: 88)، فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: «على الصراط» (2). وفي رواية الترمذي «على جسر جهنم وروى مسلم من حديث ثوبان مرفوعًا: يكون في الظلمة دون الجسر».

يقول صاحب الفتح: «جمع البهقي بين هذه الأحاديث بأن المراد بالجسر الصراط، وفي قوله: (وَبَدَّلَ الْأَرْضَ عِنْدَ الْآخِرَةِ أَلْبَابًا)»، لكونهم يجاوزونه، لأن في حدوث ثوبان زيادة يتعين المصير إليها للذين، وكان ذلك عن الزجرة التي تقع عند نقلهم من أرض الدنيا إلى أرض الموقف، ويشير إلى ذلك قول الله تعالى: (كَلَّا إِنَّ ذَٰلِكَ الأَرْضُ دَئِ个性化، وَأَلَّمَ أَصَفَّ) [النجم: 43-21] (3).
سكيكية الحشر في الآخرة:

وتعني بسكيكية الحشر الصفة التي يكون الناس عليها أثناء حشرهم وسوجهم إلى الموقف للحساب. وقد وردت الأحاديث التي تبين السكيكية التي يحشر الناس عليها يوم القيامة، من كونهم حفاة عرّاء غرّاء. فقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يقول:

"إنكم ملاقو الله حفاة عرّاء غرّاء" (1).

والحديث فيه دلالة على أن الناس سيحشرهم الله يوم القيامة حفاة، عرّاء من الملابس، غرّاء جمع أغر، وهو الألف، ومعناه كما قال ابن عبد البر: "يحشر الأدم عارياً، ولكن من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه شيء يرد حتى الألف" (2).

وروى البخاري بسنده عن عائشة قال: قال رسول الله ﷺ: "تحشرون حفاة عرّاء غرّاء". قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله الرجال والناس ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: "الأمر أشد من أن يهمهم ذلك" (3).

وما روى الترمذي والبخاري عن ابن عباس قال: قام فيها النبي ﷺ يخطب فقال:

"إنكم تحشرون حفاة عرّاء غرّاء كما بدأنا أول حرمي ديرك" (الأنبياء: 14) الآية، وإن أول الخيلات يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل، وإنه سيجاء برجال من أمتى، فيؤخذون ذات الشمال، فأقول: يا ربي أصحابي، فيقول الله إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، كما قال العبد الصالح "وَكَتَّبَ عَلَيْهِمْ شَهَادَةً مَا دِمَتْ فِيهِمْ" (المائدة: 117) إلى قوله: "فَالْمُكَّرِّرُ". قال: فقلت: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم" (4).

هذه الأحاديث فيها الدلالة على أن الناس يوم القيامة يحشرون حفاة عرّاء غرّاء، أي ترد عليهم القلفة، وهي الجلدة التي يقطعها الخاتم من الذكر، ولكن وردت

(1) فتح الباري ج 11 ص 321.
(2) نفسه ص 322.
(3) نفسه ص 325.
(4) نفسه ص 324، وذلك الأحوجي شرح الترمذي ج 9 ص 108، 109. 110.
بعض الأحاديث تبين أن المؤمنين يحضرون في أذانهم يوم القيامة. وهذا يظهر
عارض الأحاديث المتقدمة من كون الناس في الحشر حفاء عرادة. يقول القرطبي
في التذكرة: "وقد عرضا هذا الباب، أي حشر الناس حفاء عرادة، ما روى أبو داود في
سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، لما حضرته الوفاة دعا يثحب جده، فلبسها،
وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن البيت يبعث في ثيابه التي دفن فيها"، وذهب
إلى ذلك أبو جامد الغزالي في كتابه "كشف علوم الآخرة" (1). والحديث الذي رواه
أبو داود قال عليه ابن حجر: صححه ابن حبان. وللمعلمان في الجمع بين حديث
أبي داود وغيره عدة طرق، فابن حجر يذهب إلى أن البعض يحضر عرادة، وبعض
يحضر كاسيًا، ويكون المؤمنون هم الذين يكتسون في الحشر، أو أن الجميع
يحضرون عرادة، ثم يكسى الأنباء، فآلم من يكسى من الأنباء إبراهيم عليه
السلام (2). والقرطبي - في التذكرة - يذهب إلى أن الناس جميعًا يحضرون عرادة
بنص الأحاديث، أما من يبعث في ثيابه التي دفن فيها فهو الشهيد فقط، ويدرك
القرطبي أن هذا ما ذهب إليه أكثر العلماء، ويرجع القرطبي هذا الرأي بقوله: "ومما
بدل على قول الجماعة مما يوافق حدث عائشة وابن عباس قول الحق (3) وقوله: "وأنه يفعلون [الأعراف: 29]".
ولأن الملابس في الدنيا أموال، ولا مال في الآخرة، زالت الأملاك بالموت,
وبقيت الأموال في الدنيا، وكمل نفس يومها. إذاً فإما يقبل المكارة ما وجب
لها بحسن عملها، أو رحمة من الله مبتدأة من الله عليها (3). وأرجح ما ذهب إليه
العلماء، ورجح القرطبي من حشر الناس حفاء عرادة، وأن الذين يحضرون بثيابهم
هم الشهداء، لفضلهم ومنزلتهم عند الله. وأيضًا لأن الأحاديث في حشر الناس
حفاء عرادة قد وردت من أكثر من طريق، بعكس حدث أبي داود، الذي لم تتوافر
له الطرق المتعددة التي توفرت لأحاديث حشر الناس حفاء عرادة.

(1) التذكرة للقرطبي ج 1 ص 255
(2) انظر فتح الباري ج 11 ص 327
(3) التذكرة للقرطبي ج 1 ص 257, 256
صفة العرق يوم الفجر:
من الأشياء التي تصاحب الحشر يوم القيامة العرق الذي يعم الخلق إلا من رحم الله، وقد وردت أحاديث عدة عن العرق وصفته يوم القيامة، منها ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقتهم في الأرض سبعين ذراعًا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم».(1)
وروى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بوم يقوم الناس لرب العالمين، حتى يغيب أحدهم في رشقه إلى أنصاف أذنه».(2) وروى الترمذي عن سليم بن عامر، أخبرنا المقداد صحابه رضوان الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة أدنى الشمس من العباد، حتى يكون قد ميل أو وثني، قال سليم بن عامر: لا أدري أي الخيلين غتن، أو مسافة الأرض أم الميل الذي يحلل به العينين. قال: ننصهرهم الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم: فنهم من يأخذوا إلى عقبه، ومنهم من يأخذوا إلى ركبته، ومنهم من يأخذوا إلى حقوبه، ومنهم من يلجم إلحانًا فرأيت رسول الله ﷺ يشير بيده إلى فيه أي يلجم إلحانًا».(3)
والذي يتأمل ما ورد في تلك الأحاديث يعلم عظم الهول فيها. الميل في حديث الترمذي إما أن يكون الميل الذي يكتحل به، وإما أن يكون المرداد به الفرسخ والمسافة، وقد ذهب بعض العلماء إلى ترجيح أن المرداد بالميل الفرسخ، وكيفي في ذلك في تعذيب وإيذاء من أراد الله يوم الحشر، ولا يتعذر بأنه إذا كان العرق يلجم البعض، ويكون كالبحر، فكيف ينزل إلى كعب الآخر؟ ويجوز أن يخلق الله ارتفاعًا في الأرض تحت أقدام البعض، أو يمسك الله تعالى عرق كل إنسان بحسب عمله، فلا يصل إلى غيره منه شيء، كما أرسل جريمة البحر لموسى عليه الصلاة والسلام الأولي ألا يعترض على ذلك بعقل، ولا قياس، ولا

(1) اللؤلؤ والمرجان فيما اتقع عليه الشيخان ص 84 جمع وتزكية محمد فؤاد عبد الباقى.
(2) نفسه ص 804 جمع وتزكية محمد فؤاد عبد الباقى.
(3) تحقق الأخواني ج 7 ص 100، 106، ومسلم ج 4 ص 316 تزكية محمد فؤاد عبد الباقى.
عادة، وإنما يؤخذ بالقبول، ويدخل تحت الإيمان بالغيث (1). يقول الإمام الغزالي: "فتأمل يا مسكيين في عرق أهل الحشر شدة كربهم، وفيهم من بندار ف يقول: رب أرحمي من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار، وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسبًا ولا عقبًا، فإنك واحد منهم، ولا تدري إلى أين يبلغ بك العرق، وأعلم أن كل عرق لم يخرجه النعم في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف ونهي عنه من منكر فسيخرج الحياية من الخوف في صعيد القيادة، ويطول فيه الكرب، ولو سلم ابن آدم من الجهال والفرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهمر وأقصر زمنًا من عرق الكرب والانتظار في القيادة، فإنه يوم عظيم شدته طويل مدته (2) ومعلوم أن هذا العرق وما يصاحبه، وإن كانت الأحاديث تدل بظاهرها على العموم، فإن لم تدل الأحاديث الأخرى على أنه مخصوص بالبعض، وهو الأكبر، ويستثنى الأنباء والشهداء ومن شاء الله، فأشدهم في العرق الكفار، ثم أصحاب الكبائر، ثم من بعدهم، والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار (3).

الحشر إلى الجنة والحشر إلى النار:

هذا هو الحشر الثاني بالنسبة للآخرة، والرابع بالنسبة لأنواع الحشر عامة التي عدها العلماء (4). وإن كنت أميل إلى أن الحشر ضمن حشر الآخرة، ولا يعتبر رابعًا بالنسبة لأنواع الحشر عامة، ولا ثانيًا بالنسبة للحشر في الآخرة.

وعلى هذا تكون أنواع الحشر التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ثلاثة: إثنا في الدنيا، وواحد في الآخرة، ومن ضمنه حشر المتقين وحشر الكفار.

(1) انظر فتح الباري ج 11 ص 327، وتغفة الأحويذ ي ج 7 ص 250
(2) إحياء علوم الدين ج 4 ص 3962 طبعة دار الشعب
(3) فتح الباري ج 11 ص 327
(4) انظر المذكورة للفرطني ج 1 ص 245، وفتح الباري ج 11 ص 317، وتغفة المريد
شرح جوهرة التوحيد ص 113
القرآن الكريم يعرض صورًا مختلفة لحشر المؤمنين، والكافرين، وبينت السنة كيفية حشر المؤمن والكافر يوم القيامة.

فعن حشر المتقين يقول الله تعالى: ۚ {٤٩٥*} {٥٥٧*} ۚ [مريم ۶۸٥].

وذكر المتقين بلفظ النبجيل، وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصصهم برضوؤته وكرامته، وهم كالوفد وهم قادمون على خير مونود إليه، إلى دار كرامته ورضوؤته (١). روى الإمام أحمد بسنده عن معاوية بن حيدة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنكم محشورون رجالاً وركباناً، وتجرون على وجههم (٢).

وعن حشر الكافرين يقول الله عز وجل: ۚ {٤٩٧*} {٥٥٨*} ۚ [المراة ٦٧] والأية تدل على أن الكافر يحشر يوم القيامة على وجهه وهو أعمى وأبكيم وأصم. وقد سئل رسول الله ﷺ عن كيفية حشر الكافر على وجهه يوم القيامة.

روى الإمام مسلم بسنده عن أنس بن مالك، أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «الن履� الذي أمشى على رجلين في الدنيا قادر على أن يمشى على وجهه يوم القيامة» (٣). ولا يستجب الإنسان كيف يمشي الكافر على وجهه يوم القيامة؟ لأن الآخرى فيها من العجائب والغرائب ما لا يتصور الإنسان. يقول الإمام الغزالي: «في طبع الآدمي إنسا د كل ما لم يأت به، ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على رجلين كالمماض الخاطف لأنكر تصور المشي على غير رجل والمشي بالرجل أيضًا مستبعد عند من لا يشاهد ذلك. فإياك أن تنكر شيئًا من...»

---

(١) ابن كثير ج٣ ص.١٣٧، الكشاف للزمخشري ج٢ ص.٥٧٤.
(٢) مسلم الإمام أحمد ج٥ ص.٥٤٩.
(٣) مسلم ج٤ ص.٢١٦١.
عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا، فإن ذلك لم تكن شاهدة عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لکنت أشد إنكارًا لها) (1).

وقد وردت آيات في القرآن الكريم في حشر الكفار ظاهرًا التعارض، إذ إن الله عز وجل مرة يذكر عن الكفار وحشرهم أنهم يكونون عميا وبيكما وصما، مرة يذكر أنهم يدعون فيما بينهم، يقول تعالى: (وَوَمَّا يَضُرُّكُمْ مِنْ سَاعَةٍ مِنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُضُرُّكُمْ إِلَّا أَنْ تَشْتَكِّرُوا) (يونس: 40) ويدرك أيضًا قولهم (فَأَلَوْ بَيْنَنَا مِنْ بَعْضٍ مِنْ مَعْرِفَتِنَا) (يس: 52) وكلامهم مضاد للصمم والبكم معاً. وفي آية أخرى يذكر سؤالهم وتبكيتهم، يقول تعالى (فَلْتُسْأَلِ الَّذِينَ أُؤْتُوهُ الْيَوْمَ وَلْتُسْأَلُوا الْمُرْسَلِينَ) ([الأعراف: 6]) والسؤال لا بد فيه من سماح منهم وجواب، وفي آية أخرى يقول: (وَمَتَّعُ الْمُجَٰرِمِينَ بِوَجُوبِ زِرْقَةٍ) (طه: 10) أي زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال. وهذا ينافي العلمي، وفي آية أخرى يقول: (إِذَا هُمْ مَنْ أَجْهَدُ إِلَى رَبِّهِمْ يَسْلِبُونَ) (يس: 51) ويقول في آية أخرى (يَتَرَجُوُونَ مِنْ الأَجْهَدِ أنْ يُسْأَلُونَ) (المتى: 43)، ولنسلان والإسراع مخالفان للحشر على الوجه، كما يقول القرطبي في التذكرة (2).

ويوقف القرطبي في التذكرة بين الآيات التي وردت في حشر الكفار، والتي ظاهرًا التعارض، فيقول: (إن الناس إذا أحبوا وبعثوا من قبورهم فليس حالتهم حالة واحدة، ولا موقفهم، ولا مقامهم واحدًا، ولكن لهم مواقف وأحوالًا، واختلفت الأخبار عنهم، لأن مختلف وقوفياتهم وأحوالهم). وجعلة ذلك أنها خمسة أحوال: الأولى حالتهم البعث من الاقترنت، والثانية حال السوق إلى موقف الحساب، والثالثة حال المحاسبة، والرابعة حال السوق إلى دار الجزاء، والخامسة حال مقامهم في الدار التي يستقرون فيها.

* * *

(1) إحياء علوم الدين ج4 ص 468 - طبعة دار الشعب.
(2) التذكرة ج1 ص 590.
الحالة الأولى:
في الأمض عَدَّةٌ سَيِّئُونَ [المومنون: 112] إلى قوله: {مَعَجَّوْتُ} [المؤمنون: 115].

الحالة الثانية:
حال السوق إلى موضع الحساب، وهم أيضًا في هذه الحال بحوالات عامية، لقوله عز وجل: {لَعَجِبُواْ أَلِيمًا طَأَّلَوْا وَأَزَوَّجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَتَشَدَّدُونَ} [م: 91]. من دون أن له أَهْدَمُوهُ إِلَى صَرْطِ الْفَطْرَمِ [وقفْوهُ إِنِّهِ مَسْتَنْسَوْنَ] [الصافات: 26-27]. ومعنى فاستهدفهم أي دلوهم، ولا دلالة لأعيم أعمى ولا سؤال لأكم، فثبت بهذا أنهم يكونون بأصابع وأسماع، وألسن ناطقة.

الحالة الثالثة:
وبين الحالة الثالثة يقوله: والحالة الثالثة، وهي حالة المحاسبة، وهم يكونون فيها أيضًا كاملي الحواس، ليسهموا ما يقال لهم، ويقرءا كتبهم الناطقة بأعمالهم، وتنهد عليهم جواحهم بسائحاتهم فسميعونها، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم يقولون: {كَانَ هُدَا الْقُرْآنَ لَيَقْدِرُ سَيِّئَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْسَنَهَا} [الكهف: 94] وأنهم يقولون لجلودهم لم شهدتم علينا، وليشاهدوا أحوال القيامة، وما كانوا مكذبين في الدنيا به من شدتها، وصرف الأحوال بالناس فيها.

الحالة الرابعة:
وهي السوق إلى جهنم فإنهم يفلبون فيها أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم، لقوله

(1) المذكرة ج1 ص 251.

الحالة الخامسة:

حالة الإقامة في النار، وهذه الحالة تنقسم إلى بدو ومال، فبدؤوها أنهم قطعوا المسافة التي بين موقف الحساب وشغف جهنم عمياً وكماماً وصمتاً إذاً لم يفهموا من غيرهم، ثم ردت الحواس إليهم ليشاهدوه النار، وما أعد الله لهم فيها من عذاب، ويعانوا ملائكة العذاب، وكلما كانوا به مكذبين، فاستقلوا في النار ناطقين سامعين مبرئين، ولذا قال الله تعالى: {وَرَزْنَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهِ مَشْيِعٌ} [الأنبياء: 45].


---

(1) الذكرى عشر 251
(2) الذكرى للقرطبي 141، ص 251.
وهكذا يوفّق ﴿القرطب، بين الآيات التي قد يتعارض بعضها مع البعض ظاهرًا، فيبني أن لكل آية وجهًا وموقفًا خاصًا بها، وبهذا يزول التعارض بين ظاهر الآيات وبعضها مع البعض الآخر.

ثانيًا: الحشر في التصور النصراني

لم أعثر في المصادر التي رجعت إليها عند النصارى على أي تصور لهم عن الحشر وأحوال الناس فيه، وصفة العرق فيه ولا على شيء من الأشياء التي نحدث عنها القرآن الكريم، وفصلها الرسول ﷺ. ويدعو أن النصارى لا يفرقون بين البهث والحشر؛ لأن الحشر لم يرد عندهم، ولم يخصص بذكر في العهدين القديم والجديد، والنصوص التي وردت - خاصة في الأناجيل وأعمال الرسول - تصور بعث الناس من القبور عند سماع صوت ابن الإنسان، كما يقول ﴿لوقة﴿ في إنجيله، وعند سماع صوت الملكة كما يقول ﴿ديمٍ﴿ في إنجيله.

ورد في الإصحاح الخامس والعشرين من إنجيل ﴿ديمٍ﴿: ﴿ديمٍ جاء ابن الإنسان في مجدٍ فحينبذ يجلس على كرسي مجدٍ، ويجمع أمامه جميع الشعوب، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء؟﴾.

ورد في إنجيل ﴿لوقة﴿: ﴿لا تتعجبوا، فإن تأتي ساعة فيها يسمع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين نفعوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السينوات إلى قيامة الديبونة﴾.

ما هي حالتهم أثناء الخروج، وما هي صفتهم؟ لا تحدثنا نصوص الأناجيل عن صفة الذين يعون إلى الديبونة.

ورد في رسائل بولس: ﴿الراكدون بيسوع يحضرهم الله أيضًا معه﴾، ﴿الله الذي يقيم الأمونات﴾ ولا بد لي بولس بأن يصرح في رسائله عن صفتهم وحالتهم أثناء الوقوف أمام الله يوم القيامة.

(1) ﴿لوقة: 5: 28/5 .
(2) ﴿ديمٍ: 25/24.
(3) ﴿رسالة تسالونيكي الثانية: 9/1.
(4) ﴿رسالة تسالونيكي: 14/4 .
(5) ﴿رسالة تسالونيكي: 14/4 .
(6) ﴿رسالة تسالونيكي: 14/4 .

ورد في رؤيا يوحنا اللاهوتي قوله: «ورأيت الأموات صغارًا وكبارًا واقفين أمام الله.» (1)

هذه النصوص التي عرضناها لا تذكر الحشر، أو تعبير أدق يبدو أن النصارى لا يفرقون بين البشر والحشر، ويعربون عنه بالقياسة أو الدينونة أو البعث (2).

كانت صورة الحشر التي بينها القرآن الكريم، وفصلها الرسول مثيراً طعن من بعض النصارى على الإسلام، وكانوا يجادلون علماء الإسلام في تفصيلات الحشر التي وردت في السنة.

ورد في كتاب النصرات الإسلامية لنجهم الدين الطوفيي، شبهة أحد النصارى وسخريته من الأحاديث التي وردت عن حشر الناس حفاة عرفة وأيضاً حشر البهائم والجمادات يوم القيامة، ويستغرق النصراني من الحديث الذي ورد فيه «حشر الناس حفاة عرفة» حديث أبي هريرة. إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مسلم يهوديًا أو نصارىًا فقول هذا فذاك من النازير (3).

ثم يقول النصراني مستبعدًا ومستنكرًا: «فانظر إلى هذه الأحاديث، وما تضمنته من الأخبار، وكيف أخبر عن حشر الحشرات والبهائم والعباد، وأن الله يقضي بينهم، وكيف نصي الجمال والبقر على الناس» (4).

ويجب الطوخي على النصراني من وجهين:

أحدهما: إن كل هذا ممكن لا شك في إمكانه، وقد أخبر به السادة، فيجب قوله (5).

ثانيهما: إنه ليس عنده في إمكانه إلا كونه لم يذكر في كتاب ونحوه (6).

والحق ما ذهب إليه نجم الدين الطوخي؛ لأن حديث حشر الناس حفاة عرفة.

(1) رؤيا يوحنا اللاهوتي ۱۳/۴۲۰، ۱۸۱/۱۳۴۱ (2) علم اللاهوت ميخائيل مينا ص ۱۳۴۱/۱۳۴۱ (3) النصرات الإسلامية - نجم الدين الطوخي ۱۳۴۳ (4) نفسه.
(5) نفسه.
(6) نفسه.
ورد في أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى، فقد رواه الإمام البخاري عن ابن عباس والإمام مسلم عن قتيبة (1)، ورواه الترمذي في جامعه عن ابن عباس (2) وقد اتفقت الأمة على قبول ما رواه الإمام البخاري ومسلم لصحة نسبته إلى رسول الله ﷺ. وجامع الترمذي من الكتب الصحاح. وقد ورد فيه الحديث أيضًا، وأما اقتباس الحديث من بعضها يوم القيامة فتحقيقًا للعدل يوم القيامة، وأما حدث أبي هريرة إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مسلم بهوديًا أو نصرانيًا فيقول هذا نذوؤم من الناس، فليس في ذلك ظلم للنصارى، والعباس قد شرحوا الحديث شرحًا بين مقصود الرسول ﷺ في ذلك، واليهود والنصارى فقد سنوا سنًا سهية، فإذا أتبعهم فيها أحد المؤمنين كان عليه وزر الانتهاك، وعليهم وزر الإبداع، فإذا كان يوم القيامة عفر الله ذنب المؤمن فعفا عنه وقبيت سيئات اليهود والنصارى. الذين سنوا السن السيئة فحماوا وزر الإبداع لئللك السن السيئة (3) ويفص الطوفار في ذلك عند اليهود والنصارى بأنه محرف، إذ الأصل أن الأشياء التي طعن فيها النصراني من الحشر وغيره موجودة عندهم، ولكنهم حرفوها، وبدلوا، يقول الطوفار: إن أصول الدين الإسلامي مشتركة بين سائر الأديان، لقوله تعالى: "سُّقُطُ لَكُمْ مِّنَ الْقِرَآنِ مَا طَمَارَتْ يَدُ الْمُتَّقِينَ " يه، فَعَلِّمُواْ أَنَّ عِبَادَيْنَا يَعْبُدُونَنَا وَيَعْبُدُونَ وَمَا رَسِيَّلْنَا لَهُمْ وَمَا نَفْرَتْ فِيهِمْ " [النسور: 13] ولكن ذلك بدل وعبر في كتبكم، لتطاول العهد، واعتراف اللغات والآنسة عليه (4). ونحن مع نجم الدين الطوفار في أن النصارى قد حرفوا وبدلوا كثيرًا مما في كتبهم، ومن بدلوا وحرفوه ما يتصل بالآخرة، ولكن لستا معه في أن التفاصيلات والفروع كانت موجودة عند النصارى اليهود كما في الإسلام. فالأصول واحدة والفروع مختلفة.

(1) فتح الباري ج 11 ص 362 .
(2) تغية الأحودي ج 7 ص 108 .
(3) نظر فتح الباري ج 110 ص 225 .
(4) الانتصارات الإسلامية ص 197 .
ثالثًا: الحشر في التصور اليهودي

في المصادر المتاحة والتي رجعت إليها لم أجد أي إشارة عن الحشر وأحوال الناس فيه بالتفصيل، وهذه المصادر تعتبر قليلة، ولكن عذرني في ذلك ندرة الخثور على كتب يهودية، لأن اليهودية كما تعلم ليست ديانة مبشرة، وهم لا ينشرون دينهم خارج بني جنسهم؛ لاعتقادهم أنهم أبناء الله وأحباوه، وأثناء البحث عثرت على نص لأحد علماء اليهود، وهو سعدبا الفيومي في كتابه الأمانات والاعتقادات - هذا النص ورد فيه كلمة الحشر، في معرض حديث المؤلف عن الآخرين، وفيه يذكر أن كل من لا يعتقد بالبعث فغير محشور في جملة الأمة - أي أمة اليهود - والنص هو: كل من لا يعتقد إحياء الموتي في دار الدنيا فغير محشور في جملة الأمة. والعبارة: فغير محشور في جملة الأمة، هل يقصد بها الحشر الآخرى في أو يقصد بها غير داخل في جملة الأمة؟ هذا المحتمل وهذا محتمل، ولكن الذي أرجحه الاحتمال الأول، أي حشر الآخرى لأن كلام سعدبا الفيومي قبل هذا النص كان عن التدليس على وقوع البعث وإحياء الناس بعد الموت. وكما أوضحنا عند الحديث عن البعث عند اليهود، فإن الإشارات عن اليوم الآخر ترد قليلة في العهد القديم، هذا فضلا عن التفصيلات في الآخرة والحشر والحساب والجنة والنار.

وهذا يدل:

أولا: على كمال الإسلام، بإحاطته بالكليات والجزيئات عن اليوم الآخر.

١) العهد القديم، انظر تفتيح الأبحاث لابن كمونة ص ٢٤، ٣٤ التلمود أصله وتسلسله ص ٩٠،
٢) التلمود تاريخه وتعليمه ص ٨٥، ٧٩ السن يقوم في تفسير العهد القديم ج ١ ص ٥٠، ج ٥
٣) ٢١١ الآراء الدينية والفلسفية للفيلسوف الاكندري ص ٣٠٤، ص ٣٧٧، ١٧ قصة الخضارا ج ٢ ص ٣٤٥
٤) اليهود تاريخا وعقيدته ص ١١١ أدبان العالم حبيب سعد ١٩٥٦/١٩٤٧ ترات الطوم القديم ج ١ ص ٩٨، ٩٩ - الأمانات
والاعتقادات.
٥) الأمانات والاعتقادات ص ٢١٩.
ثانيًا: على التحريف والتبديل الذي لحق بالنبوة وأسفار الأنبياء، لأن اليهود حرفوا ما جاء عن الآخرة في النبوة؛ لأن الأصول عند جميع الرسل واحدة، وتلك الأصول قد حرفها اليهود. أين ما ورد عن الآخرة في النبوة من مثل قوله تعالى: {يَوْمَ تُحْيِي الْحَيَاةَ الْأَخِرَةَ} والآخرة حُبَّ وَآبَقَتْ {إِنَّ هَذَا لَيْلَةُ الْقُوْرُصُوْنَ} وَصَعَفَ إِبْرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ [الأعلى: 16-19]. فإيثر الآخرة على الدنيا موجود في صحف موسى عليه السلام، ولا نجد لهذه التعاليم أي أثر في النبوة الحالية، وأيضًا قوله تعالى: {أَلَمۡ نَبْنِيَ بَيۡنَ مَا فِي صَحِيفِ مُوسَى} وَإِبۡرَاهِيمُ الَّذِي رَفَقَهُ وَلَا تُضِرۡهُمَا وَزَرَّهُمَا وَذَرَّ أَنفُسَهُمَا وَأَنَّ لَنَا إِلَّا مَا سَعَىُۖ وَأَنَّ اسۡقَمُ الۡقُرۡآنَ ۛ إِنِّي لَرَحۡمَتٌ لِّاْلْعَلَٰٰمَٰتِ} [النجم: 136-142].

***
البحث السادس

صحائف الأعمال بين الإسلام والتصرفية واليهودية

أولا: صحائف الأعمال في التصور الإسلامي

في مشاهد يوم القيامة صحائف الأعمال، وهي من السمعيات التي وردت في القرآن الكريم، وأخبر عنها الرسول وдей. وصحائف الأعمال عبارة عن الكتب التي كتب فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا (1). وهذه الصفح هي التي سيحاسب الإنسان على أساس ما فيها من الأعمال، إن خرجًا فخير، وإن شرًا فشر.

يقول صاحب المقاصد: «من السمعيات تطابق الكتب، والدليل عليها قول الله تعالى: [وَيَوْمَ يُنْفَخُ الْمَزْنَقُ عَشَرُهُمْ فِي رَبِّهِمْ وَيَغْلُبُ هُمْ عَلَى هَالِكَنَّ يُرِيدُونَ إِنمَامًا طَامِنًا١٠٢٠]» [الإسparated: 146] وينقول تعالى: [فَأَمَّا مَن أُوْلِي الْكِتَابَ الْبُيْبَسِةَ فَفَسَّرَ جَسَلَهُ بَيْضًا١٠٣٠] [الإسفاط: 7-8] ويقول صاحب المواقف عن هذه الآية: «قد ثبت بها قراءة الكتب» (2)

ويذكر صاحب مطالع الأنظار أن سائر السمعيات - ومنها تطابق الكتب - الأصل في إثباتها أنها ممكنة في أنفسها، والله تعالى قادر على كل هذه الأشياء، والصادق أن يكون على وقوعها، فيكون هذا مفيدًا للعلم بوجودها، ويذهب الجويني إلى أن العقول لا تحيل شيءًا من هذه السمعيات، والدالالة ثابتة على القطع بالميزان والتحور والكتب التي يحاسب عليها الخليل (3).

والقرآن الكريم يذكر الصحف التي كتب فيها الحسنات والسيئات للعبد في الدنيا

(1) تهفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص 222.
(2) شرح المواقف ج 2 ص 453.
(3) تفسير مطالع الأنظار لأبي الثناء شمس الدين الأصفهاني ص 44 والإرشاد للجويني ص 379.

هذه الصحائف هي التي يعبر عنها القرآن في بعض الآيات بالكتب، كما في قوله تعالى: "وَبِمَعَالِجِ الْكِتَابِ فَقَرَىٰ أَلْسِنَةُ مِنْ سُقُطْ. وَيَقُولُونَ بُولُشًا مَّالِئًا هَذَا الْكِتَابُ لَا يَقُدُّ صِنَافِيرًا وَلَا كِبْرَةً إِلَّا أَحْصَنَهَا وَجَذَّرَهَا مَا غَلَبَهَا حَاضِرًا وَلَا يَقِلُونَ رَبِّ أَحَدُ" [الكهف: 94] أي أن صحائف الأعمال وضعتم إما في أيدي أصحابها بعينها وشملًا، وإما في الميزان، وهذه الصحائف لا نغادر صغيرة ولا كبيرة إلا حونتها، ووجدناها ما عملنا حاضرة، أي مسطورًا (20)؛ والله لا يظلم أحداً يوم القيامة لأن كل إنسان سوف يجمهك كتابه يوم القيامة، وهذا الكتاب مسطور فيه كل شيء فعله الإنسان من الحسنات والسيئات. يقول تعالى: "وَرَكَّبُ إِنْذَارُهُمْ مُّطَٰرِهًا فِي عِنْفَهُ. وَحَمَّاهُ ٱلْقُرْءَٰنُ "يَوْمَ يُقَدِّسُ ٱلْغَيْبَةَ بِٱلْقَبْطِ ۖ وَكَانَ لَئِنْ كَانَ كَفَّارٌ كَانَ تَفْسِيِّكَ أَلَّا يَكُونَ عَلَيْكَ حَبِبًا" [الإسراء: 13-14] والطائر هذا هو ما طار عنه من عمله من خير أو شر، وهو يلزم به، ويجازي عليه، كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما، والمفسدون من الآية الكريمة أن عمل ابن آدم محفوظ عليه فليه وكثيره، ويكتب عليه ليلًا ونهارًا صباها ومساءً (31). ومن صحائف الأعمال التي يعبر عنها القرآن الكريم بالكتب تسجل كل الآيات على الإنسان، مصداقاً لقوله تعالى: "فَمَا يَلْبِطُ مِنْ قُوَّةِ إِلَّا أَنْ تَذُبْقِ عَيْنَيْنَ" [طه: 8]، ويقول تعالى: "وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱلْخَيْرَاتِ ۖ كَمَا كُنْتَ كَفَّارًا يَقُومُ مَا تُقَدِّسُونَ" [الله يعلم: 10-12].

ودidine الصحائف أخذها الإنسان بيمينه إن كان من الصالحين ويجاسب على أساسها حسابًا يسيرًا، ويأخذها الطالب بشماله، ويحاسب على أساسها حسابًا

عينه، يقول تعالى: "فَلَا يَكُونَ عَلَيْكَ جَبَاتٌ ۖ فَتَوَكَّلُوا ۖ وَلَزَّ أَدُرٌّ مَا [الانشقاق: 78] وَلَا يَكُونَ عَلَيْكَ جَبَاتٌ ۖ فَتَوَكَّلُوا ۖ وَلَزَّ أَدُرٌّ مَا [الله يعلم: 78].

(1) أبو السعد ج 3 ص 555.
(2) أبو السعد ج 2 ص 386, 385.
(3) انظر ابن كثير ج 27 ص 27.
وافتات اليوم الآخر

الصحيح أيضاً (الحالة: 5-26) وقد صاحب صاحبته يوم القيامة على رؤوس الأشخاص، مصداقاً لقوله تعالى: (وَأَرِيدُ أَنْ أَصْحَبْكُمْ [التكوين: 10] وبقرا كل إنسان صاحبه يوم القيامة، لا فرق بين الذي يعرف القراءة والذي لا يعرف، ومنهم من لم يقرأ صاحبه ذهوته ودهشة، لا اشتمالا على القبائل) وهذه الصحف حين تنشر لا يملك أحد أن يقدم عذر أو يجادل عن نفسه. روى الإمام أحمد بن سهده عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يُعْرَضُ التنازلات يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضان فجدا، ومعاذير، وأما الثالثة فعند تطيار الصحف في الأيدي، فأخذ بيديه وأخذ بسماه (2) وفما أن الناس يدفعون عن أنفسهم، ويقولون لم يبلغنا الأنباء، وبحاكم الله تعالى، ولكن عند تطيار الصحف يسكت الجميع، ويأخذ أهل السعادة صحفهم بأيديهم، وأهل الشقاعة بشمائلهم (3)."

ثانيًا: صحائف الأعمال في التصور النصاري

الثابت أن النصارى يعتقدون أن الحساب عن كل صغيرة وكبيرة، وعن الأقوال والأعمال ورد في قاموس الكتاب المقدس: "وقد أعطيت الدينونة للرب بسوع المسيح، فهو الديان الذي يقف أمامه جميع البشر، لكي يعطوا حسابًا عن أعمالهم في الجسد، خيراً كانت أم شرًا (4). وهذه الأعمال التي يحاسب عليها النصارى - كما يعتقدون - مسجلة في أسفار، لذلك فإن الدينونة عند النصارى ستكون بموجب أسفار (5). وهذه الأسفار هي التي وردت الإشارة إليها في سفر الرؤيا وورأت الأعمال صغيرًا وكبيرًا وافقين أمام الله، وانفتحت أسفار، وأفتحت سفر آخر هو سفر الحياة. وذين الأعمال مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم (6). فالنص في رؤيا يوحنا بين أن هناك أسفارًا فيها

(1) تطهيرة المريد ص 224
(2) رواه الإمام أحمد في المسند ج 4 ص 414
(3) تطهيرة الأحاديث شرح جامع الترمذي ج 7 ص 111، 112
(4) قاموس الكتاب المقدس ص 382
(5) دينونة البشر العامة ص 52
(6) رؤيا يوحنا 16 20:12 13/11/20
الأعمال الخيرية والشريرة، يحاسبون على أساسها، ويعتقد النصارى أن أول أسفار الدينونة الكتاب المقدس كما قال السيد المسيح: الكلام الذي تكلمت به هو يديك في اليوم الأخير (1) ويفسر صاحب الكنز الجليل نص يوحنى. بأن كلام الإنسان هو الذي يدينه يوم القيامة. ويستدرك المفسر بقوله: وهذا لا يعني أن المسيح لا يدينه، إذاً يبين أن الدينونة لا تكون على الهوى، بل بفضوى الكلام الذي تكلم به المسيح سابقاً، وتسليم المحكم عليه بأنه سمعه فيقابل سيرته به، ويدين نفسه، ويشهد بعد عين الله الديتان، وأنزل الكلام هنا بمنزلة شخص يشهد ويفضي، ويكون هو وضمير الخاطئ على وفاق في الحكم على الخاطئ، لرفض المسيح، فيصفها ولا يفوتها بكلمة (2). والذي يفهم من كلام المفسر أن كلام الإنجيل سيكون حجة على النصارى يوم القيامة، لأن سيمسل بأنه قد سمعه، ويبطأ كلام الإنجيل مع ضمير الخاطئ، في أنه رفض تعاليم المسيح، وهذا حجة عليه، والمسفر الثاني هو الضمير (3). ورد في أعمال الرسل ذلك فلا أدرى نفسي ليكون لي ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس (4).

والنص الذي أما أن يفسره صاحب الكنز الجليل بقوله: الذي له ضمير بلا عثرة هو الذي لا يعمل شيئًا مخالفًا لحكم الضمير، لأن الضمير السي، سمحاسب الإنسان عليه (5) والشيء الأساسي الذي يسجل على الإنسان في اعتقاد النصارى الكلام. ورد في متي 12 لكلمة بطلان يتكلم بها الناس سوف يعذبهم عنها حسابًا يوم الدين لأنك بكلامك تبكر، وبكلامك تدان (6). يقول مفسر الإنجيل: إن كلام الناس دليل واضح على صفاته، فذلك كان من جملة ما يحاسب الله عليه يوم الدين، كما أناد المسيح خلفًا لزعم الأكراد، بأنه لا حساب على الكلام؛ إذ لا طائل تحته. والكلام الذي يقصد المسيح الغير نافع عمومًا، وليس معنى أن الحساب مخصص على الكلام بدون نظر إلى الأعمال، بل المراة أن الكلام من جملة ما يحاسب عليه الإنسان (7).

(1) يوحنى 12 - 48، ديوانة البشر العامة ص 52.
(2) الكنز الجليل ج 3 ص 215.
(3) ديوانة البشر العامة ص 53، أعظم الرسول 16/24.
(4) أعمال الرسول ص 53.
(5) الكنز الجليل ج 4 ص 315.
(6) متي 12: 37 - 38/37.
(7) انظر الكنز الجليل بتصرف ج 1 ص 197، 198.
ثالثًا: صحائف الأعمال في التصور اليهودي

يعتقد اليهود في الحساب بوم القيامة، وهذا الحساب يتم على أساس ما قدمه الإنسان من خير أو شر، وهذا الحساب سيكون بموجب أسفار، ورد في دانيال في إحدى رؤاه. «كنت أرى أنه وضع عروش وجلس القديم الأبدان، لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقي، وعرشه لهيب نار، وبكراته نار، نار خريج وخرج من قدمه ألوه السماوات، وربوات وقوف قدمه، فجلس الذيين وفتحت الأسفار» (1).

ورد في المشيئة الأولى - أي المتن الذي يكون شرحها التلمود - (ربى قال: ما هي الطريق القوية التي يجد الإنسان اختيارها؟ هيا تلك التي تمجد سالكها، وترفع مقامه بين الناس. إحرض على الفضير الخفيف حرصك على الفضير الفقير، لأنك لا تعلم قيمة أجر الفضير، وأحسب خسارة الفضير بجانب أجره وملاءة المعمصة بجانب قصاصها)

تأمل في ثلاثة أمور فلا تصل إلى المعيبة: إعلم ما بطفه، عين تري، وآذن تسمع، وكل أعمالك محصية في سفر (2) وفي شرح هذه المشيئة ورد لكل أعمالك محصية في سفر. قد جسم بعضهم هذه الفكرة لدرجة أنه قال: إن روح الإنسان تصعد في كل مسأة أمام عرش اللدبان، تكتب بينهما ما تكون قد اقترفت أو أحسنت في بومها، وتتألى بعضهم فقال: إن كل معمصة يركبها الإنسان في دنياه توجد طبيانا، يصعد أمام كرمسي اللدبان، ويهتف دائمًا: أنا خلقت من معمصة فنان ابن فنان الذي ارتقيها في اليوم الغلالي (3) ونص المشيئة وشرحها بين أن الأعمال التي يفعلها الإنسان تسجل عليه كل يوم في سفر إلى أن تأتي يوم القيامة فتشهد عليه هذه الأعمال. وهناك اعتقاد ورد في التلمود بأن روح الإنسان تصعد في وقت نومه إلى السماء، ونكتب أعمالها اليومية خيرها وشرها، لتحاسب عليها بعد الوفاة (4). وصدقي الفيرومي في الأمانات والتوقعات

يقول: «إن لله كتبًا ودواوين، محفوظ فيها أعمال الصالحين والطالحين» (5).

(1) دانيال 7: 19
(2) التلمود أصله وتسلسله وأدابه ص 90، 91
(3) التلمود أصله وتسلسله وأدابه ص 90
(4) نفسه ص 90
(5) الأمانات والاتفاقات ص 216
وردد في أسفار الأنبىاء ما يستنبط منه أن الكلام مسجل على الإنسان، وسياحسب عليه يوم القيامة. ورد في سفر الأمثال "الموت والعياج في بد الإنسان، وأحباوه بأكلون نمره". ورد في المزامير "ألا نس كلمة في لسانى إلا وعنت يا رب عرفتها كلها". ورد في المزامير "ألا ينكل يا رب حارسًا لفي احفظ باب شفتي". وهذه الأقوال يستنبط منها أن الكلام الذي يتحدث به الإنسان يعده الله، وهو مسجل عليه، وسياحسب عليه يوم القيامة.

تعمقٌ على صحائف الأعمال بين الإسلام والنصرانية واليهودية:

بعد عرضنا لصحائف الأعمال بين الأديان الثلاثة يمكن أن نخرج بالنتائج التالية:

أولاً: أن الإسلام يتفق مع النصرانية واليهودية في أن أعمال الإنسان وأقواله تسجل عليه، ليحاسب عليها يوم القيامة.

ثانيًا: أن الحساب يوم القيامة سيكون بموجب تلك الصحائف التي سجلت فيها أقوال الإنسان وأعماله، وأن الإنسان سيكون شهيدًا على نفسه بأنه فعل وقال.

ثالثًا: أن هناك جزئيات اختص بها التصور الإسلامي مثل أخذ الإنسان الصالح صحفته بعينه وأخذ الطالح صحيفته بشماله.

وهذه الجزئية غير واردة في التصور النصراني واليهودي.

وأيضًا نجد في التصور اليهودي صعود الروح وقت النوم، لتتسجل أعمالها وأقوالها اليومية.

وهذه الجزئية غير واردة في التصور الإسلامي، الذي يبين أن كل إنسان موكب به ملكان لتسجل كل شيء عليه. يقول تعالى: "إنما يَلْبَثُ مِنْ قَوْلِ إِلَّاً لَّدُيُّ رَبِّهِ " (عُيَّنَهُ) [ق: 68].

(1) أمثال 18 - 31.
(2) المزامير 138/4.
(3) المزامير 141/3.
وهذه الجزئية أيضًا غير واردة في النصوص النصراني.

والجملة فإن الأصل الذي تستند إليه صفحات الأعمال موجود في النصوص الإسلامية والنصوص النصراني، مع الاختلاف في بعض الجزئيات التي وردت عند المسلمين والنصارى واليهود.

* * *
المبحث السابع

الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولاً: الحساب في الإسلام:

الحساب لغاية: العد. واصطلاحاً: توقف الله الناس على أعمالهم، خيراً كانت أو شريحاً، قولاً كانت أو فعلًا، تفصيلاً بعد أخذهما كتبهم، ويكون للمؤمن والكافر إنسا وجناء، إلا من استثنى منهم (1).

والحساب ثابت بالكتاب والسنة والإجماع (2) عند أهل السنة.

والمعتزلة تثبت الحساب، وتستدل عليه بقول صاحب الأصول الخمسة:

الحساب مما لا يجوز إنكاره فقدس قال تعالى: قلما من أوقى كتبتم يسبرين (３) سوف يجعلكم حساباً جسماً ويتلقب إلى أهل وسطور (الإنشقاق: 7-9)، نجد أن محاسبة الله تعالى إبانا لا تجري على حد ما تجري المحاسبة بين الشريكين والتعاملين (4).

القرآن الكريم يعرض الحساب ويركع على عدة حقائق منها:


(1) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص 216.
(2) نفسه.
(3) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص 736.
وهذه الآيات إخبار من الله سبحانه وتعالى بأن يحاسب الخلق على أعمالهم ويجازيهم بها، إن خيراً فخير، وإن شرًا فشر، وهذا الحساب سوف يكون سريعاً: 

"يقول الله تعالى: (وَلَوْ أنَّ اللَّهَ يُحَذِّبُهُمْ النَّارَ وَلَا يَغْفِرُ لَهُمْ مَّنِّ الْعَذَابَۢ) [الรมد: 41]، وقوله الله تعالى: (قَالَ الرَّحْمَانُ رَبُّكَ لَنَفَسِيَّ مَّا كَسَبَّبَ إِنَّ اللَّهَ سَيِّئُ اللَّغُو) [الجِبَالَةُ: 51]."

و الله عز وجل يحاسب الخلق كلهم كما يحاسب نفسه واحدة، كما قال جل وعلا: (وَلَا يَسْتَجِيبُنَّ إِلَّا الْحَكِيمُ وَالْحَقُّ وَالصَّادِقُ) [القسمان: 28]، وقوله جل جلاله: (وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَنيَّةً بِالْشَّرِّ) [القمر: 97]، ولا غرابة في سرعة حساب الله لنفسه يوم القيامة، فكما يرزقهم في وقت واحد يحاسبهم أيضًا في وقت واحد.

ثانيًا: نفي قيام الرسول بمحاسبة الخلق يوم القيامة:

القرآن الكريم بعد أن بابت أن الله هو الذي يتولى الحساب يوم القيامة بثبت أن الرسول ﷺ لا يحاسب أحدًا من الخلق يوم القيامة. يقول الله تعالى: (وَلَا تَظْرُفُ الْيَوْمُ الَّذِي يَتَوَلَّى عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِغَيْبَةٍ وَلَا شَهِيدٍ وَلَا حِكَامٍ مَّا عَلَىْكُمْ مِّن حُسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ جَاسِلِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَلَا نَفَعَّا مِّنْ أَظْلَمِينَ) [الأنعام: 52].

وقوله تعالى: (مَا عَلِيَّكُمْ مِّن حُسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَلَا نَفَعَّا مِّنْ أَظْلَمِينَ) [الأنعام: 52]، كقوله تعالى: (إِنِّي جَاسِلُونَ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشُفُّونَ) [الشعراء: 113]، وذلك أنهم طعنوا في دينهم وإخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء، بعد شهادته لهم بالإخلاص وإدارة وجه الله في أعمالهم، على معنى وإن كان الأمر على ما يقولون عند الله فلا يلزم إلا اعتبار الظاهر والاتساع بسحية المتقين، وإن كان لهم باطن غير مرض فحسابهم عليهم، لازم لهم، لا يتعداه إليه، كما أن حسابك عليهم، لا يتعداه إليه، كقوله: (وَلَا تَأْثِرُ وَازِدَةً وَوَدَّ أَحْزَنُ) [الأعراف: 15].

(1) انظر ابن كثير ج. 4 ص 275.
(2) انظر الكشاف للزمخشري ج. 2 ص 22.
ويقول الله تعالى: (إِنَّمَا أَلَقْنَا الْبَلَغَ وَعَلَيْنَا أَجْمَالُ الْحَسَابِ) [الرعد: 40] ومنعى الآية أن الله أرسل رسوله ليبلغ للناس رسالة الله، وقد فعل ما أمره، أما الحساب والجزاء فعله الله، إذ إنه المحاسب والمجازي، لا أحد سواء.

ثالثًا: كيفية الحساب:

يقول الله تعالى: (فَأَيُّمَا مِنْ أُوْلِي الْكُرْبَةِ بَيْنَاهُم مُّسْرُورًا) و(فَأَيُّمَا مِنْ أُوْلِي الْكُرْبَةِ وَرَاءُ ظُهْرِهِمْ) و(فَسُوْفَ يَدْعُوا بِنُورِ) و(وَتَمْسِحُ سِيَارَةً) [الأنشقاق: 7-12].

وهذه الآية سألت عنها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: فقول روى البخاري ومسلم - واللغط لمسلم - عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: (ومن نوفرت الحساب يوم القيامة غزد، فقلت: أليس قد قال الله عز وجل: فسُوْفَ يُجَاسِبُ حَسَابًا بَيِّنًا) [الأنشقاق: 8]؟ فقال: ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض. ومن نوفرت الحساب يوم القيامة غزد.

وروى الثرذيده عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ومن نوفرت الحساب هكذا، قالت: قال: يا رسول الله، إن الله يقول: فَأَيُّمَا مِنْ أُوْلِي الْكُرْبَةِ بَيْنَاهُم). (النور: 78) - والسيدية عائشة - كما وضح في حديث مسلم والثرذيده - قد ظن أن هناك تعارضًا بين قول الرسول وبين الآية، ولكن لا نعارض، حيث إن الحساب في الآية معنى العرض، أي عرض الأعمال المؤمن عليه يوم القيامة، ثم عفو الله عنه وإدخاله الجنة.

أما مناقشة الحساب التي ذكرها رسول الله ﷺ، وبين أن العذاب مرتبط بها: فلعلما وجه فيها:

(1) ابن كثير ج2 ص 520
(2) تفسير الأخواني ج7 ص 114
الوجه الأول:
أن نفس مناقشة الحساب، وعرض الذنوب، والتوضيح على قبيح ما سلف والتوجيه - تعذيب.

الوجه الثاني:
أن الإنسان يفضّل إلى العذاب، إذ لا حسنة للعبيد إلا من عند الله؛ لإقداره عليها، وتفضيله عليه بها وهديته لفعلها، ولأن الخالص لوجه الله قليل (1). وهذا الوجه الأخير مال إلى النموذج في شرحه لهذا الحديث، إذ يقول: «إن التقلير غالب في العباد فمن استقصى عليه ولم يسامح هلك، ودخل النار، ولكن الله تعالى يغفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء» (2).

أهم المعايير التي يدور حولها الحساب يوم القيامة للمؤمنين والكافرين:

أولاً: المؤمنون:
إن المناصر التي يدور حولها الحساب يوم القيامة هي الأفعال والأفعال. أما الحديث النفس، والهم على السبب، فإن الله لا يؤخذ الإنسان عليها، وإن كان يشي عليه بالحسن، وبجاري عليها. يقول الله تعالى: فَلَمَّا كَلَّمَهُ فَمَا رَأَى وَلَمْ يُعْمَدْ قَبْلَ ذَلِكَ يُصُفِّحَهُ كَلَّامًا وَهُدَى إِلَى نُورٍ فَإِذَا هُوَ إِلَيْهِ يَتَقَلَّبُ لِيَنْفَعْهُ في الآية (وَيَذْهَبْ مَن يَكَبَّرُ مَنْ يَكْبَرُ وَلَهُ مَا عَلَى صَدْرِهِ كَفَىٰ بِاللهِ نُورٍ) [الأبقرة: 284].

وهذه الآية حين نزلت شق ذلك على الصحابة، إذ إنها تفيد أن الله يوم القيامة يحاسب الإنسان على ما أبدا وفعله وما أخفاه ولم يفعله. روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: لما أنزلت على رسول الله ﷺ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ فَمَا رَأَى وَلَمْ يُعْمَدْ قَبْلَ ذَلِكَ يُصُفِّحَهُ كَلَّامًا وَهُدَى إِلَى نُورٍ فَإِذَا هُوَ إِلَيْهِ يَتَقَلَّبُ لِيَنْفَعْهُ

(1) فتح الباري جـ 17 ص 328، 329.
(2) صحيح مسلم بشرح النووي جـ 17، 18 ص 408، 409.
في الأرض، وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوا بما يحسبكم الله فكيف ليمن
 있게، وصدّب من يسكت والله على سكته تدودًا {البقرة: 284} قال: أشهد ذلك
 على أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أقنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم بركوا على الرُّكِب فقالوا:
 أي رسول الله، كُلُّنا من العمل ما نطب الصلاة، والصيام، والجهاد والصدقة، وقد
 نزلت عليك هذه الآية، ولا تطبيقها. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أُنْدِبُونَ أن نقولوا كما قال
 أهل الكتاب من قبلكم، سمعنا وعصينا، بل قولوا: [سِيْمَانًا وَأَطْمَشْنَا عَلَيْهَا رُسُلُ اللَّهِ أَيُّهَا الْيَهُودُ] {البقرة: 125} فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى. فأنزل الله عر وجل {لا
 يُكَفِّرُ اللَّهُ النَّاسَ إلاَّ وَمَعَهُمْ نَعَضُّهُمْ لَهَا ما كَسَبَّتُوا وَعَلَّمُوا ما أُكْسِبَتُوا} {البقرة: 286} قال: نعم {رَبَّنَا وَلَا تَحْيَبِلْ عَلَيْنَا إِسْرَأَيْلَ} {البقرة: 287} قال: نعم {رَبَّنَا وَلَا تَحْيَبِلْ عَلَيْنَا إِسْرَأَيْلَ} {البقرة: 287} قال: نعم {وَأَعْفَعَ عَآفِيَةً لَّا وَارَجُنَّا أَنَّكَ مُوَلِّنَا} {فَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ السَّكِينِ} {البقرة: 287} قال: نعم (1).

ومعنى هذا أن الحديث بيد أن الله عز وجل قد نسخ الآية الأولى - التي تفيد
 محاسبة الإنسان على ما فعله وما هم به - بالآية الثانية {لا يُكَفِّرُ اللَّهُ النَّاسَ إلاَّ وَمَعَهُمْ نَعَضُّهُمْ لَهَا ما كَسَبَّتُوا وَعَلَّمُوا ما أُكْسِبَتُوا} ومن العلماء من ذهب إلى أن الآية
 ليست منسوخة، وإنما هي محكمة، وأختار ابن جرير ذلك، واحتج على أنه لا
 يلزم من المحاسبة المعاقبة، وأنه تعالى قد يحاسب، ويعاقب، وقد يحاسب ويغفر،
 بحديث النجرى، وعلى هذا تكون الآية الأولى عامة، والآية التي بعدها خاصة
 وسواه أكانت الآية الأولى منسوخة بالآية الثانية أم الآية الأولى عامة، والثانية
 خاصة، فإن الله عز وجل لا يحاسب الإنسان على ما هم به ولم يفعله، ويكون
 الحساب على ما كسب الإنسان.

وقد وردت الأحاديث التي تفيد ذلك، فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة
 قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- {إِنَّ اللَّهَ يَجْوَزُ لأَنْ يُحَادِثَهُ مَا حَدَّثَهُ بِنَفْسِهَا} {رواه الإمام مسلم ج 1 ص 25}. (1)
وروى البخاري ومسلم - واللفظ له - عن ابن عباس - عن رسول الله ﷺ، فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال: "إن الله كتب الحسنات والسيئات لم بين ذلك، فمنهم بحسنٍ فلم يعملها كتبها الله علَه، حسنة كامَّلَه، وإن هم بها فعملها كتبها الله عز وجل عنة عشر حسنات، إلى سبعونة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسبيئة فلم يعملها كتبها الله علَه، حسنة كامَّلَه، وإن هم بها فعملها كتبها الله سبيئة واحدة".

وهذه الأحاديث تبين تخفيف الله علَه عباده ورحمته بهم يوم القيامة، وأنه لا يحاسبهم إلا على ما اقترفوه من السيئات، أما الله بالأعمال السليمة وعدم اقترافها فإن الله عز وجل يكتبها لهم بحسنَة، وإنما كتبَت الحسنة بمجرد الإرادة، لأن إرادة الخير سبب إلى العمل، وإرادة الخير خير. ولا يجوز أن يقال: ما دامت إرادة الخير خيارًا فلم أت ضرَّع الحسنة التي يأخذها الإنسان على إرادة الخير، مع أن الله تعالى يقول: "فإِنَّ سَيَّارًا هِيَ لَا مُعَذَّبٌ فِي النَّارِ " [الأنعام 160] ويجوَّب على ذلك؟ فإن الآية تعني عمل الجوارح، فالحَسنَة التي يأتيها الإنسان بجوارحه هي التي تضافف، وأما الحسنة التي لا تضافف والتي أخبر عنها الحديث فهي مأخوذة على النية للفعل الحسن، أو الترك للفعل السيء، واستشكل بأن عمل القلب إذا اعتبر في حصول الحسنة فكيف لم يعتبر في حصول السيئة، وأجيب بأن يترك عمل السيئة التي وقعه بها يكفّرها لأنه قد نسخ قضاءه السيئة وخلافه.

وقد ورد في حديث النجوى أن الله عز وجل يعرض على المؤمن سيئته، ويذكره بها ثم يعفو عنها.

لك اليوم. فجعل كتاب حسناته. وأما الكافر والمنافق فإن يقول الأشهاد (كُلُّكُلٍّ، آلِهَةٍ)
كُلُّهُمَا آلهَةٌ). وهذا من فضل الله العظيم على هذه الأمة؛ لأنه لولا ذلك كاد لا يدخل أحدّ النجدة؛ لأن عمل العباد للسببات أكثر من عملهم للحسنتين (2).

ثانيًا: الكفارون:

يسأل الله عز وجل الكافر يوم القيامة محاسبة إياه، فينصل الكافر من كفره ومن ذنوبه. يقول الله تعالى: (وَوَمَّنْ تَعَمَّرُواْ بِالَّذِي نَزَّلْنَاهُ وَمَنْ نَزَّلَ عَلَيْهِمْ مَا كَانَ شَرَّاً فَلَوْلَا أَنفَقُوْاْ عَلَى أَمْرِهِمْ أَوْ أَن فيْضُوْاْ عَلَى أَمْرِهِمْ) (النور: 24). ويقول تعالى: (وَوَمَنْ تَعَمَّرَ بِالَّذِي نَزَّلْنَاهُ وَاتَّخَذَ مَنْ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَمْرِهِ خَيْرًا بَلْ يُؤْدِيْنَا إِلَيْهِمْ) (النور: 24).

ولم تكن مشكلةً في حسابه، فقيل له: أرأيت لو كان لك مثل الأرض ذاته، أكنت تفتيدي به؟ فيقول نعم. فقيل له: قد سنلت ما هو أيسر من ذلك (3) والذي طلب الله من الكافر هو أن يوحده ولا يشرك به شيئا يقول ابن حجر: (فرائد الحديث) أردت منك حين أخذت الميثاق، فأبنت - إذ أخرجتك إلى الدنيا - إلا الشرك. ويعتبر أن يكون المراد بالإرادة هنا الطلاب، والمفهوم أمرتك لفم نفعل، لأنه سبحة وتعالى لا يكون في ملكه إلا ما يريد (4). وروى البخاري بسنده عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «سيجاء باليوم القيام بالكافر يوم القيامة. فقال له: أرأيت لو كان لك مثل الأرض ذاته، أكنت تفتيدي به؟ فيقول نعم. فقيل له: قد سنلت ما هو أيسر من ذلك (3) الذي طلب الله من الكافر هو أن يوحده ولا يشرك به شيئا يقول ابن حجر: (فرائد الحديث) أردت منك حين أخذت الميثاق، فأبنت - إذ أخرجتك إلى الدنيا - إلا الشرك. ويعتبر أن يكون المراد بالإرادة هنا الطلاب، والمفهوم أمرتك لفم نفعل، لأنه سبحة وتعالى لا يكون في ملكه إلا ما يريد» (4).

(1) صحيح البخاري ج 1 ص 66.
(2) انظر فتح الباري ج 8 ص 272، 276.
(3) فتح الباري ج 11 ص 339، 340.
(4) نفسه ص 340.
صمتت؟ فيقول جمعته وثمرةه وتركته أكثر ما كان، فارجعتي آتيك به كله. فقال له: أرني ما قدمت نبولة: ربك، جمعته فتركته أكثر ما كان، فارجعتي آتيك به كله. فإذا الله لم يقدم خيراً، نبضي به إلى النار (1). والبذج بفتح الباء هو ولد الضاة، وتشبيه ابن آدم بهذة كناية عن صغره وذلته وحقارته بين يدي ربك العزة، وقول ابن آدم: فارجعتي آتيك به كله، موافق لقوله تعالى: فإنني إذا جاءته أحدهم أسوأهم الموت قال ربي أرجون (2). لعلني أعمل صليحاً فيما تزخت كلاً إنها كميتة هو قائلها ومن داؤكم برزغ إلي فخور يومئذ (المؤمنون: 99-100)؛ وبعد أن يسأله الله عز وجل يجده عبدًا لم يقم خيراً فيمضي به إلى النار (3).

وروى الترمذي بسنده عن أبي سعید قال: قال رسول الله ﷺ: يؤمن بالعدّ يوم القيامة، فيقول له: ألم أجلك لسمرة وبصرًا ومألاً ولدًا، وسخرت لك الأسماء والحرث، وتركتك نراة وتربيع، فكن تظن أنك ملاقى بومك هذا؟ فيقول له: ل. فيقول له: البوم أنساك كما نستنثي (3). وهذا الحديث لقوله تعالى: (فأليكم أنتله) [الأعراف: 51]. وممنى دوتركك نراة وتربيع، أي نراة قومك وتكون رئيسا عليهم، وتربيع أي تأخذ ربيع الغنم، وكانت العادة أن الأمراء يأخذون من الغنم الربع، ويمسونه المراعب، وكان ذلك في الجاهلية (4).

من يدخلون الجنة بغير حساب:

لقد ذكر الله تعالى الحساب في القرآن الكريم على نحو ما ذكرنا، وجاءت الأحاديث بذلك، وجاء في كتاب السنة أحاديث تفيد أن كثيرًا من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب، وعلى هذا فالناس يوم القيامة الثلاث فرق، فرقة

(1) تفسير الأحوزي ج. 7 ص 113 أ 141.
(2) تفسير الأحوزي شرح جامع الترمذي ج. 7 ص 114، 115.
(3) نفسه ج. 7 ص 115.
(4) انظر تفسير الأحوزي ج. 7 ص 115، والذكرى ج. 1 ص 342، 343.
حساب حسابًا بسيطًا، وفرقة لا حساب أصلاً، وفرقة حسابًا عسيرًا، منهم المؤمن والكافر (1) وقد تحدثنا عن حساب المؤمنين والكافرين، ونتحدث هنا عن الذين يدخلون الجنة بغير حساب.


وروى البخاري بسنده عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ: "يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً، أو سبعمائة ألف - شكل في أحدهما - متماسكين، أخذ بعضهم بعض، حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة، ووجودهم على ضوء القمر ليلة القدر" (3).

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً زمرة واحدة منهم على صورة القمر" (4). وهذه الأحاديث تدل على دخول طائفة من أمية محمد ﷺ الجنة بغير حساب، وتدل أيضًا على أن هناك وراء التقسيم المذكور في سورة الأحقاف أقسام أخرى من أمية محمد ﷺ تدخل الجنة بغير حساب، ولا يحاسبون أصلاً، والعدد المذكور في تلك الأحاديث مختلف حولًا، هل هو على ظاهره، أو أريد به مجرد التكبير؟

1( انظر التذكرة للقرطيبي ج 1 ص 343.
2( فتح البري ج 11 ص 342، 374.
3( فتح البري ج 11 ص 348، 349.
4( رواه مسلم ج 1 ص 111.
فذهب بعض العلماء إلى أن المعصوب العدد على ظاهره. وحجتهم في ذلك أن السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، قد ورد بهم الخبر من أكثر من طريق وذهب آخرون إلى أن العدد في الأحاديث مراد به التكبير، لأن هناك أحاديث أخرى تدل على الزيداء على العدد المذكور، منها ما رواه الترمذي بسنده عن أبي أمية أن رسول الله ﷺ قال: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمني سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا، وثلاث حشبات من حشيات ربي»(1).

يقول ابن حجر في التوفيق بين الرأيين: «إلا أول من يدخل الجنة هؤلاء السبعون الذين بالصفة المذكورة، ومتعن المعنى في قوله في الروايات الماضية مع كل ألف سبعون ألفًا أو مع كل واحد منهم سبعون ألفًا بحتم أن يدخلوا بدخولهم، بعضا لهم، وإن لم يكن لهم مثل أعمالهم، ويحتم أن يراد بالمعينة مجرد دخوله الجنة بغير حساب، وإن دخلوها في الزمرة الثانية أو ما بعدها، وهذا أولى»(2) ولا شك أن السبعين ألفًا - إذا استثنينا الأنباء - أفضل من غيرهم، من الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم، وحوسبوا حسابا بسيئا، ولعلهم من السابقين الأولين على الأهل(3).

والأحاديث التي وردت في دخول طائفة من أمة محمد ﷺ إلى الجنة بغير حساب تخص عموم الحريث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي بزة «لا تزول قدم ما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسه فيما أبلاء، وعن عمله فيما عمله، وعن ماله من أين اكتسبه؟»، لهذا الحديث عام وهو مخصص بين يدخل الجنة بغير حساب.

بقول ابن حجر: «في سياق حديث أبي بزة إشارة إلى الخصوص، وذلك أنه ليس كل أحد عنه علم يسأل عنه، وكذا المال فهو مخصوص بنين له علم ومعنين له مال؛ دون من لا.

(1) تحقّف الأحاديث ج 129، وانظر فتح الباري ج 11 ص 346.
(2) فتح الباري ج 11 ص 348.
(3) فتح النعم شرح صحيح مسلم ج 3 ص 261 - الدكتور موسى لاشين - الطبعة الثانية - دار التراث العربي.
الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية

مال له ومن لا علم له، وأما السؤال عن الجسد، والعمر فنعلم ويخص من المسؤولين من ذكر - أي من يدخل الجنة بغير حساب، ومن يدخل النار، بغير حساب - (1).

ثانيًا: الحساب عند النصارى

يعتقد النصارى في الحساب والجزاء لكل البشر ويطلقون على موقف البشر للحساب والجزاء الدينونة. ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة دان - دينونا ما نصه: "تطلق هذه الكلمات على حكم الله على الناس بحسب أعمالهم" (1). وقد أعطيت الدينونة للرب يسوع المسيح فهو الديان الذي يقف أمامه جميع البشر لكي يعطوا حسابًا عن أعمالهم في الجسد خيرًا كانت أم شرًا (2). وهذه الدينونة عامة وشاملة (3) وحكم هذه الدينونة نهائيا ولا يقبل النقض ولا الاستئناض وبموجب هذا الحكم يدخل الأبرار إلى أمجاد ملكوت المسيح وأفراحها. ويهدي الأشرار إلى الظلمة الخارجية والبأس الأبدي (4).

تولي المسيح الحساب:

يعتقد النصارى أن المسيح هو الذي يتولى الحساب والجزاء. ورد في علم اللاهوت النظامي أن المسيح هو الديان كما قال الآب. لا يدين أحدا بل قد أعطى كل الدينونة للايبن (5). وقال بطرس: "المسيح هو المعين من الله يدينا للاحياء والأموات" (6)

وقال بولس: "إن الله قد أقام يومًا هو فيه مزعم أن يدين المسكونة بالعدل، برجل قد عينه "

(1) فتح الباري ج 11 ص 349 بتصرف.
(2) متى: 110، متى: 26/12، أعمال الرسل: 17/66، وعبرانيين 6/27، رسالة بطرس الثانية 9/2، 1/3.
(3) متى: 26، 32، 36، 44/6، يوحنا: 22/17، أعمال الرسل 31/17، وجد: 2/9، كورنتوس الثانية 10/5.
(4) يوحنا 5: 28/28، رومية 4: 22، وكورنتوس الثانية 5: 10، رومية 13/12/20، يوحنا 3/22.
(5) قاموس الكتاب المقدس ص 382.
(6) يوحنا 5: 22/33 إلى 27.
(7) أعمال الرسل 34/44.
مقدماً للجميع إيماناً، إذ أثمنهم من الأموت» (1) والنص يشير إلى أن الله قد عين يومًا للحساب، قد عين الله له رجلًا ليدين المسكونة أي الأرض كلها بالعدل.

ونلاحظ أن علم اللاهوت يطلق على مهمة الديان بأنها رجل. وستلاحظ أن هنا تناقضًا صريحاً في كون المسيح ديانًا. ورد في إنجيل يوحننا لأنه كما أن الآب يقيم الأموت ويحيي، وكذلك الأبناء أيضًا يحيي من يشع، لأن الآب لا يديم أحدًا، بل قد أعطى كل الدينونة للابن» (2) ورد في نفس الإنجيل لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الأبناء أيضًا أن تكون لهم حياة في ذاته، وأعطا سلطانًا أن يديم أيضًا لأنه ابن الإنسان» (3). هذان الالتباسين اللذان يثبت أن المسيح هو الذي يتولى الحساب يتناقض مع نص ثالث في إنجيل يوحننا أما أنا أنا فرست أدين أحدًا، وإن كنت أدمن فدينوني حق، لأمي لست وحدي، بل أنا والآب الذي أرسلني» (4). وكما نرى فإن النص الأول ينفي عن الآب الدينونة لأحد، ولكن المسيح وحده هو الذي يديم؛ لأن الآب أعطى كل الدينونة للابن والنص الثاني يقرر ما ذكره النص الأول.

أما النص الثالث فينفي في بدايته الدينونة عن المسيح، ثم بعد ذلك يثبتها له، ولكن يديم مع الآب الذي أرسله. وهذا تناقض واضح وصريحة بين نصين في إنجيل واحد، ويحاول القديس توما اللاهوتي أن يحل التعارض بين نسبة الدينونة للمسيح ونفيها عنه تارة أخرى، يقول فإن وظيفة الدينونة وإن نسبت للثالوث الأندس إلا أنها تنسب للابن بوجه أخص، وذلك لأن الدينونة لكي يكون قضاها عادلاً لا بد لها من ثلاثة أمور: أولها السلطان، ثانيها الاستقامة، ثالثها الحكمة، وعن الحكمة على وجه الخصوص يصدر فعل الحكم، ولأن الآب هو حكمة الآب فمن ثم ينسب للابن سلطان الحكم نسبة خصوصية» (5) والنص يثبت أن المسيح لكونه استجمع خصائصًا ليست

---

(1) علم اللاهوت النظامي ص 1205.
(2) يوحننا 21: 27، 28/27.
(3) يوحننا 21: 22.
(4) يوحننا 16: 18.
(5) نقدًا عن علم اللاهوت لميخائيل مينا ص 146 - 47.
الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية

عند غيره وخاصة الحكم فهو الذي يدين الناس يوم القيامة. ومعنى هذا النص أن المسيح عنده من الحكمة أكثر من الآب. ولذلك أخذ سلطان الحكم. وسيكون أكثر عطفا ورحمة من الله على الخلق يوم القيامة. هكذا يقول النصارى "إذا اتحاد الأقونين الثاني تبارك اسمه بطبعة الإنسان مع كونه ابن الله الأولي يوهله لأن يكون دينا للبشر، كما أن اختيار ضعفتهم مما يملأ قلوبهم ثقة واطمئناناً بأن دينونهم سوف تكون في أقصى حدود العطف والرحمة" (1) وهذا يتناقض مع ما ورد في نص إنجيل يوحنا، والذي فيه أن المسيح يقول: "لست أديم أحداً، وقول: "إن كنت أديم مع أبي"، ويتناقض مع ما ورد في رسالة بولس إلى رومية "في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس" (2).

الحساب لكل البشر:

يعتقد النصارى أن الحساب لكل البشر ورد في علم اللاهوت النظامي، أما الذين يقومون في الدين فمنهم كل أفراد الجنس البشرى بلا استثناء، وليس كما زعم بعض المبتدعين في أوائل الديانة المسيحية أن الصالحين وحدهم هم الذين يقومون في يوم الدين لينالوا جزاء طويانية أجدادهم، ويفيد زعم من قال إن ذلك ما ورد من أن الحساب سيكون بصورة عامة ونست خاصة، بل تشمل الجميع شرارة كانوا أم أخيرا، هؤلاء للحياة الدائمة سعادتها، وأوائل للدينونة المؤدية تعاستها.

أما قول صاحب المزمور: "إن الأشاعر لا يقومون في الدين، فمعناه أنهم لا يقومون قيامة الحياة، لكونهم لم يملأوا الصديقين بالإحادة عن الشر واصطناع الخير الناتج من قبلهما هذه السعادة، فهم يقومون للمحاكمة والدينونة، لا للمكافأة والمكافأة".

** ** **

(1) نسخة ص 146
(2) رسالة بولس إلى رومية 2-16.
أقسام البشر عند الحساب:

يعتقد النصارى أن البشر طبقات يوم الحساب. يقول القديس غريغوري الكبير: "إن البشر في القيامة على أربعة أقسام - وندعي هذه الأقسام: طبقات القائمين في ذلك اليوم من الأبرار والأشرار - فالطبقا الأولى: طبقة الذين يدنون ولا يدانون - والطبقة الثانية: طبقة الذين يدانون ويخلصون. والطبقة الثالثة: الذين يدانون ويهلكون. والطبقة الرابعة: طبقة الذين لا يدانون ويهلكون. ويشرح ميخائيل مينا حقيقة كل طبقة، فالطبقة الأولى هم كبار القديسين كارس بول وهم الذين يختص بهم قول المسيح. فمثلي جلس ابن الإنسان على كرسي مجدته تجلسون أيها أيضًا على اثني عشر كرسيًا وتدينون أسباط إسرائيل الاثنين عشر. والطبقة الثانية يبين حقائقهم ميخائيل مينا نقله: "هم الذين غسلوا ثيابهم التي تدنست بالخطايا بدم حمل الله الذي بلا عيب، ورخصوها بدموع النوبة الحارة، فأصلحوا نسائم أعمالهم بأفعالهم الصحيحة ولا سببا أعمال الرحمة فظفروا برحمة الله" (1). وأصحاب الطبقة الثالثة هم المؤمنون الخطاة، الذين دنسوا قداسة إيمانهم برجاء أعمالهم أولئك الذين يقولون بأنهم يعرفون الله، وهم بمقتضى أعمالهم يكافرون. وأصحاب الطبقة الرابعة هم الذين لم يؤمنوا، كالوثنيين، فنقول لا يحتاجون إلى دينونة وحساب، يظهر به حق هلاكهم، موسوم في جهائمهم، بسبيع عدم الإيمان وقبولهم ناموس الرب. (1)

ولاحظ أن هناك شبه اتفاق بين هذه الطبقات يوم الحساب في التصور الإسلامي والتصور النصارى، إذا استثنانا الطبقة الأولى، الذين يعتقد النصارى أنهم يخسرون ولم يخسرون، لأن القرآن الكريم والسنة النبوية ينفيان عن أي أحد القيام بمحاسبة الخلق يوم القيامة؛ لأن حساب الناس يوم القيامة يختص بالله وحده، الذي خلقهم ورزقهم وأماتهم وأحياهم، ثم يحاسبهم ويجازيهم. أما الطبقة الثانية عند النصارى وهم الذين يدانون ويخلصون فهم من يحاسب
الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية

حسابًا يسيرًا. والمطبقة الثالثة، وهم الذين يحاسبون يهلكون، فهم كمن يحاسب حسابًا عسيرًا، ويدخلون النار من المؤمنين والكافرون. وأما الطبقة الرابعة، وهم الذين لا يدانون يهلكون، وهم الكفار، فهم كالذين قال الله عنهم في القرآن الكريم:

(وَيَفْرَحُ الْمَجْرَمُينَ رَيْسَهُمُ الْمُكَذَّبُونَ بِالْوُصُولِ وَالْأَقْلَامِ) [الرحلة: 41].

وإن القول بأن المسيح هو الدّيّان قال به البطريركة والبطارية والمطارةة والأساقفة في بلد قسطنطينة، بمحضر من ملكهم، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً (1) وجاء في اتفاقهم أن المسيح وُلد من مريم البنت، وسببت أيام بيلانس، وذُنف ثم قام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن بعين أبيه، وهو مستعد للملجى، نارة أخرى، للقضاء بين الأموم والأحياء (2). ومن عجيب الأمر أن القس إبراهيم لوقا يستبدل على أن المسيح هو الدّيّان يقوم بما رواه الإمام البخاري في صحيحه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (وَالذِّي نُفِسَ بِهِ، لَيَوْضَكَ أن يَنْزِلْ فِيكُمْ أَبِنُ مُرْيَمَ حَكَمًا مَقْسَطًا، فِي كَسْبِ الصَّلَبِ، وَيَقْتُلُ الْمَّنْزِبِ، وَيَقْتُلُ الْمَنْيِ، وَيُسْبِعُ الْمَالَ وَيَعْمَنَهُ، وَيَقْتَلُ الْمَنْيِ، وَيَنَادِيَ الْمَتَّى كَانَ مَتْ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ) (3) حتى لا يقبله أحدٌ.

يقول القس: روى البخاري قال: (لا تقوم الساعة حتى بنزل فيكم ابن مريم حكماً مقصستاً). ويلعّب الناس على الحديث بقوله: فهذا الحديث ناطق بأن المسيح سبحانه وتعالى دينانًا عادلاً، وهذا ما يعلمه الوحى الإلهي في الإنجيل المقدس. قال المسيح ، فإن الأب لا يدين، بل أعطي كل الدينونة للايم (4) وفي ختام سفر الرؤيا (وَهَمَا أَنَا آتِيْ سَرَيْعًا وَأَجَرِنِي مَعِيْ، لأَجَازِي كَلْ وَاحِدٍ كَامَّا بِكَانَ عَمْلَهُ) (5).

وستنتج من حديث البخاري أن الإسلاَم كَمَا يَرَى في الحديث السابق قد تكلم عن

(1) الملل والنحل للشèreناتي ج 2 ص 26 بهامش الفصل.
(2) نفسه وانظر هدایة الخیاری في أجوبة اليهود والنصاری لابن القيم ص 168.
(3) رواة الإمام البخاري ج 4 ص 267، ومسلم ج 1 ص 135.
(4) يوحنا: 26 / 13.
(5) يوحنا: 26 / 13.
المسح كدبان عادل رهيب، فصادق بذلك على صحة المعتقد المسيحي فيه، ووافق قول الإنجيل الظاهر، ويستنتج القس من حديث البخاري الدلالة على لاهوت المحسي، فيقول "فالإسلام قد نسب للمسح هذا الحق، فهما هو إلا شهادة منه على صدق العقيدة المسيحية عن لاهوت المسيح". ومع وضوح بطلان هذا الاستنتاج وكون الحديث هادئًا لعقيدة النصارى أصلًا، فإننا سوف نناقش القس فيما ذهب إليه عند التحقيق على الحساب بين الإسلام والتصرانية واليهودية مناقشة مفصلة.

ثالثًا: الحساب عند اليهود

ورد في سفر الجامعة: "أناح أبها الشاب في حداثتي، ولبحث قلب في أيام شباب واحد في طريق قلب وسرار عيني، واعمل أن على هذين الأمور كلها يأتي بكم إلى الدينونة، فانزع الفنم قلبك، وأبعد الشر عن لحمك لأن الحداثة والشباب باطلان". وورد فيها: "قلت نصع ختم الأمر كله، اتق الله، واحتف وصاياء، لأن هذا هو الإنسان كله؛ لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خطي وإن كان خيازًا أو شرًا". وعلماء اليهود يقررون أن الله هو الديان والمحاسب يوم القيامة. ورد في التلمود ما نصه: "إن كل مقصيرة يرتبطها الإنسان في العادات توجد شيئانًا بصعد أمام كرسي الدين ويهتف دائمًا: أنا خلقت من مقصيرة فلان ابن فلان، ارتقبها في اليوم الثاني".

وكم في بسق من الحديث عن البحث عند اليهود، فهناك نص في سفر التنبيئة من التورة العربية يشير إلى أن الله هو المجازري، ولكن مخالف حوله، هل الجزاء في الدنيا أم في الآخرة، ولقد رجعنا ما رأينا هناك.

ولكن التورة السامرية فيها نص صريح على أن الله هو الذي يتولى الحساب.

---
(1) المسيحية في الإسلام - السياج إبراهيم لوقا ص 147 - الطبعة الثانية دار النشر القبطية.
(2) نفسه ص 147.
(4) نفسه ص 147.
(5) التلمود أصله وتسعله وأدابه.
(6) ارتفع ص 145، وما بعدها من هذا البحث.
والجزاء وهذا النص هو: "ليس هو مجموعًا عندي في خزائي إلى يوم الانتقام والمكافأة وقت نزل أقدامهم، إذ قريب يوم تعميمهم، وسرع المستضعدين إليهم، إذ يدين الله وعن عبده بصفح (1)".

وبعلق اليهود على النص السابق بقولهم: إن قوله: "إلى يوم الانتقام والمكافأة" بدلت بوضوح وصراحة على قيامة الناس من القبور لقاء الله، فيجريهم على أعمالهم في الحياة الآخرة (2).

وأهمية العذر عن عدم عثر على نصوص كافية عن تفصيلات الآخرة بوجه عام - ومن ضمنها الحساب - في المصادر اليهودية المتاحة.

**تعمق على الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية:**

بعد استعراض النصوص الدالة على الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية.

**تيبين أن:**

أولاً: يقرر القرآن الكريم أن الله هو الذي يتولى الحساب والجزاء يوم القيامة وأن الله سريع الحساب، كما يرزق الخلق جميعًا في وقت واحد يحاسبهم في وقت واحد، وأن حساب الله للإنسان يتم على أساس ما هو مسطور في كتاب الإنسان من قول أو فعل أما ما يهم به الإنسان من السوء فإن الله لا يحاسبه عليه، بل يثيبه إذا لم يترجها هذا الهم السيء إلى فعل.

ثانيًا: ينفي القرآن الكريم عن الرسول حسابه لأحد من الناس يوم القيامة، إذ لا سلطان على الخلق إلى الله.

ثالثًا: أن القرآن الكريم أشار إلى بعض أصناف الناس حين الحساب، فمن الناس من يحاسب حسابًا بسيئًا، ومنهم من يحاسب حسابًا عسيراً، وبقية الأصناف تحدثت عنها السنة النبوية، فبينت أن هناك أئمة يدخلون الجنة.

---

(1) سفر الثامن من التوراة السامرة 36/34
(2) التوراة السامرة ص 393/392 تحقق الدكتور أحمد حجازي السفأ.
بغير حساب، وأن أعمالهم في الدنيا هي التي جعلتهم يستحقون فضل الله،
وتميزون عن بقية الخلق بدخول الجنة بغير حساب.

رابعًا: أثناء عرضنا للحساب عند النصارى يبين لنا أن تصرُّفهم للحساب يوم القيامة يتفق مع التصور الإسلامي في بعض النقاط، ويتكلّف في البعض الآخر، فتفق التصور النسائي مع التصور الإسلامي في أن جميع البشر سيقعون أمام الله ساعة الحساب، ويتفقان أيضًا في الذين يحاصرون ويُجروُّون،
وفي الذين يُجروُّون في هَلْكُونَ، وفي الذين يدخلون النار بغير حساب.

ولكن التصور الإسلامي يختلف تمامًا مع التصور النسائي فين ضاحكون الخلق يوم القيامة، فيننسر القرآن الكريم الحساب عن أي مخلوق مع الله يوم القيامة - يعتقد النصارى أن المسيح هو الذي يتولى الحساب لحكمته وعظمته. ولا يكثرون بذلك بل يجعلون تلاميذ المسيح الاثني عشر يجلسون معهم ليبدئوا أسباط بنى إسرائيل الاثني عشر. وما ذهب إليه النصارى يتعارض مع نصوصهم، كما رأينا في نصوص إنجيل يوحننا التي تثبت الحساب تارة للمسيح وحده، وثانية تثبت أن الأبو إنجيل يوحننا التي تثبت الحساب تارة للمسيح وحده، وثانية تثبت أن يسوع كونه دُجَّلًا، وثانية ثبته أنه يدين مع الآب. وثالثة تثبت أنه يدين مع التلاميذ، وثالثة خامسة ثبته بولس أن الله هو الذي يدين فقط ونهاية الاضطراب مرجع له في ظنٍ يرجع إلى أمرين: الأول: التحريف الذي لحق بالإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام. الثاني: اعتقاد النصارى في ألوهية المسيح وبنوته لله مع ما في ذلك من الاضطراب.

خامساً: خطأ ما ذهب إليه القس إبراهيم لوقا، من استشهاده بالسنة على كون المسيح هو الذي سمحا الناس في الآخرة، والحديث الذي استدل به القس حجة على النصارى لا لهم، ونص الحديث الذي حرفه القس هو الذي نفيه بيدنا ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً فيكسر الصليب.
ويقتل الخنجر، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبل أحدٌ.
والقسم المذكور قد استدل بفقرة واحدة من الحديث، واستنبط منها أن المسيح هو الذي سيدي الناس يوم القيامة، مع أن ذلك الحكم الذي سيعطيه الله للمسيح سيكون في الدنيا لا الآخرة. ونحن نعتقد أن المسيح سينزل في آخر الزمان لديد الخارجين عن الإسلام، وبحكم بشريعة محمد، ويقضي على كل مظاهر اليوثانية التي من بينها تقديس الصليب الذي يعطمه النصارى. والحديث صريحاً في كسر ذلك الصليب الذي يقول عنه القسم المذكور إن المسيحية منذ نشأتها كانت ولا تزال كفائن المئة لا ترى في الصليب ما يدعو إلى الخجل، بل على العكس كانت ترى فيه موضع الانتهاز، ولذلك اتخذته شعاراً وعلامة لها.
ولو أن القسم المذكور عرض حديث البخاري وناقش ما فيه، لكان له عذر. أما أن يجد الحديث صريحاً في هدم أهم معتقدات النصارى، ثم يحرف الكلام عن موضعيه - ليستدل على أن الحديث فيه دالة على اعتقاد النصارى في أن هو الذي يحاسب الناس ويجازيهما في الآخرة -، فهذه مخالفته لأبسط قواعد البحث العلمي والأمانة العلمية.

سادساً: إن الإشارات التي ذكرت في العهد القديم يستدله منها على أن الله هو الذي يتولى الحساب والجزاء، وهذا ما يتفق مع التصور الإسلامي، ولكن الإشارات التي وردت عن الحساب في العهد القديم عابرة، ولا تعطي صورة تفصيلية عن الحساب وطبقات الناس، كما في الإسلام أو في النصرانية.

***

(1) صحيح البخاري ج 2 ص 27 وسالم ج 1 ص 135.
(2) المسيحية في الإسلام ص 217.
المبحث الثامن

الصراط في التصور الإسلامي

الصراط لغة: الطريق الواضح، مأخوذ من صرطه يصرطه إذ ابتلعه، لأنه يتلع العارة. (1)

وفي الشرع: جسر مسجد على متن جهنم برده الأولون والأخرون. (2)

والصراط ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

أولاً: القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: [فسألوا الصراط فإنه يُ hiểmكم] [بَس: 26].

ويقول الله تعالى: [وَأَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّمَا يَتَقَلَّبُونَ فُؤُودًا وَأَيْمَانًا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَنَّانًا مَّعَٰفًى] [مرام: 71].

وفي قول تعالى: [وَأَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّمَا يَتَقَلَّبُونَ فُؤُودًا وَأَيْمَانًا] [مرام: 71، مارلم: 71] قال: "الصراط على جهنم مثل جد السيف. (3)

ويقول صاحب المقامات "وبشبة أن يكون المرور عليه أي الصراط هو الممرود. يورود كل أحد النار في قوله تعالى: [وَأَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّمَا يَتَقَلَّبُونَ فُؤُودًا وَأَيْمَانًا] [مرام: 71، مارلم: 71]. (4)

***

(1) غُلَفَةُ المريد شرُح جوهرة التوحيد ص 226.
(2) نفسه.
(3) التذكرة للقرطبي ج 2 ص 104.
(4) ابن كثير ج 3 ص 132، وأبو السعود ج 3 ص 438.
(5) وانظر المقاصد للسعد ج 2 ص 164.
ثانيًا: السنة النبوية

روى الإمام البخاري، بسنده عن أبي هريرة، حديثًا جاء فيه أن رسول الله ﷺ قال: "فيضرب السراط بين ظهراني جهنم، فاؤكون أول من يجوز من الرسول بأمه، ولا يتكلم يومنه أحد إلا الرسول، وكلام الرسول يومنه الله سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان. هل رأيت شوك السعدان؟" قالوا: نعم. قال: "فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يويق بعمله، ومنهم من يخرد ثم ينجو.

ووهذا الحديث يبين أن أعصاة المؤمنين يسقطون في النار، ولا خلاف بين العلماء في سقوط من لم تشملهم رحمة الله من مرتكبي الكبائر. الله ﻻ ما قيل عن غلالة المرجة، من أنه لا يشرب مع الإيمان شيء، وأنه لا يدخل النار أحد من الموحدين. وهو قول واضح البطلان.

روى الشيخان، بسندهما عن أبي داود الخدري، حديثًا طويلًا جاء فيه: "هنم يؤتي بالجرس فيجعل بين ظهري جهنم، قالنا: يا رسول الله، وما الجهش؟ قال: مدحضة مرتلّة عليه خطاطيّة وكلاليب وحِسة مفتوحة، لها شوكة عقيفية تكون بنجد بقال لها السعدان، المؤمن على كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكاجاخيد الخيل والركاب، فناج مسلم، ونافع مدخوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب صحبًا، فما أنتم بأشد لي مناهشة في الحق، قد تبين لكم من المؤمن يومنه للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويمارون معنا. فقول الله تعالى: "اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مشقاق دينار من إيمان فأخرجوه...

الحديث.

(1) صحيح البخاري ج 4 ص 146
(2) فتح المعمم شرح صحيح مسلم ج 2 ص 495
(3) صحيح البخاري ج 4 ص 285-286، وانظر صحيح مسلم ج 1 ص 127، 128، 129، 130 واللظ المبخاري.
ثالثًا: الإجماع:
والصراط أجمعت عليه الأمة. يقول صاحب الجوهرة: "انتفت الكلمة عليه في الجملة، أي بقطع النظر على إيفاته على ظاهره كما هو مذهب أهل السنة" (1). رأى المعتزلة في الصراط:
يتتهم صاحب المقاصد المعتزلة بوجه عام والقاضي "عبد الجبار" بوجه خاص أنه ينكر الصراط. يقول "السعد". "وأنكر القاضي عبد الجبار وكثير من المعتزلة، زعمًا منهم أنه لا يمكن الخطو عليه، ولو أمكن ففي تعذيب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة" (2).
والحق أن ما ذهب إليه صاحب المقاصد فيه تجاوز للحقيقة، لأن القاضي عبد الجبار يثبت الصراط، ويعترض عليه ما ذهب إليه بعض مشايخ المعتزلة من أنه عبارة عن الأدلة الدالة على الطاعات. يقول القاضي عبد الجبار: "من جملة ما يجب الإقرار به واعتقاده الصراط، وهو طريق بين الجنة والنار، يتبع على أهل الجنة، ويضيق على أهل النار إذا راموا المرور عليه. وقد ذل عليه القرآن الكريم قال الله تعالى:
"أُحِدِّثْتُ الْمَسْتَمْهَلِينَ َصِرَّاَطَ الَّذِينَ أُعْلِمُتْ عَلَيْهِمْ" [الپحامة: 39]. (3) وعرض القاضي عبد الجبار رأى بعض مشايخ المعتزلة في الصراط ولا يقرون عليه. يقول: "وقد حكي الكتاب عن كثير من مشايخنا أن الصراط إنما هو الأدلة الدالة على هذه الطاعات التي من نمسك بها نجا وأقضى إلى الجنة، والأدلة الدالة على المعاصي التي من ارتكبها هلك واستحق من الله تعالى النار. وذلك ما لا وجه له، لأن فيه حملًا لكلم الله تعالى على ما ليس بقضية ظاهره، وقد كرنا القول في أن كلام الله تعالى
(1) لغة الإبدل شرح جوهرة التوحيد ص 272، ونظير الأصول الحسنة للقاضي عبد المجر ص 737، 738، ونظر القاصد للسعود ج 2 ص 164، ونظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص 339، 340.
(2) المقاصد للسعود ج 2 ص 164.
(3) ونظر الأصول الحسنة للقاضي عبد الجبار ص 727.
مهما أمكن حمله على حقيقته فذلك هو الواجب دون أن يصرف عنه إلى المجاز، (1).

هذا هو رأي القاضي عبد الحجّار في الصراط. رأينا كيف أنه يثبته ويأخذ على بعض مشايخ المعتزلة تأويله. وهذا ما دعنا إلى أن نقول إن صاحب المقاصد كان متجاورًا للحقيقة حينما زعم أن القاضي عبد الحجّار ينكر الصراط.

* * *

(1) انظر الأصول الخمسة للقاضي عبد الحجّار ص 738.
الميزان في التصور الإسلامي

من مشاهد يرمي القيادة الميزان، ويكون بعد الحساب يقول القرطبي في التذكرة: قال العلماء إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فيكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدر الأعمال والوزن لإظهار مقدارها، لكون الجزاء بحسبها. قال الله تعالى: ﴿وضع الميزان آمنًا يطير الفقيه فلا تسكن نسًّا شيتًا﴾ [الأنبياء: 47].

والميزان ثابت بالكتاب والسنة والإجماع. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ورُزقٌ يوحي أهل الحق فستقف موزينين فأولاهما هم المفتيون ومن خفّت موزينين فأولاهما الذين خسروا أنفسهم بما كانوا يكتحلون يتقلون﴾ [الأعراف: 8-9].

وقول الرسول ﷺ فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي مالك الأشعري قال:
قال رسول الله ﷺ: "الظهور شتر الإيمان، والحمد لله تملا الميزان" (1) يقول السعد:
ذهب كثير من المفسرين إلى أنه ميزان له كفتان وسنان وساقان، عملا بالحقيقة لإمكاناتها،
وقد ورد في الحديث تفسيره بذلك (2).


(1) التذكرة للقرطبي ج2 ص373.
(2) رواه الإمام مسلم ج1 ص3-4.
(3) المقداد للمسعد ج2 ص164.
المحققين عن النبي ﷺ أنه قال: "كلمنا خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان". والميزان كما يقول الإمام الغزالي حق، وقد دلت عليه قواعط السمع، وهو ممكن فوجب التصديق به.

والقاضي عبد الجبار من المعتزلة يشدد الميزان، ويرد على ما يذهب إلى المقصود بالميزان العدل. يقول: "أما وضع الموازين فقد صرح الله تعالى به في محكم كتابه، قال الله تعالى: (فَسَيُؤْذِنُونَ لِلَّذِينَ يَكْفَرُونَ بِمَلَائِكَةِنَا وَكَلَامِنَا فَخَافُوا مَا يُزَيْدُونَهُمُ الْمَلَأُ الْعَزُومُ) [المؤمنون: 102]

ويقول: لم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول من المتعارف فيما بيننا دون العدل وغيره، على ما يقوله بعض الناس، لأن الميزان وإن ورد بمعنى العدل في قوله تعالى: (وَأَنَّ لَا مُعَلِّمَ إِلَّا الْكِتَابَ وَالْمَيْلَانَ) [الحديد: 20]. فذلك على طريق التوسعة والمجاز، وكلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجازات. ويرد بذلك القاضي عبد الجبار على بعض علماء المعتزلة الذين ذهبوا إلى أن الأعمال أعراض لا يمكن وزنها، فكيف إذا زالت وتلاشت، بل العرادة العدل الثابت في كل شيء.

وإذا كان الأمر على ما ذهب إليه هؤلاء المعتزلة من أن الميزان المقصود به العدل، لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنياً فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشتمل عليه الموازين فيما بيننا (5). يقول ابن حزم: "تقسم على أن الموازين توضع يوم القيامة لوزن أعمال العبادة".

وقد وردت آيات في القرآن الكريم بصيغة الجمع للميزان يوم القيامة وأيات أخرى بالإفراد، ولا تعارض في ذلك؛ لأنه من الممكن أن يقال: إن لكل عاقل

(1) فتاوى ابن تيمية الكبرى ج4 ص324
(2) الاقتصاد في الأععقاد ص182 183
(3) الأصول الحسنة ص 735 بتصريحة
(4) انظر المقاصد ج4 ص164
(5) الأصول الحسنة ص735
(6) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج4 ص54
موازين بوزن بكل منها صنيف من عمله. وجاء القرآن الكريم بالوزن تارة في قوله تعالى: "وَالْوَزْنَ يُوْمَ الْقِيَّمَةِ [الأعراف: 8]" وبال موازين تارة في قوله تعالى: "وَمَا أَضْعَفْتُ الْمَوْزُونَ الْعَقِيلَ الْأَقْيَامَ [الأنياب: 47]" وقيل: لحفظ الجمع للمتعظم، وإنما المهاد الكبير واحد إظهاراً لجلالة الأمر وعظمة المقام.

كيفية الميزان:
ذهب جمهور المفسرين إلى أن الموزون الكتب التي اشتملت على أعمال العباد، بناءً على أن الحسنات مميزة بكتاب والسيئات بآخر. وقيل بل تجعل الحسنات أجزاها نورانية والسيئات أجزاها ظلمانية.

وهناك بعض الأحاديث التي تبين أن الرجل بوزن عمله، وأخرى تفيد أن الحاسب نفسه هو الذي بوزن.

روى الإمام مسلم بنسده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "إنه ليأتي الرجل العظميم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جنحا بعوضة، أكرهوا إن شنتم ولئن تأتيهم فلأنهم يوم القيامة" [الكهف: 105].

روى الإمام أحمد بنسده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: "توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتي بالرجل في وضع في كفة في وضع ما أحصى عليه فتسلمه الميزان" قال: "فبعث به إلى النار" قال: "فأخذ به إذا صانع يصبح من عند الرحمن يقول: لا تجملوا فإنه قد بقي له، فيؤتي ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان"، ويعتقد ابن كثير على هذا الحديث بقوله: "فيه فائدة جليلة وهو أن العامل بوزن عمله".

(1) وانظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص 224.
(2) المقاصد للسعد ج 2 ص 164.
(3) نفسه، وانظر تحفة المريد ص 225.
(4) الحديث رواه الإمام مسلم ج 4 ص 214، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.
(5) رواه الإمام أحمد ج 2 ص 221، 222.
(6) نهاية في الفتن والملاحج ج 2 ص 24.
وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: "الطهور شطر الإيمان والمحمد لлемلا الميزان" ۱ فقوله: "الحمد لله نملا الميزان" فيه دلالة على أن الأعمال تجسد يوم القيامة، وتجلع ذاتاً يوضع في الميزان ۲.

ويمكن أن نجمع بين تلك الروايات بأن الموازين تنقل بالكتب. قال ابن عمر: "أنتوز صاحب الأعمال، وإذا فالصباح أجلمهم، فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتيين الأخرى دليل على كثرة أعماله بإدخالها الجنة" ۳.

ويكون وزن الكافر يوم القيامة على سبيل التحقيق له والذلة، لأنه لا يساوي شيءًا، وأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد الذي استنبط منه ابن كثير أن العاقل يوزن مع عمله فهذا خاص بأحد المؤمنين يوم القيامة إظهارًا لفضله ۴ إلا إنه إلا الله يوم القيامة عند الله.

من توزن أعمالهم يوم القيامة؟

الميزان يكون للمؤمنين والكافرين يوم القيامة، ويستثنى من المؤمنين من يدخلون الجنة بغير حساب. يقول القرطبي: "الميزان حق، ولا يكون في حق كل أحد بدلاً قوله عليه السلام: "فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أنتك من لا حساب عليه" ۵، ويتبعه من هذا أن الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا توزن لهم أعمالهم؛ لعلم الله عز وجل بصلاحيتهم ونclipse أعمالهم. أما ما جاء عن الكفار في قوله تعالى: "إِنَّكَ لَعَلَّيْكَ مِنَ الْعَلَّمَاتِ الْكِبَارِ، بَلْ مُكَلِّفُونَ فَلَنْ نَقْبِيمُ هُمْ وَلَمْ يُقْبِيمُنَّ" [الكهف: ۵۰۱]. فيقول ابن حزم بعد أن أورد الآية السابقة: "وليس هذا على أن لا توزن أعمالهم بل توزن، لكن أعمالهم شائلة، وموازينهم خفيف، فقد نص الله تعالى على ذلك إذ يقول: "وَخُفْتُ مَوْعِدَتِي أَوَّلِييْهَا أَقْضِمُوهُمْ فِي جَهَنَّمَ حَيْرَاً أُقْسِمُوهُمْ فِي جَهَنَّمَ حَيْرَاً" [المؤمنون: ۳۰۱] إلى..."

۱ رواه الإمام مسلم ج ۱ ص ۲۰۳.
۲ انظر النهاية في الفتن والملاحج ج ۲ ص ۲۶.
۳ التذكرة للقرطي ج ۲ ص ۵۷۷، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ۱۸۲.
۴ التذكرة للقرطي ج ۲ ص ۲۷۵.
وقوله (فَكُّذَّبُوهُمَا نَكْتَبَاهُمَا) (المومنون: 101). فأخبر عز وجل أن هؤلاء المكذبين بآيات خفت موازينهم، والمكذبين بآيات الله عز وجل كفار بلا شك» (1) والذي ذهب إليه ابن حزم هو الحق (وَمَنْ خَفَّتَ مَوَازِيَةُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنفُسَهُمْ) (الأعراف: 9) فهذا إخبار من الله تعالى بأن الكفار تخف موازينهم؛ لأنهم لا ثواب لهم، وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في موازين يوم القيامة، أي لا يفنعهم شيء في ميزانهم.

فائدة الميزان:

إن وزن الأعمال يوم القيامة بالنسبة للمؤمنين والكفار أن تجعل علامة لأهل السعادة إذا كانت موازينهم ثقيلة، وتكون علامة لأهل الشفاوة الذين خفت موازينهم. وفي الميزان تعريف للعباد بما لهم وما عليهم وإقامة للحجة عليهم وإظهار لعبد الله عز وجل يوم القيامة، وفيه بيان للملت للملت للناس يوم القيامة حين يتجاوز عن سيئاتهم ويدخلهم الجنة بفضله ورحمته.

والميزان له فائدة تتعلق بالملترين، وهذه الفائدة هي تنبيه المكلفين إلى أداء الواجبات وترك المنكرات، إذا علموا أن أعمالهم ستعرض عليه وتقضي على رؤوس الأشهد يوم القيامة (2).

وعد وجود الميزان والصراط في التصور النصراني واليهودي:

لم يتحدث العهد القديم وأيضاً العهد الجديد عن الميزان أو الصراط. وفي المصادر التي رجعت إليها لم أشعر على أي إشارة عن الميزان أو الصراط، لا عند اليهود (3)، ولا عند النصارى (4).

(1) الفضل لأبي حزم ج 4 ص 373، والذكرى ج 2 ص 373، ووقفة المريد 255.
(2) انظر الاقتصاد في الأعاق ص 182، والأصول الخمسة ص 736، ووقفة المريد ص 266.
(3) انظر على سبيل المثال: الأنعام والاعتقادات لمعينه الفيروزي. وانظر تفكيك الأبحاث في الملأ الثلاث وأناط التلمود تاريخه وتعاليمه وانظر السنن القومي في تفسير العهد القديم، وانظر التلمود تسليطه وأدابه.
(4) في لقاء للباحث مع الأبا غريغريوس - أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي...
ويبين القرافي ذلك بقوله: «ذكر التنبيه على أحوال الآخرة في شرعنا أكثر من التوراة والإنجيل حتى لم يذكر الله تعالى ذكر شيء في القرآن الكريم أكثر من ذكر البهت» (1).

يقول: «فلفلك لا نجد علم تفاصيل البهت والحشر والصراف والصرف وإن أحوال أهل الجنة والجحور وما يتفق في المحشر من الوقائع وما يكون في القبور قبل ذلك وما علم منه فإنه علم من أخبار هذه الأمة» (2).

* * *

= والأدلة القبطية أكد عدم وجود الميزان والصراف عند النصارى - انظر على سبيل المثال: قاموس الكتاب المقدس، علم اللاهوت النطامي، علم اللاهوت الكتابي، علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة الأرثوذكسية.

(1) الأجوبة الفاخرة ص 106 بهامش الفارق بين المخلوق والخالق.
(2) نفسه ص 108.
المبحث العاشر

الحوض في التصور الإسلامي

من الأشياء التي ينفرد بها الإسلام عن النصرانية واليهودية: الحوض الذي يشرب منه المؤمنون الذين عملوا الصالحات من أمة محمد ﷺ والحوض ثابت بالكتاب والسنة.


يقول الأشعرى في الإبانة: "وانكرت المعتزلة الحوض، وروى عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، وروى عن أصحابه بلا خلاف" (3).

والإمام الجويني في "لمع الأدلة" يذكر أن كل ما جوزه العقل وورد به الشرع

---

(1) المقاصد للسيد ج 2 ص 164
(2) تفسير ابن كثير ج 2 ص 556
(3) الإباني للأشعرى ص 25
وجب القضاء بشوته، فبعد ورد به الشرع الضراط والميزان والحوض

وقد وردت الأحاديث الصحيحة عن الحوض وعظم قدره. روى الإمام مسلم بسنده عن أبي حامد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أنتم فطكم على الحوض، من ود كشرب، ومن شرب لم يظما أبداً، وليردن عليكم أقوام أعزكم وعذارونى ثم يحال ببني وبنينهم". قال أبو حامد: فسمع النعمان بن أبي عياس وأنا أحدثهم هذا الحديث فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول؟ قال: فقلت نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيقول: "إنهم متي. فيقال إنك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن بدأ بعدي".

وحدث يدل على أن رسول الله ﷺ يقف على الحوض، وسبرده عليه أقوام من أمه، ولا يستطيعون أن يقتربوا من الحوض أو يشربوا منه، فمسأَل رسول الله ﷺ عليهم، فقام له إنهم بدأوا وغيرهم بعدد فوافق رسول الله ﷺ عليهم بعدهم.

وقد وردت أحاديث أخرى تبين عظم قدر الحوض.

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو بن العاص:

قال رسول الله ﷺ: "حوضي مسيرة شهراً، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من الورق"، ورحبه أطيب من السكر، وكزائه كتجوم السماء، فمثاً شرب منه فلا يظلمه أبداً.

روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

إنه حوضي كما بين أبلى وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء، ويقول كمال الدين بن الهجام: "ومن السمعيات الكوثر. وهو حوض الرسول ﷺ، يكون له يوم القيامة، يرهد الأخبر، ويداد عنه الأخبر وردت به الأخبار.

(1) مع الأدلة لإمام الجهميني عبد الملك الجويني، تحقيق الدكتور حسن محمود، ص 112، 113.
(2) رواه الإمام مسلم ج 2 ص 316 طبعة عيسى الباهي الخليبي.
(3) الغفوة.
(4) رواه الإمام مسلم ج 2 ص 217.
(5) فتح الباري ج 11 ص 399.
الصحاب، نجح قبوله والإيمان به، (1). وحول ورود الأحاديث الصحيحة عن الحوض فإن ابن حجر ينقل عن القرآني قوله: "دما يجب على كل مكلف أن يعلمه وصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خصني محمدًا بالحوض المصرح باسمه وصفه وشراءه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعة العلم القطعى، إذ روي ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين، منهم في الصحيحين ما ينف على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك، مما صح نقله واشتهرت رواته، ثم رواى عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم، ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهم جرا وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف، (2).


(1) المسايرة في علم الكلام ص 150.
(2) فتح الباري ج 11 ص 393.
(3) التذكرة ج 2 ص 326.
(4) فتح الباري ج 11 ص 396، ص 393.
(5) نفسه ج 11 ص 392.
الحوض في التصور الإسلامي

عدم وجود الحوض في التصور النصارى واليهودي:
في المصادر التي رجعت إليها لم أعثر على ذكر الحوض في التصور النصارى أو اليهودي، وهذا مما جعلني أكتب في بداية البحث: الحوض مما اختصته به أمة محمد ﷺ.

***
البحث الحادي عشر

الشفاعة بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولاً: الشفاعة في التصور الإسلامي

عرف البيجوري الشفاعة بأنها «الوسيلة والطلب» (1) وفي الغير لما ورد. ويدل على تبوئته كما يقول صاحب المقاصد: النص
والإجماع (2)، والدليل عليها قوله تعالى: «هٰكَمَا ذَى الَّذَى يُعْفَعٌ عَنْهُ إِلَّا يَذِينَهُ» (البقرة: 256)، وقوله عز وجل: «وَرَكِّبْهُ مَلِيكٌ فِي الْسَّمَّوَاتِ لَتَنْفِقُهُمْ شَيْءًاٗ إِلَّا مَّا يُنْفِقُونَ إِلَّا لِيَمْسَكَنْ أَرْضًا» (النجم: 26)، وقوله تعالى: «وَلَا يُقْعَرُونَ إِلَّا لِيَمْسَكَنْ أَرْضًا» (الأئباه: 28) يقول ابن كثير: «وهذا من عظمة وكرامي عز وجل، أنه
لا يتجاسى أحد على أن يشفع لأحد أو أنه لفته في الشفاعة» (3).

ويقول تعالى: «هٰكَمَا ذَى الَّذَى يُعْفَعٌ عَنْهُ إِلَّا مَّا يُنْفِقُونَ إِلَّا لِيَمْسَكَنْ أَرْضًا» (4).

وياستدل ابن حزم بهذه الآية على أن الله تعالى نص على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنه عز وجل ممن أذن له الرحمن فيها ورضي له قوله: لا أحد أولى بذلك من محمد صلى الله عليه وسلم (5).

ووفق ابن حزم بين الآيات التي تثبت الشفاعة في القرآن الكريم والآيات التي تنفيها بقوله: «سُحِّبَتْ الشفاعة بنص القرآن الذي لا يأتيك الباطل من بين يديه ولا من خلفه» (6).

(1) تفسير السيد شرح جوهرة التوحيد ص 346.
(2) نفسه.
(3) شرح المقاصد ج 2 ص 175.
(4) تفسير ابن كثير ج 1 ص 209.
(5) الفصل لابن حزم ج 4 ص 53.
(6) تفاسير ابن كثير ج 1 ص 209.
فسح يقينًا أن الشفاعة التي أبطلها الله عز وجل هي غير الشفاعة التي أثبتها عز وجل، وإذا لا شك في ذلك فالشفاعة التي أبطل الله عز وجل هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون في النار، (1) ويفوق القرطبي بين الآيات التي تبين حري من دخل النار يوم القيامة وبين الآيات التي تثبت الشفاعة والأحاديث التي تدل على الشفاعة للعاصفة لإخراجهم من النار بقوله: «إن قال قائل: كيف تكون الشفاعة لمن دخل النار والله تعالى يقول: [العماران: 192] ويقول: {يوم لا يجري الله آلامه} [الشعر: 8]، ويجيب بأن الآية الأولى معناها - كما قال أنس بن مالك - أن معنى {من تدخل النار} [العماران: 192] من يدخل، وهذا قال سعيد بن المسيب فإن الآية جاءت خاصة في قوم لا بخرجون من النار، بلدليل قوله تعالى في آخر الآية {وما للطيبين من أنصارك} [العماران: 192] أي الكفار، وبين القرطبي الوجه الثاني للآية بأننا إذا قدرنا أن الآية في العصاة من الموحدين فيحمل أن يكون الخزى بمعنى النحاء، ولهذا الاحتمال وجه عند أهل المعاني، ولكن خزي المؤمنين في استحيائهم في دخول النار من بين سائر أهل الأديان إلى أن بخرجوا منها، أما خزي الكافرين فهو هلاكهم في النار من غير موتها، أما المؤمنون العصاة فهمونون في النار. فافترقوا في الخزى والهوان عن الكفار؛ لأن عصاة المؤمنين بخرجون من النار بشفاعة من أذن الله له في الشفاعة، والآية الثانية وهي قوله تعالى: {يوم لا يجري الله آلامه} والذين أثناوا معناهم {الشعر: 8} فيذهب القرطبي إلى أن معناها - أن الله لا يعذب رسوله ولا يغاب الذين أثناوا فإن عذب الله عصاة المؤمنين فإن الله بخرجهم من النار بشفاعة الرسول (2) (3).

وقد وردت الأحاديث التي تبين أن شفاعة الرسول (4) في عصاة المؤمنين،

(1) نفسه.
(2) وإنظر الذكرة للقرطبي ج 2 ص 144.
(3) الذكرة للقرطبي ج2 ص 414، 415.
وأجمع المسلمون على تلك الشفاعة (1) لرسول الله ﷺ يوم القيامة. ومن الأحاديث التي وردت في الشفاعة ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: أتي رسول الله ﷺ بومًا بلحم، فرفع إليه الذراع، وكتابت تعجبه، فنهى منها نهية فقال: "لقد سيد الناس يوم القيامة وهل تدرَّون بذلك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فسمعهم الداعي وينذلهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من السم والكبر ما لا يتبقون وما لا يتحملون، فقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أتم عليه، ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظر من يشعلكم إلى ربك؟ فقول بعض الناس لبعض: اتأتوا فقرون أم آدم؟ فقولون: يا آدم ؛ أنت أبو البشر، خلق الله بده ونفخ فيه من روحو وأمر الملائكة فسجدوا لك، فشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فقيل آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولكن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعسكته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتيون نوحًا يقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى الأرض وسماء الله عبادًا شكورًا، أشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فقيل لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولكن يغضب بعده مثله، فإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ. فأتين إبراهيم ﷺ يقولون: أنت نبي الله وهي خليله من أهل الأرض، فشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله - وذكر كتبته (3) نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسي. فأتين موسي ﷺ:

(1) الإباضة للأعشي ص ٧٤.
(2) الكذبات الثلاث، التي وردت في الأحاديث من أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث مرات، اثنين في ذات اللهم يقول: إنني سلم وألوه: بل فعل كبره هلا وواحدة في شأن سارة حين قاد مصر وقال لملوكها: إنها أخطى وليس زوجتي. هذه الكذبات تحدث عنها العلماء كثيرًا وخلاصة ما قال فيها أن تلك الأحاديث إن كانت مرفوعة بطرق الآحاد منفرد، لأن نسبة الحافظ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصي إلى الأباء، وما كان يطير الؤوات فصار لم نظهر إلا ما كنا نقوله على ترك الأول أو كونه قبل البعثة. أنظر في هذا الموضوع بالتفصيل كتاب قصص الأباء للتجار. ص ١٠٩. 
(3) ١٣٢ فشي عرض لكل الآراء في هذه القضية.
فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضل الله برسلانه ويتكلمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإن قلت نسأل لم أومر بقلتها، نفسي نفسي. اذهبوا إلى عيسى بن مريم واعتنوا به حتى يأمره، فأشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى بن مريم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر له ذنبًا - نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري أذهبوا إلى محمد. فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأطلق فأنت تحت العرش فائع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله علی ويلهمني من مجانده، وانتها عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلني، ثم قال: يا محمد أرفع رأسك سل تعلوه أشفع تشع. فأرفع رأسي فأقول: يا ربي أمني أمني. فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أنتمك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بينه إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وحجر، أو كما بين مكة وبصري (1).

وهذا الحديث يدل على الشفاعة العظمى للإراحة من هول الموقف، والشفاعة للذين يدخلون الجنة بغير حساب. وصاحب هذه الشفاعة محمد لا يشاركه فيها أحد من الملائكة ولا من الأنباء ولا من الصالحين والشهداء. وكيف كا مر في حديث أبي هريرة أن ينطلق محمد تحت العرش فيقطع ساجدًا جنبي ويعمل الله، حتى يأتي له في الشفاعة لإراحة الناس من الموقف (2) وحديث أبي هريرة السابق يدل على نوعين من أنواع الشفاعة.

النوع الأول: الشفاعة من هول الموقف.

(1) صحيح مسلم ج2 ص 431، الطيحة الحنفي.
(2) انظر فتح المعه - شرح صحيح مسلم ج2 ص 542.
النوع الثاني: إدخال قوم الجنة بغير حساب.

ويؤيد حديث أبي هريرة السابق في الشفاعة لمن يدخلون الجنة بغير حساب ما رواه الترمذي بسنده عن محمد بن زيادة الألفاني قال: سمعت أبا أمناء يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "واعدني ربي أن يدخل الجنة من أمني سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حقات من حديثين (1) unlawful을 체계에 따라 설명하면 서와 같이: 
والحديثين جميع حديثا بفتح الحاء، وهي تستعمل فيما يعطي الإنسان بكفاهة دفعة واحدة من غير وسن وتقدير (2) وحديث الترمذي مبين لمن يشفع فيهم رسول الله ﷺ فيدخلون الجنة بغير حساب.


(1) غلطة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ج1 ص 129 الطبعة الثامنة 1387 - 1388
(2) نفسه.
فقد عادوا حمما، فيلقهم في نهر في أُفوَاء الجنة يقال له نهر الحياة، نبَرَجْون كَمَا نحْرَج
الحَجة في حمِيل السَبِيل،١

وَهَذَا الْحَدِيثِ بِنِعَنْ أَنَّ الْمُؤَمِّنِينَ يَشْفَعُونَ لِإِخوَانَهُمَّ العَصَاة بِوُجُوحَ الْقِيَامَةَ، وَيَأْذَن
الله لهم بأن نبَرَجَوا من النار من كان فيه قليب مِثْقَال ذرة من خير. وَيَبْنِ الْحَدِيث
أن الله عز وجل يأذن للمَلِائِكَة والأَنيِبَاء والمُؤَمِّنِينِ في الشفاعة، إلى حد أنهم لا
يجدون أحدًّا فيه خير قد بقي في النار. وَهَذَا يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَطَعَالِي: ّشُفِّع
المَلِائِكَةَ وشُفِّعَ النَّبِيُّونَ وشُفِّعَ المُؤَمِّنُونَ ولم يبق إلا أَرْحَمَ الراحَمِينَ، خِبَضَ قِبْضَة
من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيَرًا، فَقَدْ عَادُوا حمِيمًا.

وَهَذَا قَدْ يُثَّارُ هَذَا الْتَسَاؤلُ، كَيفَ نبَرَجُوا من النار من لا يعمل خيَرًا، فَيَجْبَ
القاضي عياض عن هذا التساؤل يَقُولُ: ّهؤَلَا هُمُ الْذِّينَ مَعْمَمَ مَجْرَدِ الإِيمَانِ، وَهُم
الذين لم يكونوا في الشفاعة فيهم. وَإِنْ وُجِدَ الْأَثَارُ عَلَى أَنَّ أَنْذَرَتْ عِندَهُمْ هُدَايَةٌ، زَادَتْ عَلَى
مَجْرَدِ الإِيمَانِ، وَجَعَلَ لِلنَّائِسَينَ مِنَ الْمَلِائِكَةِ والنَّبِيِّينَ صُلُوَاتِ اللهُ عَلَيْهِمْ قَلِبًا عَلَیْهِ، وَتَفْرُد
الله عز وجل بِعَمَلِ مَا كَتَبَهُ القلوب والرحمة لِمَنْ لَيْسَ عَنْهُ إِلَّا مَجْرَدُ الإِيمَانِ، وَضَرَّبَ بِمَثَالٍ
الهدية العتي المثل لأَقْلَ الخَيْرِ، فَإِنْها أَقلَ المَقَادِيرِ٢

وَالْذِي ذَهِبَ إِلَيْهِ القاضي عياض موافق لما رواه الإمام مسلم في حديث طويل
عِنْ أَنْسِيَ الْمَالِكِ أنْ رَسَولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ّبَا رَبِّ ائْنُ لَيْسَ عَنْهُ إِلَّا اللهِ إِلَّا اللهِ
قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ، أَوْ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ إِلَّا اللهِ، وَلَكِنْ وَعْزَتِي وَكِرْبَانِي وَعَظْمَتِي وَجِرْبِي
لَأَخْرِجَهُمْ مِنْ قَالَ لَا إِلَّا اللهِ إِلَّا اللهِ٣ وَمَعَنِى ذَلِكَ أَنَّ اللهَ يَتَفْضِلُ عَلَى مِنْ قَالَ لَا إِلَّا اللهِ إِلَّا اللهِ
الله فيخرجه من النار من غير شفاعة أحد٤.

* * *

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٩٤ طبعة الجلبي.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص ٣٢ .
(٣) نفسه ج٣ ص ١٤١.
(٤) نفسه ج٥ ص ٢٥ .
وهناك أحاديث أخرى تبين شفاعة المؤمنين للعصاة يوم القيامة:
روى الترمذي بسنده عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: "إنه من أمتى من يشفع للضامن من الناس، ومنهم من يشفع للقبيحة، ومنهم من يشفع لعصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة".
والحديث يبين أن بعض أفراد من أمة محمد ﷺ كالعلماء والشهداء والصالحين من يشفع للفئام أي الجماعة من الناس، ومنهم من يشفع للقبيحة والعصبة للرجل حتى يدخلوا الجنة جميعًا.
ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ يتميز عن جموع الأنبياء والمرسلين بالمقام المحمود عند الله يوم القيامة.
روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "إنه من قال حين يسمع النداء لهم رب هذه الدعوة النثأ والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابهه مقاتلا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة".
وفق بعض الصحابة المقام المحمود بأنه الشفاعة العظمى لإرادة الناس من هول الموقف يوم القيامة. روى البخاري بسنده عن آدم بن علي قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: "إنه الناس يصبرون يوم القيامة جدًا، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع. حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود".
وذهب الجمهور إلى أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة. وبالغ الواعدي فنقل فيه الإجماع. ولن يشتركون بأن هناك غيره ممن يذن الله لهم بالشفاعة، بالأبطاء والملائكة والشهداء والصالحين كما مر، لأن شفاعة هؤلاء جميعًا تأتي

(1) تغف الأحوذي شرح صحيح الترمذي ج 2 ص 131، 132.
(2) نفسه ص 139 ص 322.
(3) فتح الباري ج 8 ص 130.
(4) نفسه ص 327.
(5) نفسه ج 11 ص 357.
بعد شفاعة النبي ﷺ في إرادة الناس من كرب الموقف; والتي لم يدلها أحدٌ غيره.

أما الشفاعة للمذنبين في الخروج من النار ورفع درجات المؤمنين في الجنة

وإدخال قوم الجنة بغير حساب فهذا مما يشترك فيه ﷺ مع غيره. يقول ابن حجر في الفتح بعد أن يعرض آراء العلماء في المقصود بالمقام المحمود: "ويمكن رد الأقوال كلها إلى الشفاعة العامة، فإن إعطاء لواء الحمد وثناءه على ربه، وكلمه بِين يديه، وجعله على كرسيه، وقيامه أقرب من جريبل، كل ذلك صفات للمقام المحمود، الذي يشعفي فيه لقبض بين الخلق، وأما شفاعته في إخراج المذنبين من النار فلمن توابع ذلك،".

وإذا كانت أمة الإسلام قد أجمعت على الشفاعة لرسول الله ﷺ عند الله يوم القيامة في إسقاط العقاب عن المذنبين وازداد الفيلم لأهل الجنة (1)، فإن المعتزلة قد خالفت الأمة في كون الشفاعة لإسقاط العقاب عن المذنبين، وثبتوها في زيادة النعيم لأهل الجنة.

يقول القاضي عبد الجبار من المعتزلة: "لا خلاف بين الأمة في أن شفاعة النبي ﷺ ثابتة للامة، وإنما الخلاف في أن تثبت لمم؟ (2). فهو يقر أنه لا خلاف بين الأمة في ثبوت الشفاعة للمذنبين بإسقاط العقاب عليهم وللمؤمنين برفع درجاتهم. أما عند المعتزلة فهي قاصرة على التائبين من المؤمنين. يقول القاضي عبد الجبار من المعتزلة: "منذننا أن الشفاعة للتأتيين من المؤمنين" (3). وفائدة الشفاعة إذن هي رفع مرتبة الشفيع، والدلالة على منزلته من المشفع (4). وينفي القاضي عبد الجبار الشفاعة عن مرتكب الكبيرة من المسلمين بقوله: "دلت الدلالة على أن العقوبة

1. فتح الباري ج1 ص 359، 368.
2. الإبانة عن أصول الدينية للأشعري ص 74 - الطيعة الثانية 1397 ه والأربعين في أصول الدين ص 419 للإمام الرازي.
3. شرح الأصول الحسنة ص 188.
4. شرح الأصول الحسنة ص 188.
5. نفسه ص 189.

ويفند أهل السنة ما ذهب إليه المعتزلة من أن الشفاعة لا تكون للعصاة، وإنما لرفع درجات المؤمنين في الجنة، بأن المؤمنين إذا كانوا بالجنة موعودين، وبها مبشرين، والله عز وجل لا يخفف وعده، فإن الشفاعة لا تكون لها معنى؛ لأن هؤلاء المؤمنين لا يجوز عند المعتزلة ألا يدخلهم الله الجنة - طبقًا لأصولهم التي تقرر أن المؤمنين استحتوا بأعمالهم واستوجبوا على الله - وإذا كان الله لا يظلم مثالاً ذا كان تأخيرهم عن الجنة ظلمًا على حسب اعتقادهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإن كانت الشفاعة في رفع درجات المؤمنين في الجنة فإن الله قد وعدهم ذلك والله يقول: "إِلَّا إِيَّاهُمْ أَجْرُهُمْ وَيَزَادُهُمْ مِنْ فَضْلِي” [ناثر: 84] والله عز وجل لا يخفف وعده، فإذا كانت الشفاعة قاصرة على رفع درجات المؤمنين في الجنة فيكون معنى ذلك أنه إنما يشفع إلى الله عز وجل عندهم في أن لا يخفف وعده، وهذا مغاير لما يقررون في أصولهم (2) ويخلص الأشعري إلى أن الشفاعة المبقة تكون فيمن استحق عفاؤًا أن يوضع عن عقابه، أو فيمن لم يعده شيئًا أن يفضل به عليه" (3).

أما الآيات التي يستدل بها القاضي عبد الجبار على نفي الشفاعة عن مرتكب الحكريرة من مثل قوله تعالى: "وَأَنْفَقُواْ يَوْمَاً لَا تُحِبُّونَ لَا يَحْبُسُونَ عَنْ نَفْسِيِّ سَيْتَاكُ» [البقرة: 84] وقوله تعالى: "مَا يَلِيَّمُهَا بَيْنَ عِينَيْهِ وَلَا شُفَّيَّ بَطَحٍ" [غافر: 18]

فالجواب: أن الآية الأولى إذا صح الاستدلال بها على نفي الشفاعة، فإنهما تنفي الشفاعة بوجه عام، مع أن المعتزلة يقولون شعور الشفاعة لرفع درجات.

(1) الأصول الخمسة ص 249.
(2) انظر الإبابة للأشعري ص 74.
(3) نفسه.
الشفعاء بين الإسلام والنصرانية واليهودية

المؤمنين (1) والمقصود نفي الشفاعة عن الكفار.

أما الآية الثانية فإن الإمام الرازي يجيب عليها من وجهين:

الأول: أن كل عاقل يعلم أنه ليس في الوجود أحد يطبعه الله تعالى، فلا يكون في حمل الآية على ما ذكرتم قاعدة.

الثاني: أن الشفيع دون المشفوع إليه، لأنه لو كان فوقه يسمى أمراً أو حاكماً ولا يسمى شفيعاً، فلفظ الشفيع أفاد كونه دون الله تعالى، فلم يكن حمل قوله: دفع العقول على من فوقه، فكان المراد أنه ليس لهم شفيع بجاب (2).

وإن ما ذهب إليه المعترض من عدم الشفاعة للمذنبين مخالف لما ورد عن رسول الله ﷺ من شفاعته لأهل الكبائر من أمه.

روى الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» (3)، أي "الشفاعة التي وعد بها الله محمدًا ﷺ لأهل الكبائر، وذلك بوضع السيئات عنهم والعفو عن الكبائر» (4).

ثانيًا: الشفاعة في التصور النصراني

يقول الأنباء يؤنس: هناك شركة عامة بين الأحياء على الأرض والمتقلين إلى السماء وعلى رأسهم القديسون والشهداء، شركة كاملة، فنحن نشفع بهم ونملص بهم وطرق وسائل شني، ونتلقى على أثر ذلك معوناتهم؛ (5) ونلاحظ أن الشفاعة التي يتحدث عنها النصارى تكون في الدنيا ليست في الآخرة وعلماؤهم يقررون ذلك.

ورد في علم اللاهوت النظامي نحبس في الدهر الآتي نوبة ولا غفران ولا تغيير حال، وقد ورد في مخالبنا في الغني وللماذر (6)، الذي علم استحالة العبور من جههم.

(1) الأربعين في أصول الدين ص ۴۲۲.
(2) نفسه.
(3) مسند الإمام أحمد ج ۳ ص ۲۱۳.
(4) تفسير الأخذي بشرح القرمدي ج ۷ ص ۱۲۷.
(5) السماص لابن يو ناس ص ۱۶.
(6) لوقا ۱۶:۹-۱۰/۹-۳۱.
وورد في كتاب «الكهونوت» تحت عنوان «الوقت الذي يمارس فيه المسيح خدمة الشفاعة» ما نصه: «إذا المسيح لم يمارس هذه الخدمة «الشفاعة» بعد انتقال المؤمنين الحقيقيين إلى العالم الآخر، حتى كان يجوز الظن أن يكون الغرفة منها نقل أرواح الذين أخفقوا على الأرض من كل عذاب الآخرة أو بعضهم، بل إنه - له المسلم - يمارس شفاعته لأجلهم وهم لا يزالون على الأرض، لأن ليس هناك مجال لنفيبر مصير الناس بأية وسيلة من الوسائل بعد انتقالهم من العالم الحاضر، لأنه ليس هناك مجال للنوبة والشركة مع الله إلا في هذا العالم».

كل هذه الأقوال تؤكد أن الشفاعة عند النصارى تكون في الدنيا لا في الآخرة، وهذا ما أكده لنا الأنباء غريغريوس أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي بالكنيسة القبطية في مقابلة شفوية. والشفاعة التي يعتقدها النصارى تكون بالمسيح، وبأمه، والملائكة، والقدسيين. وهنا تثبت شفاعة المسيح في الدنيا ما ورد في رسالة بولس للعبراينين: «فمن ثم يقدر أن يخلص إلى العرش الذي يتقدمون به إلى الله، إذ هو حي في كل حين يشع فيهم».

ويعالج القس إبراهيم لوقا على النص السابق بقوله: «فشكرًا الله لأجل المسيح الشفيع العظيم، الذي بشفاعة ذبيحته المقدسة يستطيع كل خاطئ أتى يرجع إلى الله ويؤمن به من كل قلبه أن ينال تطهير خطابه».

ويُرجى اعتقاد النصارى في شفاعة المسيح لأنه كما يزعمون قدم ذاته كفارة عن خطايا العالم أجمع بذبيحته نفسه.

وأما شفاعة مريم العذراء فإن النصارى متفقون على شفاعتها لهم، وتكريرها.
للخطايا والذنوب عنهم، وهم يرددون في صلواتهم الدعاء لها وطلب شفاعتها، ومن أدعيتهم في الصلاوات: "أبنها العذراء القديسة والدة الله أمي وشفيعتي، إني أضع ذاتي تحت ذيل حمانيك، وأنصرب بكل اكتف في حسن رحمتك، فكوني يا أم الجود ملخصي في احتياجي، وتعزيتي أشعبي، وشفيعتي عند ابنك المجيد اليوم، وفي كل أيام حياتي، ولا سيما عند ساعة موتي آمنين" (1) وهذا نص صريح عن النصارى في أنهم يتشفعون بالعذراء مريم عند ابنها الإله كما يزعمون، وبابها يشفع للنصارى عند الله. وهذا يبين إلى أي حد يتناقض النصارى في عقائدهم، فهم يتشفعون بالمسيح عند من؟ عند الله! ويشفعون بأنهم عند من؟ عند ابنها الإله. يا له من تناقض مع بدهيات العقل حين يشفع إله عند إله. يقول القمص تادرس يعقوب بأننا نهتم بالعذراء ونطلب شفاعتها (2). والذي ذهب إليه النصارى من شفاعة العذراء مريم يؤكد ما ذكره ابن القيم من أن النصارى يتشفعون بالعذراء، ويسألونها الشفاعة إذ يقولون في دعائهم: يا والدة الإله أشفي لنا. وهم يظلمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين، ويسألونها ما يسأل الله من العافية والرخاء والمغفرة (3). ويعتقد النصارى أيضًا في شفاعة القديسين في الدنيا لغفران الخطايا ونجدة المتعرين منهم. يقول الأنبا يوحنين: "إن الانصاف بالسماء ومن فيها سهل ويسور، وما عليك إلا أن تنادي القديس: يا است يا عذراء، يا أم النور، يا ملاك ميخائيل، يا مارجرجس، يا مارمينا (4) وفي النور واللحظة بصل نذائنا إلى أسماعهم وبببون لندعتنا" (5).

(1) علم اللاهوت النطائري، ص 97. ينقل عن كتاب صلات ص 18، 246 طبع بمطبعة الآباء السريانيين في بيروت 1882، تنشر كنيسة مارجرجس بالإسكندرية.
(2) رؤيا يوحا اللاهوتي، ص 14.
(3) هدایة الخياري في أجودية اليهود والنصارى، ص 262.
(4) أسماء لبعض القديسين عند النصارى.
(5) السماء للأقباط يوحنين، ص 16.
وفي الرسالة التي بعث بها أحد القساوسة إلى أبي عبيدة الخزرجي، يذكر هذا القسيس سلطان المطارنة عند الله بقوله: فجعل الله في أيدي المطرانين ما لم يجعله في يد أحد وذلك أن كل ما يفعلونه في الأرض يفعله الله في السماء، فإذا أذتنا فهم الذين يقبلون التوبة ويعفون عن السيئات، ويأتيهم صلاح الأحياء والآمونات.١

ولنا عدة ملاحظات على الشفاعة عند النصارى منها:

أولاً: أنها في الدنيا لا في الآخرة. وهي تجعل للمبشر سلطانًا كبيرًا مع الله، إذ إن القديسين يكون لهم ما لله من قضاء الحاجات، وذلك واضح تمامًا من نص الآبنا يؤانس الذي يذكر أن القديسين هم الذين يفعلون كل شيء بدلًا عن الله - تعالى الله عن ذلك علمًا كبيرًا. ونص الرسالة التي بعث بها أحد القساوسة لأبي عبيدة الخزرجي يبين أن الله تابع للمطارنة والمساوية في أفعالهم، فكلما فعلوه في الأرض يفعله الله في السماء، وفضلًا عن ذلك فإنهم يقبلون التوبة ويعفون عن السيئات، ويذبحهم صالح الأحياء والآمونات. وهذه سلطة كاملة للمساوية والقديسين، ليست من الشفاعة في شيء، إذ إن هؤلاء يتحولون من كونهم واسطة إلى كونهم مصدر الإجابة، وقضاء الحاجات. بدأ النصراني بالسياق وينتهي الأمر عند هذا الحد، ليجيب القديس على ما يطلبه النصراني من غفران الخطايا والفوز بالجنة والنجاة من النار. فالقديس هذا ليس شقيقًا ولكنه واسطة حائلة بين عبد وربه.

أما في الإسلام فإن الله عز وجل يأمر الجميع أن يتجهوا إليه، وبين الله عز وجل أن غفران الخطايا والعفو عن الذنوب بيده وحده، ولا يملك أحد سواء هذا

١ بين الإسلام والمسيحية لأبي عبيدة الخزرجي ص ٧٧ تحقيق الدكتور عبد الغني شامة - الناشر مكتبة وهبة - الطبعة الثانية.
الشقاوة بين الإسلام والنصرانية واليهودية

الأمر، يقول تعالى: "وَهُوَ الَّذِي يَقِلُّ الْأَبْوَهَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيُقَّعُونَ عَنْ السُّيَبَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَسَّلُونَ" [النسورى: 105] فهذه الآية تبين أن الله وحده هو الذي يقبل النתוءة عن عباده، وأنه وحده الذي يعفو عن السبمات. وتبث الله عباده أن من فعل منهم معصية فعله أني إلى الندوئة والاستغفار وينفي عن أي كائن غفران الخطابا والذنوب، يقول الله تعالى: "وَلِلرَّحْمَانِ إِذَا أَقْفَلُوهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ذَاكِرِينَ اللَّهَ فَأَسْتَغْفَرُوا لِذُنْبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا يَجْعَلُونَ عَلَى مَا فَعَلُوهُ وَهُمْ يَضَلُّونَ" [آل عمران: 135] وهذه الآية صريحة في عدم غفران الذنوب لأحد إلا الله سبحانه وتعالى.

فلا تدعوا: وضيع لنا من خلال عرضا لنصوص علماء النصارى أنهم لا يعتقدون بالشقاوة في الآخرة، لأنهم لا يفقرون بين الذنوب كبرها وصغرها، فعندهم أن المؤمنين الخطاة الذين نسوا قداسة إيمانهم برجاء أعمالهم كافرون.

وهؤلاء الخطابة يعتقد النصارى أنهم يبدؤون فيهلكون، لأن الذي يدخل النار في اعتقادهم لا يخرج منها أبدا. ورد في علم اللاهوت الطبيعي أنه في الدنيا تتبعين نصيب الأبرار والأشرار تبعين لا بتيبر، ويبحم بمكانهم الأبدي، وهذا واضح من كلمات مخلصة الرهيبة في قوله: "فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى والأبرار إلى حياة أبدية"، وورد في "أن أبدية العذاب وأبدية النعيم يتسمس بمثله النصارى حرفيا، ولا يفقرون بين الخطابة الكبيرة والذنوب الصغيرة لأن خطيئة الخطاطب دائمة إلى الأبد، لأنه يستحيل أن تمحي وتخرج مني ولع صاحبها جهنم وهو مثير بها، وحيث إن خطيئة الخطاطب تستمر معه إلى الأبد فالعودة الإلهية تقضي باستمرار عذابها إلى الأبد".

وهيم برون أن استمرار العذاب الأبدي للمخاطي ليس فيه منافاة للعدالة الإلهية ويقرر أن ليس هناك من ظلم أو جور بل هو عين العدل والإنصاف، وإذا كان هذا هو العدل

(1) علم اللاهوت ج 2 ص 149، 150 بتصريف يسر.
(2) علم اللاهوت النظامي ص 121، 122، 42/25.
(3) علم اللاهوت ميخائيل مينا ج 2 ص 155.
(4) نفسه.
فإنا نقول: وأين الرحمة التي سبقت عدل الله؟ إذ إن الرحمة التي خص الله بها نفسه في الآخرة تقتضي أن يرحم الله العصاة الذين ارتكبوا بعض الذنوب في الدنيا وعذبوا بسببها، بأن يخرجوا من النار ليدخلوا الجنة بالشفاعة لهم، ولكن النصارى يصرون على أن من مات بخطيئة فهو في النار خلائدا فيها، ولذلك لا قيمة للشفاعة يوم القيامة عندهم، وكل ما يفعله المسيح فإن يبكي على آخرة الأشراط غير التالين، ومع ذلك يتركهم لنصيبهم العادل. (1)

أما عن كيفية غفران الخطيئة لمن أخطأ من النصارى فتكون في الدنيا بالندوة وتقديم الدعوات والسلمات والصدقات، وتكون بالاعتراف أمام الكاهن، والاعتراف كما عرفه علماء الكنيسة هو الإقرار بما قاله الإنسان وضعله فيها مضى والآن، وبحسب الوضع الشرعي هو اعتزال الإنسان لله الكاهن المسلم له الاعتراف بخطاه وذنوبه وجرائته وكبائره ومعاصيه وصيغ شهواته وسهوه وغلائمه، وما اعتمدته من ذلك جمعه بأنفكاره الردية وأمانه الكاذبة وأقواله المباني للنبي والمعاندة للشريعة. (2) ففائدة هذه الاعترافات هي "الحصول على غفران الخطايا والسلام الداخلي". لأنه كم يوجد قبل الاعتراف في نفس الخاطئ من الضيقة وأنصار القلب والغم الشديد، وتشويش الضمير والنقل غير المحتمل، وما بعد الاعتراف فكما يوجد في نفسه من السكون والراحة والسلامة والتزمر العظيمة والسرور الباطن; (3) فنلاحظ أن الاعتراف يتجاوز الظاهرة الباطن، حتى السهو، حتى الغفلة، حتى الأمني الكاذبة، وبعد الاعتراف نلاحظ أن الكاهن سلطة كاملة إذ نبي هذا الكاهن قبل التوتات وصالح الأحياء والأموات وهذه السلطة فيما أعترف هو التي دفعت النصارى إلى الاكتفاء باللجوء إلى الكهنة والأحبار والرهبان. وصدق الله العظيم إذ يقول: "أُحَكَّمْنَا أَحْكَامَهُمْ وَرَجَبْنِهِمْ أَحِيَا بِنَّ دُرْبِ اللَّهِ وَالْمُسَبِّحُ أَبَّكَ سُبْحَانَهُ وَمَا أُمِرْتُ إِلَّا لَيَعْتَفَّا إِلَهَّنَا وَجَدَدْنَآ إِلَّا إِلَيْهِ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُ عَمَّا يُشَرَّكُونَ" (الثورة: 31).

(1) علم اللاهوت النظامي ص 1212.
(2) علم اللاهوت. ميخائيل مينا ج 2 ص 284، 288.
(3) علم اللاهوت. ميخائيل مينا ج 2 ص 289.

وهنا نرى إلى أي حد تغفر الخطبايا والذنوب للعصمة من النصارى في الدنيا، وأن ما عند النصارى ليس من الشفاعة في شيء، لان المشفوع له والشفيع إنما يتجه إلى الله في جميع الحالات، وهذا هو المقرر في الإسلام، أما عند النصارى فإن المشفوع له يتجه إلى الكاهن بالاعتراف وطلب المغفرة. ويزعم النصارى أن الكاهن يجيب ويكرر عنه خطبايا، وليس في الإسلام شيء من هذا القبيل.

ثالثًا: الشفاعة في التصور اليهودي

في المصادر اليهودية التي أتيح لنا الرجوع إليها لم نعثر على التصور اليهودي للشفاعة يوم القيامة... وكنا نأمل أن نصصون sàn الشفاعة من وقائع ما كتبوه، أو ما هو مسطور في العهد القديم، ولكن لم نجد شيئا في المصادر التي رجعنا إليها. وإن كنا نجد إشارات في القرآن الكريم تبين أن اليهود يعتقدون - وهم في الدنيا - أنهم لن تمسهم النار إلا بأيام معدودات. ويعتقدون أيضًا أنهم أبناء الله وأحباؤه، فهؤلاء ليسوا كبريت الناس يوم القيامة. ومن خلال الآيات القرآنية يمكن أن نعطي تصورًا لما عن ادعاءهم عدم المكوث في النار إلا فترة قليلة، وتكديب الله لهم في ذلك. يقول الله تعالى: (۱۱۳۴-۱۱۳۵) [التأويل: ۲۱] وقول تعالى: (۱۱۳۶-۱۱۳۷) [التأويل: ۲۱] ويقول تعالى: (۱۱۳۸-۱۱۳۹) [التأويل: ۲۱]}

(۱) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ص ۱۳۷ ج ۲.
من يَتَّبَعُ وَيَتَّبَعُونَ،" {العنابة: 18}.

وهذا النوع من صيح أقوالهم وأفعالهم، وهو جزهم بأن الله تعالى لا يعذبهم إلا أياماً قليلاً، وهذا الجرم لا سبيل إليه بالعقل أثناه، لأن الله يفعل ما يريد، ولا طريق إليه من جهة النص، لأن الله لا يحباي قوماً لجنسهم ولا لنسبهم، ولذلك كذبهم الله بقوله: {قُلْ أَنْهَدْتُمُ عِنْدَ اللهِ عَهْدَنَا}. قلّ تَحْفَظَ اللهُ عَهْدَنَا، أمّا نَفْتَانَ نَفْثَانَ عَلَى اللّهِ مَا خَالَفَتُوهُمْ}. {البقرة: 80} ويرى عنهم أنهم يعذبون أربعين يوماً، عدّد عبادتهم العجل، ثم منادي: أخرجوا كل مختون من بني إسرائيل.

وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنهم زعموا أنهم وجدوا مكتوباً في النسج ألم ير طرف في جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهي إلى شجرة الزقوم، وأنهم يقتطعون في كل يوم سيرを持って فيكمولونها، ولقد كذبهم الله تعالى بقوله: {ذلك كَسَبَتْ سَيْبَكَةً، وَلَهَظَتْ يَدَهَا، عَلَيْهِ فَأَولَمْ يَأْتِهِ أَشْهَدَ النَّارَ}. هُمَّ فِيهَا حَتَّى يَصِيرُونَ} {البقرة: 81}.

فأتطل الله حجتهم على وجه أعظم شمل لهم ونسائر الكفار، كأنه قال بل تمسك وغير كم ذهرا طويلاً، وزماناً مديداً لا كما تزعمون!.

وأما أقوالهم نحن أبناء الله وأحباؤه، فهذا محسود باراء منهم، لأنه إن صحب ما زعموا فلأي شيء يعذبهم الله يوم القيامة بالنار أياماً معدودات، كما كذبوا وقالوا ذلك، وهذا ينافي دعوى القرء التي يدعونها اليهود والنصارى.

وعن ابن عباس: {أتأي رسول الله ﷺ، نحن بن أصي وبجري بن عمرو وشاش ابن عدي- وهم من اليهود - فخوفهم رسول الله ﷺ من الله، وحذرهم من نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد؟ والله نحن أبناء الله وأحباؤه}. وقالت النصارى ذلك قبلهم، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية.

---

(1) انظر الفخر الرازي ج3 ص158، وروح المعلاني ج2 ص304، والكشف جد1 ص293، والنار ج3 ص220، والأنصاري ج1 ص100.

(2) روح المعلاني للألوسي ج6 ص101.
البحث الثاني عشر

الجنة والنار بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولاً: في التصور الإسلامي

1- الجنة:

تنتحدث عن الجنة كواقعة من واقعات يوم القيامة، والتعامل الذي يلاقه المؤمنون فيها. والحديث عن الجنة يشمل عدة حقائق عن الجنة منها:

أنها مخلوقة الآن ومعدة للمؤمنين:

يقول الله تعالى: {وسيأتيها إلى مغيرو من ريب حكيم ويجتنب عرضها السكوت، والآخرة أعيدت للمرتدين} [آل عمران: 133] ويقول عز وجل {ساقمو إلى مغيرون متي كي كي ويجتنب عرضها كفرى النسيم والآخرة أعيدت للذين كفروا} ماميا الله ورسليه. ذلك فضل الله يؤتاه من يشاء وله ذو الفضل العظيم} [العهد: 71] وهتان الآيتان وغيرهاما في القرآن الكريم - يدلان على أن الجنة مخلوقة الآن، وأنها معدة للمتقين، وأيضًا على سعة الجنة. والمراد من أن عرضها كعرض السماء والأرض أنها كنياً عن السعة، إذ لو جعلت السماوات والأرض طبقًا طبقًا، بحيث تكون كل واحدة من تلك الطبقات سطحًا ملتفًا من أجزاء، ثم وصل بعضها بعضًا كلًا فعالمًا واحدًا لكان ذلك مثل عرض الجنة، وهذا غاية في السعة، وخصوص العرض بالذكر دون الطول لأنه إذا كان العرض على تلك السعة؛ فالظاهرة أن الطول يكون أعظم.

ومنير هذا قوله تعالى: {طغى من عينى} [الرحمن: 44] فإذا كانت البطائين من استبراق - وهي عادة أقل من الظهارة - فكيف تكون الظهارة! قال الفعلى: ليس
المراد بالعرض ههنا ما هو خلاف الطول، ولكن هو عبارة عن السعة، كما تقول
العرب بلاد عريضة أي واسعة عظيمة، والأصل فيها أن ما تسع عرضه لم يضيق وما
ضاف عرضه دق، فجعل العرض كتابة عن السعة على حد قول العرب: أعرض في
المكارم إذا توضع فيها. والمراد من السماوات، السماوات السبع والأرضون
السبع. فعن ابن عباس من طريق المسدي أنه قال: تقرر السماوات السبع والأرضون
السبع، كما تقرر الثواب بعضها ببعض، فذاك عرض الجنة، ولا يقال أين هي، ما
دام عرضها السماوات والأرض؟ لأنه قد ورد في الخبر أنها فوق السماوات وتحت
العرش. حين سل أنس بن مالك عن مكانها (1).

وهذه الآية كانت مثارًا للتساؤل عند بعض أهل الكتاب. يقول ابن كثير: وقد
رويت في مسندين الإمام أحمد بن حنبل أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ، إنه دعوتي إلى جنة
عرضها السماوات والأرض. فأين النار؟ فقال النبي ﷺ: سبحان الله فأين الليل إذا جاء
النهار (2).

ويعلق الرازي على هذا بقوله: «والمعنى والله أعلم أنه إذا دار الفلك حصل النهار في
جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب، فكذا الجنة في جهة الفلك والمجر في جهة
السفل (3). ورام الله على سبيل الاستناد، والأولي من ذلك أن نزوع العلم
لله لأنها من الغيبات التي يجب أن نؤمن بها على ما ورد في السمع.
وأما دلالة الآية على خلق الجنة. فقد ذهب أهل السنة إلى أن الجنة مخلوقة لأن
قوله: ًأَعَطْنَا [اليمين (33)]. إخبار عن الماضي، فلا بد أن يكون ذلك قد دخل
في شيء الموجود (4). يقول شرح المواقف مستدلاً على خلق الجنة: لنا وجهان: الأول: قصة آدم وحواء وإسكانهما في الجنة، وإخراجهما عنها بالزلة على ما
نطق به الكتاب. (5)

(1) انظر الفلك الرازي ج 9 ص 57، وروح انغاني للألوسي ج 4 ص 56، 57.
(2) ابن كثير ج 1 ص 404.
(3) الفلك الرازي ج 9 ص 6.
(4) الرازي ج 9 ص 4.
الثاني: قوله تعالى في صفحتها - أي الجنة - {أعيدت الْمَتَّى} [آل عمران: 123]. ويستدل بالسنة على خلقهما الآن فيقول: ومن تتبع الأحاديث الصحيحة
وجد فيها شيئًا كثيرًا مما يدل على وجودها دلالة ظاهرة.

ومن الأحاديث التي أشار إليها شارح المواقف ما رواه الإمام مسلم بسنده عن

قام: {فَلَا تَعْمَلُوا فَتْنًا} [المؤمنين: 6] 
وعني بله ما أطلعكم الله عليه، أي دع عنك ما أطلعكم الله عليه،
فالذي لم يطلعكم عليه أعظم، وكأنه أضرب عنه استقلالًا في جنب ما لم يطلع عليه (2).

وروي الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: {فتححت
الجنة والدار، فقالت النازن: أورثت بالمتكررين والمتجربين. وقالت الجنة: فأنا ليا
بدخلني إلا ضعفاه الناس وسقطهم وفرتهم، قال الله للجنة: إنما أنت رحمني أرحم بك
من أشمون عمادي (3)}، وبهذا الحديث وغيره استدل ابن كثير على أن الجنة والنار
مخلوقتان معدتان لأصحابهما. كما نطق بذلك القرآن: وتوارت بذلك الأخبار
عن رسول الله ﷺ. ويرجع ابن كثير السبب في زعم بعض العلماء أن الجنة والنار
لم تخلق بعد إلى أنهم لم يطلقوا على الأحاديث المتفق على صحتها في
الصححين، وذكر منها الحديث السابق، والأحاديث الدالة على رؤية الرسول ﷺ
للجنة ليلة الإسراء والمعراج (4).

(1) شرح المواقف بتصريف ج 2 ص 445.
(2) رواه الإمام مسلم ج 2 ص 530.
(3) انظر مسلم بشرح النووي ج 17 ص 166.
(4) صحيح مسلم ج 4 ص 2186.
(5) النهاية في الفتن والملاحج ج 2 ص 393.
وذكر صاحب المقاصد إجماع المسلمين على خلق الجنة قبل ظهور المخالفين، وذلك للآيات الصريحة التي وردت في ذلك. مثل قوله تعالى: "وَقَدْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ۖ عَلَىٰ نَبِيِّنَا ۖ الَّذِي أَعَدْتَ لَهُمْ مِنَ النِّعَمِ ۖ يُقَدِّرُهُمْ ۖ مَا نَعْمَاهُمْ ۚ وَرَسَّلْنِي إِلَيْهِمْ مَثَلًا مَّثِيلًا" [الصمد: 12-15]، وكقوله في الجنة: "عَيِّنْتُ لِلنَّبِينَ ۖ وَعَيِّنْتُ لِلنَّبِينَ ۖ عِلْمًا وَلَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَّذِرُونَ ۔ وَعَدَّلْنِي إِلَىٰ الْحَرَّمِ ۖ مَا نَعْمَاهُمْ ۚ وَرَسَّلْنِي إِلَيْهِمْ مَثَلًا مَّثِيلًا" [ال설مة: 21]. "وَعَيِّنْتُ لِلنَّبِينَ ۖ عِلْمًا وَلَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَّذِرُونَ ۔ وَعَدَّلْنِي إِلَىٰ الْحَرَّمِ ۖ مَا نَعْمَاهُمْ ۚ وَرَسَّلْنِي إِلَيْهِمْ مَثَلًا مَّثِيلًا" [الشعراء: 109]. وهذه دلائل ثابتة من الكتب والسنة، لدليلها واضحة على أن الجنة مخلوقة الآن ومعدة للمتوفين (1). وما عرضاه هو مذهب أهل السنة الذين أجمعا على أن الجنة مخلوقة الآن.

رأي المعتزلة في خلق الجنة:

يذهب علماء المعتزلة إلى أن الجنة لم تخلق بعد، إذ لو كانت مخلوقة لنفيت؛ لقول الله تعالى: "كُلُّ شَيْءٍ مَّالِكُهُ إِلَّا وَجَهَّارِي" [القصص: 88]. يقول القاضي عبد الجبار: "ربما قيل في قوله تعالى: "فَنَفَّذَ اللَّجْنَةُ أَنَّهُ وَعَيِّنَ الْمُقْطَرَ ٌ مِّنَ اللَّهِ" [الرعد: 46]. وليس فيه الدلالة على أن الجنة مخلوقة الآن، وذلك بخلاف ما تقولون؟ وجوابنا أن جنة الخلد والثواب ليست بمخلوقة الآن، لنفيت (2) إذا أُفِنِّى الله تعالى العالم، فكان لا يكون أكملها دائمًا. فدل ذلك على أنه تعالى يخلقها في الآخرة فيدوم أكملها (3).

والذي ذهب إليه القاضي عبد الجبار يذهب صاحب المواقف بقوله: "إن المراد بالآية: "أَصْلُهَا دَارِيَةٌ" [الرعد: 46]. أي: بدلاً، أي كلما فنى منه شيء جيء بيدله فإن دوام أكمله منعه غير متضمن، لأن الإنسان إذا أكمل شيئًا من الجنة فقد في ذلك الشيء، ودوام أكمله على سبيل البدل لا ينافي هلاكه" (4). ويمكن أيضًا تخصيص

---

(1)شرح المقاصد للسعدي ج2 ص161، وانظر الإرشاد للجويني ص784.
(2)شرح الطحاوية ص371.
(3)لعلها لو كانت مخلوقة لنفيت حتى تستقيم العبارة.
(4)تنزه القرآن عن الظالمين القاضي عبد الجبار ص204.
(5)شرح المواقف ج2 ص445.
الجنة والنار

الجنة من الفناء والهلاك، والمراد من قول الله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ مَا أَكُلَّهُ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الرحمن: 26] أن المراد كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك، والجنة خلقت للبقاء لا للفداء (1) وذلك جمعا بين الأدلة التي تثبت الفناء والتي تثبت خلق الجنة (2) وجودها الآن، وبرد صاحب مطالع الأنظار على القاضي عبد الجباد ومن ذهب مذهبه من المعتزلة القائلين بعدم خلق الجنة الآن، لأنه لا يلزم من كون الجنة مخلوقة الآن عدم دواوينها، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هُمْ سَيُدْعُونَ إِلَّا وَجْهَهُ﴾؛ لأن معنى الآية أن ما سوى الله معدوم في حد ذاته، وبالنظر إلى ذاته من حيث هو مع قطع النظر عن موجوده، لأن كل ما سواء مسكن، والمحمكن بالنظر إلى ذاته لا يستحق الوجود، فلا يكون بالنظر إلى ذاته موجودا، وليس معنى الآية أن ما سوى الله تعالى يطرأ عليه العدم، ولذلك فلا يلزم من كون الجنة مخلوقة الآن طريان العدم عليها (3).

ومما يستدل فيه القاضي عبد الجبار أيضًا على عدم خلق الجنة قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا أَحْصَبُ الْخَلْقَ أَحْصَبَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: 44] يقول: كيف يصح ذلك، والجنة ما خلقت بعد ولا دخلوها؟. ويجيب بقوله: أرجو أن التقرر في ذلك، أنه تعالى كتب في اللوح المحفوظ أن سأكمل الناس، فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصى دخل النار، فعند ذلك ينادي أهل الجنة أهل النار، وليس كل ما كتب في اللوح المحفوظ ينزله الله تعالى إلى الرسول ﷺ (4).

وعلما أن القاضي عبد الجبار يقول النصوص الواردة في خلق الجنة والنار مخالفًا بذلك الآيات القرآنية الصريحة والأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على خلق الجنة ونعمها الآن وإعدادها للتمتتين من عباده عز وجل.

(1) شرح الطهارية ص 373.
(2) مقالات الإسلاميين للشاعر ج 2 ص 167، 168، والسايارة في علم الكلام ص 153.
(3) نظر مطالع الأنظار لأبي البناء شمس الدين الأصفهاني مع مته طولان الأور للقاضي البيضاوي ص 449، 450، بدون تاريخ ولا ناشر.
(4) تنزه القرآن عن المطعن بنصرع ص 147.
وتبقي هنا جزئية أخرى وهي: هل الجنة التي أعدها الله للمتمنقين هي الجنة التي أسكن الله آدم فيها، أو هي جنة الأرض كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء؟ يقول الله عبر وجل: "فَوَيَدَّ عَلَى اسْكُنُوا لِلنَّارِ وَرَجِيحِ الْجَنَّةِ وَأَكْتَبَ مِنْهَا رَحْمَةً حِينَ يُنْقِذُنَّهَا وَلَا تَفْرَحُوا هَذَا الْقَحُورُ فَكُونُوا مِنَ الْكَلِمِينَ" [البقرة: 25]، والذين يذهبون إلى أنها الجنة التي أعدها الله للمتمنقين في الآخرة يستدلون بما رواه الإمام مسلم بسنده عن طاووس قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: "يا حسن وموسى، احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أتى أبا ونجيناك وأخرجنا من الجنة فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتمنو أذن الله عليهم قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي ﷺ: فحج آدم وموسى فحج آدم وموسى، (1).

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "نحاج آدم وموسى، فحج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة. فقال آدم: أنت الذي أعطاه الله علم كل شيء واصطفاه على الناس برسالته؟ قال: نعم. قال: فطولمني على أمر قدر عليّ قبل أن أخلق؟ (2). ووجه الاستدلال أن الجنة التي أسكن الله فيها آدم لو كانت في الأرض فهم قد خرجوا من البساتين، فلم يخرجوا من البساتين الأرض (3). ولو كانت جنة آدم بساتان في الأرض لكان غيره من بساتين الأرض يعوض عنه (4). واستدلوا أيضًا بقول الله تعالى: "فَأُمِّنْوُا بِعَضُرٍ كَسَرَّ غُدْوَى وَلَكِنَّكُمْ فِي الْأَلَـَٰقِينَ مُسَتَقِّرُونَ وَتَبَصُّرُ إِلَى جَنَّتِكُمْ" [الأعراف: 24].

وجه الاستدلال بالآية من وجهين:


(1) رواه مسلم ح 4 ص 422، 423، 424، طبعة الحلبي.
(2) رواه الإمام مسلم ح 4 ص 424، 425، طبعة الحلبي.
(3) حادي الأزواج إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ص 42 الناشر مكتبة المتنبي القاهرة.
(4) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج 2 ص 229 الناشر مكتبة ابن تيمية - الطبعة الثالثة 1403 هـ.

ولو كانت الجنة في الأرض لكان حياءهم فيها قبل الإخراج (1). وذلك يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك بمكان في يحيون فيه ومونون منه يخرجون، وإنما صاروا إليه لما أهبطوا من الجنة (2). ويستدلون أيضًا على أن فيها الخلد من قول الله تعالى: "إن كُلُّ آلهةٍ مجنون فيها ولا يُتَّرِئُونَ وَأَنتُكَ لَ تَظْهَرُوا فِيهَا وَلَا تَضْحَكُوا" [طه: 118-119] وهذا لا يكون في الدنيا أصلاً. يقول ابن وقیم الجزوزي: "إن الرجل لو كان في أطيب منازل الدنيا لا بد وأن يعرض له شيء من ذلك، والقابل لله بين الجروع والظلماء والعرى والضحى، فإن الجروع ذل الباطن والعري ذل الظاهر. والظلماء حر الباطن والضحى حر الظاهر فنفي عن سكانها ذل الظاهر والباطن وحر الباطن والظاهر، وذلك أحسن من المقابلة بين الجروع والعري والضحى، وهذا شأن ساكن جنة الخلد" (3).


(1) حادي الأرواح ص 26.
(2) حادي الأرواح ص 27.
(3) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ص 69.
(4) مجموع الفتوى ج 4 ص 348.

وهناك فريق آخر من العلماء يذهب إلى أن الجنة التي أسكن الله فيها آدم وزوجته ليست جنة الخلد. وأدخلهم باختصار في:

أن الله عز وجل قد أخبر على لسان جمع رسله أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد، وقد وصفها الله عز وجل بصفات عديدة، ومما أن يصف الله شيئًا بصفة ثم يكون ذلك شيء بغير تلك الصفات، مثل وصف الجنة بأنها دار المقامة فمن دخلها أقام بها وخلد فيها، وألم ليدخلم بها ولا خلد فيها، وتجت الخلد لا تكلف فيها ولا أمر ولا نهي فيها، وهي دار سلامه لا محل ابتلاء، والله عز وجل أخبر عن جنة الخلد بأنها لا تأثيم، وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وآدمه، وأخبر أنه لا يسمع فيها لغو ولا كذابياً، وقد سمع فيها آدم عليه السلام كذب إبليس، وسمها الله تعالى مقعد صدق، وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه. قال تعالى: "وَقَامَهُمَا إِلَى لَكِنَا لِيَنَّ أَتْقَاكَانِ" [الأعراف: 21].

ويفندن أهل السنة حجة من ذهبوا إلى أنها ليست جنة الخلد، بالرد على كل حجة أثرواها:

فبالنسبة للذين يزعمون أن جنة آدم ليست جنة الخلد لأنها لو كانت لما جاز

(1) الفصل لأبî حزم ج 3 ص 69 وحادي الأرواح ص 24.
(2) وانظر الفخر الرازي ج 3 ص 4، وحادي الأرواح ص 25، وفي الأخير عرض كامل للأدلة.
دخولها قبل يوم القيامة. فيجب بأن المراد بدخولها يوم القيامة الدخول المطلق والاستقرار الدائم فيها، أما الدخول العاري فيمكن أن يقع قبل يوم القيامة، والدليل على ذلك أن الرسول ﷺ دخل الجنة ليلة الإسراء والمغصوض، وأن أرواح المؤمنين الشهداء في البرزخ في الجنة.

وأما الاحتجاج بسائر الوجوه من النصوص والحديث واللغو والكلذب وغيرها فلا تقدر على ذلك حق لا شك فيه. ولكن هذا يكون إذا دخلهم المؤمنون يوم القيامة. كما يدل عليه سياق الآيات، وهذا لا ينفي أنها تلقيت لآدم، ولكنها تشير إلى ما أخبر الله عنها من عدم وجود النصوص واللغو وغيرها فلا تنافي بين الأمرين.

وأما ما ذهبتم إليه من أن جنة الخلد لا تكلف فيها ولا إرادة. وigner آدم أمه الله فيها ونهام وإثبات خواتم من وجهين:

الأول: أنها لن تكون دار تكليف حين يدخلها المؤمنون يوم القيامة.

الثاني: أن التكليف فيها ليس بالأعمال التي يكلف بها الناس في الدنيا من صلاة وصوم وجهاد، وإنما كان نهيهم عن شجرة إما بنوعها، وإما بعينها، وهذا لا يمكن وقوعه في دار الحفظ. كم أن كل واحد محجوز عليه أن يقرب أهل غيره فيها، فإن أردتم بكونها ليست دار التكليف بامتياز وقع مثل هذا فيها في وقت من الأوقات، فلا دليل عليه، وإن أردتم أن تكاليف الدنيا منتفيها عنها فهو حق، ولكن لا يدل على مطلوبكم.

والحق ما ذهب إليه أهل السنة في أن جنة الخلد هي الجنة التي أسكن الله فيها آدم لذكره في القرآن الكريم معرفة، ولبدلا الأحاديث على ذلك، مثل حديث احتجاج موسي على آدم عليه السلام. وإلي هذا ذهب جمع من العلماء. وهذا هو الذي فطر الله عليه الناس، صغيرهم وكبيرهم، ولم

(1) انظر بالتفصيل حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص 32، 33، 34.
(2) انظر شرح المواقين ج 2 ص 444، والفصل لابن حزم ج 4 ص 19، وحادي الأرواح ص 25، ومجموع الفتاوى ج 4 ص 374.
يخطر بقلوبهم سواء، وأكثرهم لا يعلم في ذلك نزاعًا (1).

عدد الجنة ودرجاتها:


(1) مختار الصحاح ص 116. (2) الكشاف للمعجمي ج 1 ص 257. (3) مختار الصحاح 2116.
وذهب الزمخشري إلى أن الأخرين دون الأولين في الشرف والمنزلة: يقول عن الجنتين الآخرين: فإن قلت كيف تفاوتت صفات هاتين الجنتين عن الأولين حتى قيل ومن دونهما؟ قلت: مدهمان دون ذوات أعين، ونضاحتان دون تجربان، وفاكهة دون من كل فاكهة، وكذلك صفة الحور والمنكأ (١).
والرازي يذهب إلى أن الجنتين الآخرين دون الأولين في المكان، كأنهم في جنتين ويطلعون من فوق على جنتين أخرين دونهما، واستدل بقوله تعالى: {فَمَّا عَرَفُنَّ فَوْقَهَا غَرَّ عَرَفُتْ} مَثْنَى وَفَيْرَبُ (الزمر: ٢٠) (٢) ونرجح أن الجنتين الآخرين دون الأولين في المنزلة والشرف وذلك لأمر:

الأمر الأول: لأن أوصاف الجنتين الآخرين تختلف عن صفات الأولين، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم وفهم الزمخشري ذلك.

الأمر الثاني: لما ورد في الصحيح أن في الجنة مائة درجة ما بين الدراجتين كما بين السماء والأرض، وساأتي الحديث عن ذلك.

وقد رجح ابن قيم الجوزية أن الجنتين يمتازان عن الآخرين بعشر صفات: الأولى: أنه ذكر في الأوليين بأنهما {ذُرَّانَا آثَانَا} (الرحمن: ٤٨) ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما.

الثالثة: أنه في الأوليين قال: {فَهُمَا عَيْنَاانِ نَضْحَاكَانِ} (الرحمن: ٥٠) وفي الآخرين قال: {فَهُمَا عَيْنَاانِ نَضْحَاكَانِ} (الرحمن: ٦٦) والتسخنها هي الفوارقة.

الثالثة: أنه وصف الأوليين بأن فيها {فَيْهَا فَيْكِهَا وَنَحْلُ وَرَجَابُ} (الرحمن: ٨٥) ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل وأفضل.

(١) الكشف للزمخشري ج ٤ ص ٥٠.
(٢) تفسير الرازي ج ٢٩.
الرابعة: أنه قال في الأوليين (منكرين على جريمة تآمرها من إسبرة) [ال الرحمن: 64] وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها. وقال في الآخرين (متكريم على رفقة حفظ وسعف جسان) [ال الرحمن: 67] وفسر المرفرف بالمحاسب والبسط وعلى كل قول لم يصف الآخرين بما وصف فرش الأوليين.

الخامسة: أنه قال في الأوليين (وحن الجنين دان) [ال الرحمن: 64] أي قريب.


السابعة: أنه في الأوليين وصف نساءهن بالباقوات والمرجان في صفاء اللون وإشراقته وحسنه، ولم يذكر ذلك في التي بعدها.

الثامنة: أنه قال سبحانه في الجنين الأوليين (هذل جرأة الجنين إلا اللهدى) [ال الرحمن: 66] وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل، فكان جزاهم بإحسان كامل.

الناتسعة: أنه بدأ بوصف الجنين الأوليين وجعلهما جزاء لمن خاف مقامه وهذا يدل على أنهما أعلى، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سبيه، ولما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنبي المقربين ثم بعد ذلك جنبي أصحاب اليمين.

العاشرة: أنه قال عن الأوليين (ومين دوينما جتنا) [ال الرحمن: 67] والسياق بدل على أنه نقيض فوق. فإن قيل كيف انسحت هذه الجنان الأربع على
من خاف مقام ربه قيل: لما كان الخائفون نوعين - كما ذكرنا - كان للمقرين منهم الجتان العاليتان، وللصحاب اليمنين الجتان اللتان دونهما(1).

وذكرت السنة أيضًا على أن عدد الجواند أربع، لا أكثر من ذلك؛ لما رواه الشيخان، والترمذي والملفظ لمسلم عن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: " وجتان من فصة آئتهما وما فيهما، وجتان من ذهب آئتهما وما فيهما، وما بين القوم أن ينظروا إلى ربيهم إلا رداء الكبرباء على وجههم في جنة عدن (2)" ولهذا يدل دلالة واضحة على أنهم أربع، أما ما جاء عن أسماء الجواند في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: "قص_day خاتم آئتها تذكر، وجتان: الفردوس - وجنات عدن - ودار السلام - ودار المقومة - ودار الخلد - وجنات النعيم - المقام الأمين - مقعد صدق.

فتلك كلها أسماء لها باعتبار صفاتها ومسماها واحد (3). يقول الحليمي في منهج الدين: "إنما منعتنا أن نجعل كل واحدة من العذب، والخمر، والتعيم جنة سوى الأخرى؛ لأن الله تعالى إن كان سمي شيئا من هذه الأسماء جنة في موضع، فقد سمي الجواند كلها بذلك الاسم في موضع آخر. فعلمنا أن هذه الأسماء ليست لتمييز جنة عن جنة، ولكنها للجنان أجمع، وقد أنى الله بذكر العدد فلم يثبت إلا أربعة (4). وقد اتضح لنا من الكتاب والسنة أن عدد الجواند أربع، لما ذكره الله عز وجل في سورة الرحمن؛ ولما ورد عن رسول الله ﷺ من أنهما أربع: جتان من فضة وجتان من ذهب.

درجات الجنة:

ونصي بالدرجات هنا المنازل التي ينزلها الله لعباده المتقين في الجنة، فكما أن الناس يتفاوتون في الإيمان والعمل الصالح فهم يتفاوتون أيضًا في منازلهم عند الله.

(1) انظر حادي الأرواح لابن قيم الجوزية ص ٧١، ٧٢، والفخر الرازي ج ٣٩ ص ١٣٠.
(2) صحيح مسلم ح ١ ص ١٩١ طبعة الحلي - وتحفة الأحويذ ح ٧ ص ٢٣٢.
(3) حادي الأرواح ص ٦٥.
(4) التذكرة للقرطبي ج ٢ ص ٥٩٧.
وعز وجل. ولقد تحدث القرآن الكريم عن درجات الناس ومنازلهم في الآخرة.

يقول الله عز وجل: (ولا يستوى القيادون إلى الهمم). بين الله المجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأعمالهم وآدمهم على القيادين درجة ونحوه. وعند الله الحسن وفضل الله المجاهدون على القيادين أجرًا عظيمًا) (النساء: 95-96) ويقول تعالى: 

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ذُرُّوتًا مِّنْ آدَمٍ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نُعُونًا وَإِذَا تَلَّتُ عَلَيْهِمْ أَيْنَ يُرِينَهُمْ رَآئِيَةً إِنَّمَا عَلَيْهِمْ نُفَضْلُ وَرَفَقُوهُمْ وَقَدْ تَفَقَّهُمْ) (الأيتام: 104).

وأولئك هم المؤمنون حقًا فلم درجت عند رئيهم ونفيسة وزرق حكيم) (الأنفال).

ويقول تعالى: (أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وفرزآهن أكثرك درجتين وأكثر تفضيلًا) (الإسراء: 21). وأغلب المفسرين على أن تلك الدرجات مقصودة بها منازل الآخرة، ودرجات الجنة.) (1). وهم يدل على أن الجنة درجات والمؤمنون يتفضلون فيها حسب إيمانهم وأعمالهم، ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن أهل الجنة يتراون أهل الغرفة من فوقهم كما يراون الكوكب الذي الغبار في الأفق من الشرق أو الغرب لتفاضل ما بينهم). قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغهم غيرهم. قال: بل هي: (2).

والذي نضمي بهده. رجال آنوا بالله وصدقوا المرسلين.

ويستدله ابن حجر بهذا الحديث على أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم حسب درجاتهم في الفضل، إلى حد أن أهل الدرجات العلى يراههم من هو أسوأ منهم كالنجوم، ومعنى ذلك أنهم في العلو كدرجة النجوم في السماء حين يراه الناس على الأرض.

---

(1) انظر الكشف إلى المخاطري ج، 1 ص 476، والفخر الرازي ج، 15 ص 124، والألوي ج، 9 ص 168.
(2) البخاري، وسلم ج، 2 ص 531.
ويدل أيضًا على درجات الجنة ما رواه الترمذي بسنده عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، وفيها تفجر أنهر الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون عرش الرحمن، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس» (١)。

والحديث صريح في أن الجنة درجات وأن في الجنة مائة درجة، وهذه الدرجات متباعدة جدًا لدرجة أن ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، وأن الفردوس أعلى تلك الدرجات لأنها تحت عرش الرحمن، ومنها تتفجر أنهر الجنة. وهذا الحديث الذي بين درجات الجنة موافق تمامًا لقوله تعالى: «وَلِلَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ الدُّنْيَا كُنَّا حَيْثُ نَزَّلْنَا لَيْسَ مَعَهُمْ حُكْمٌ» [الإسراء ٢٠].

وقوله ﷺ: «أما بين الدراجتين كما بين السماء والأرض، موافق للحديث السابق والذي فيه أن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الديري الغابر في الأفق.

أبواب الجنة وخزنتها:

يقول الله تعالى: «وَسَبِّبْ أَلْيَبَكَ آتِقُوا رَبَّكَ إِلَى الْجَنَّةِ رَمُّرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ وَفِي حُجَّةَ أَنْبِيَاهُمْ وَفَالَ مِنْ هَٰذَا نَفَسًا حَسْتُمْ عَلَى رَبِّكُمْ فَأَدْخِلُوهَا خَلِيلِيَنَّ» [البقرة ٥٣].

ويقول تعالى: «وَهَذَا ذُكُرْنَ وَلَعَلَّ الْمُتَفَكِّرِينَ لَيْسَ مَكَابِرٌ فَجِبَّةٌ عَنْ مَطَنَةِ اللَّهِ» [الأنبياء ٤٠-٥٠] والأبواب المفتوحة في الجنة تدل على التكريم والحفاوة من خزنة الدنيا. وفي الآية الأخيرة وجه تدل على التكريم كما يقول الرازي: «الأول: أن الملكة المشكلين بالجنان إذ رأوا صاحب الجنة فتحوا له أبوابها وحبوه بالسلام، ويدخل محفوظًا بالملكية على أعز حال وأجمل هيئة.»

(١) تفسير الأحودي ج١ ص٣٧٧. ٢٣٧
الثاني: أن هذه الأبواب كلما أرادوا فتحها فتحت لهم، وكلما أرادوا أنغلاقها انغلقت لهم.

الثالث: أن المراد من فتح الأبواب وصف تلك المساكين بالسعة ومسافرة العيون فيها ومشاهدة الأحوال الطبية (1)، وفيه أن أهل الجنة إذا دخلوا ظلت أبواب الجنة مفتوحة عليهم، وأما النار فإن أهلها إذا دخلوها أغلاقت عليهم لقوله تعالى: {إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ مُّوسَدَةُ} في عِمَّانِ مُّدْمِدُ (الهجرة: 8-9) [2] وقوله تعالى {فِي جَاهِلِيَّةِ احْتَيْتُ وَفَتَحْتُ أَبُوبيَّة} [الزمر: 37] يقول القرطسي: قال جماعة من أهل العلم هذه وأبو الثمانية، فللجنة ثمانية أبواب (3). وبدل على أن أبواب الجنة ثمانية، ما رواه الإمام البخاري بسنده عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: {في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الربان لا يدخله إلا الصائمون}. وقال النبي ﷺ: {من أنفق زوجين ذوي من باب الجنة} (4).

وروى الإمام مسلم بسنده عن عقبة بن عامر قال: أدركت رسول الله ﷺ قاتما يحدث الناس فأدركت من قوله: {ما من مسلم يتوضأ فيحصى وضوءه إلا وجبت له الجنة}. قال: فقلت: ما أجد هذا. فإذا قال ذلك بين يدي يقول: التي قبلها أجود فنظرت فإذا عمر قال: إنني قد رأيت جهد أبداً قال: {ما منكم من أحد يتوضأ} فبلغ أو فيسج الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله: {لا فتحت له}. أبابا، لأن بعض الأعمال تسوع الدخول من باب بهين كباريان، وبعض الأعمال تسوع للمؤمن أن يدخل من أي الأبواب أراد. وعن اتساع أبواب الجنة روى

---

(1) الفتح الرازي ج ٢٦ ص ٢١٩.
(2) ونظر حادي الأرواح ص ٣٩.
(3) نفسه ص ٢٨، ونظر التذكرة للقرطي ج ٢ ص ٥٤٨.
(4) فتح الباري ج ٦ ص ٢٥٣.
(5) صحيح مسلم ج ١ ص ١١٨.
الترجمي بسندته عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: "باب أمني الذي يدخلون منه الجنة عرشه مسيرة الراكب المعقود ثلاثًا. ثم إنهم يضغطون عليه حتى نكاد مناكبهم تزول" (1).

ووجه الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث الأخرى التي تثبت أن للجنة ثمانية أبواب أن سائر الأمة سوف تدخل من هذا الباب، وأن بقية الأبواب هي للممتازين بالأعمال الصالحة كالصدقة والجهاد، والصوم، والحج، وغير ذلك من الأعمال.

ومما يدل على سعة أبواب الجنة ما رواه مسلم في حديث الشفاعة الطويل فيه: "ففيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمنك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. والذي نفس محمد بدء إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكيما بين مكة وهجر، أو كما بين المكة وبصرى" (2).

ودلالة الحديث على أن أبواب الجنة في منتهى الاتساع، فإن الراكب المُجد غاية الإجادة على أسرع هجين لا يفتر ليلًا ولا نهارًا يقطع هذه المسافة في زمن ليس بالispers (3).

خزنة الجنة:

إن للجنة خزنة أي مؤمنين على الجنة، لا يدخلها أحد، إلا بعد أن يفتح خزنتها أبوابها. والخزنة جمع خازن كمحارف وحفظة. والخازن هو المؤمن على الشيء (4).

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر الخزنة في قوله تعالى: "فوضع لَزِمَّةً مِّنَ الْبَيْنِينَ أَنْ قُوَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَرَزَقْنَاهُمْ حَيَاتًا لَّانْهَارًا" وقال "أَبُوَّاهُ مَعْلُومًا حُزُنًا سَلَمَ" (5).

(1) تحقیق‌الاحوازي، ج1 ص 268
(2) صحيح مسلم، ج1 ص 413، طبعة الاحوازي.
(3) حادي الأزواج، ج3 ص 43.
(4) نفسه، ص 75.

الجنة جزاء للمؤمنين:
تكثر الإشارة في القرآن الكريم إلى أن الله عز وجل أعد الجنة للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، وأشار رسول الله ﷺ في ذلك في أحاديث كثيرة. يقول الله عزّ وجل: "أَوْلَدْنَا وَمَلَائِكَتَنَا مَنْ تَشَاءۢ مِنَّا أَصْحَبَ الْجَنَّةَ أَوْلَٰٰئِكَ آَسَمَحْتُ بِالجَنَّةَ لَهُمْ فِي هَٰذَا خَلِيْلَنَا [البقرة: 208]" ويقول تعالى: "أَوْلَٰٰئِكِ أَصْحَبُ الْجَنَّةَ هُمْ فِي هَٰذَا خَلِيْلَنَا أَوْلَٰٰئِكَ مَعْصِرُوٓ بِالْإِيمَانِ يُحَفُّوهُمْ عِنْدَنَا حَرِيمًا [هود: 132]" ومعظم آيات القرآن الكريم تربط بين الإيمان والعمل الصالح لدخول الجنة. ووردت الأحاديث التي تفيد ذلك.

فَقِدْ رُوِىَ الإِمَامُ مُسَلِّمٌ عِنْ مُوسَى بن طلحة عن أبي أيوب قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل أعمله يدنيني من الجنة وبابدني من النار. قال: "تَعَبَّدِ اللَّهَ وَلَا تَشَرَّكَ بِهِ وَتَقَيِّمُ الصَّلَاةَ وَتَؤْتِيِ الزَّكَاةَ وَتَنْصَلِذَا رَحْمَكَ". فلما أدربر قال رسول الله ﷺ: "إِنْ تَنْشِكَ بِهِ دَخُلُ الجَنَّةِ" (2) وَرَوَى مُسَلِّم بسنده أيضًا عن أبي هريرة أن أُغرِبًا أن جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: "تَعَبَّدِ اللَّهَ وَلَا تَشَرَّكَ بِهِ وَتَقَيِّمُ الصَّلَاةَ وَتَؤْتِيِ الزَّكَاةَ وَتَنْصَلِذَا رَحْمَكَ". قال: "أَوْلَٰٰئِكِ وَالذِّي نَفْسِي بِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَٰذَا شَيْئًا أَيْبًا وَلَا أَنْقَصُ مِنْهَ". فلما ولي قال النبي ﷺ: "فَمَنْ سَرَّ أَنْ يَنْتَظِرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُنْتَظِرْ إِلَى هَٰذَا" (3) وهذه الأحاديث مع

(1) صحيح مسلم ج 1 ص 105
(2) صحيح مسلم ج 1 ص 264
(3) صحيح مسلم ج 1 ص 262
آيات القرآن الكريم تربط بين الإيمان والعمل الصالح لدخول الجنة.

وقد وردت أحاديث أخرى تبين أن مطلب الإيمان فقط يدخل الإنسان الجنة. من تلك الأحاديث ما رواه الإمام مسلم بن سهيد عن المعروز بن سويد قال: سمعت أبا ذر يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: "أثنان جبريل عليه السلام. فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة. قلت: وإن زني وان سرق؟ قال: وإن زني وإن سرق".(1)

وروى مسلم أيضًا عن أبي ذر قال: "ثبت النبي ﷺ وهو نائم عليه ثوب أبيض، ثم أتيته فإذا هو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فجلست إليه، فقال: دم من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت: وإن زني وإن سرق؟ ثلاثًا ثم قال في الرابعة: وعلى رغم أنف أبي ذر قال: فخرج أبو ذر وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر.(2)

وهذه الأحاديث تبين أن الشهدتين تدخلان الإنسان الجنة، حتى وإن زنى وإن سرق. والعلماء مختلفون في ذلك، وسوف نعرض للآراء بالتفصيل عند الحديث عن الخروج في النار، ومذاهب العلماء في هذا، والذي يهمنا هنا أن نثبت رأي أهل السنة في أن من آمن وعُيِّن صالحاً أدخله الله الجنة، ليس على سبيل الاستحقاق والوجوب، وإنما على سبيل الفضل والرحمة، وأن من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله ومات على كبيرة من غير توبة; فهو في مشيئة الله إن شاء فقا عنه وإن شاء عليه. إلا أن أهل السنة ي<<<무تعون بأن من شهد الشهدتين ومات على كبيرة ولم يتب; فإن الله لن يخليده في النار، بل يخرج من النار ويدخل الجنة، لا بطرق الوجوب، وإنما بمقتضى ما سبق من الوعد وثبت بالنديون كتخليد أهل الجنة. ويستدل أهل السنة على ذلك بوجه منها: الآيات والأحاديث الدالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة، وليس ذلك قبل دخول النار وفقًا، فتعين أن يكون بعده وهو مسألة انقطاع العذاب، أو بدونه وهو مسألة العفر العام. فإن الله عز وجل

(1) صحيح مسلم ج 1 ص 52
(2) صحيح مسلم ج 1 ص 53
قال قال: (فَمَن يَسْتَعْمَلٌ يَشْفِكَانِ ذَرْنَةَ حَبِيبَ بَيْرَمٍ) [الزلزلة: 7] وقال تعالى (وَمَن يَسْتَعْمَلُ مَنَّكَهُ مَنْ دَجَّلَ أَوْ أَنْتَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأَوْلَوْكُمُ يُدْخِلُونَ الْجَنَّةَ) [غافر: 40].

واستدلوا بالأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ - مثل: (فم مثاق لا إله إلا الله دخل الجنة) ومثل قوله (فم مثاق لا إله إلا الله) (ومن مات لا يشرك بالله شيئا دخل الحنطة) وإن زنى وإن سرق.(1)

وأيضاً النصوص المشهورة بالخروج من النار كقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كُفَرُواْ مِنْ فِيْهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) [الأعوان: 128] وكقوله تعالى (فَقُلْ رَحْمَةً عَنِ الْكَايِرِ) (وَأَدْخِلِ الْجَنَّةَ فَعَدَّلْ قاز) [ال عمران: 185] (2).

اطفال المسلمين وأطفال المشركين وأهل الفترة:

ما دمت قد تحدثنا عن أن الجنة مأوى للمؤمنين الذين عملوا الصالحات، والمؤمنين الذين نطقوا بالشهادتين، فلنكشف حديثا بيان حكم أطفال المسلمين وأطفال المشركين وأهل الفترة.

أولاً: أطفال المسلمين:

يقول الله تعالى: (فَأَوْفِي، وَجَهَّهْهَا لِذِينَ حَسِبُواْ فَطَرَتْ اللَّهُ أَنْ أَقْطَرَ الْعَسَّ) (وَلَا تَطُبِّقُواْ لَهَا حَيَّةً) (وَلَا تَكُنْ أَنْتُمْ أَكْسَبُواْ أَنْتَانِ) (يَسْلُمُونَ) [الروم: 30].

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من

(1) مسلم.

(2) انظر في رأي أهل السنة المقصود للسعد ج 2 ص 167، 168، وشرح المواقِف للإيجي ج 2 ص 445 - 447، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ج 1 ص 218: 200، وفتح المنعم شرح صحيح مسلم ج 1 ص 492، 495 - وستتعرض بالتفصيل لرأي المعتزلة وأهل السنة في الخاود في النار.
ولمَّا يولد على الفطرة فأباه يهودته وينصرانه ويمجسه، كما تنتج البهيمة بهيئة جمعه هل تحسن فيها من جدعاه، (١) ثم يقول أبو هريرة: واقروا إن شتم فطرت أنبأ في سُكارٍ النفس على الله تعالى لا يشترط لها لحقيته. [الروم: ٢٠] يقول النووي: "اجمع من يعتقد به من علماء المسلمين أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة، لأنه ليس مكلفًا، وتوقف فيه البعض" (٢) والفطرة المذكورة في الآية والحديث مربد بها الإسلام. وهذا هو المعروف عند عامة السلف وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى "فطرت أنبأ في سُكارٍ النفس على الله تعالى" [الروم: ٢٠] مراد بها الإسلام (٣) وما دام الطفل قد مات على الفطرة، أي على الإسلام، فقد أصبح من أهل الجنة. وبالإيجاب كثير فنقل الإجماع ورفع الخلاف بين العلماء في كون أطفال المسلمين في الجنة. يقول: "لا خلاف بين العلماء أنه من أهل الجنة، وهذا هو المشهور بين الناس ونطق به" (٤) ونحن مع ابن كثير في أن كونهم في الجنة هو المشهور بين الناس، ونسا معه في أنه لا خلاف بين العلماء في ذلك، فقد توقف بعض العلماء في ذلك وحتجهم في ذلك، ما رواه مسلم بسنده عن عائشة أم المؤمنين قالت: توفي صبيًّ، فقلت: طوبي له! عصغروه من عصابي الجنة. فقال رسول الله ﷺ: "أولاً تدرين أن الله خلق الجنة وخلق النار، فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً" (٥).

وقد أجاب العلماء على من توقف في كونهم من أهل الجنة بناء على هذا الحديث بأن الرسول ﷺ لعله نهانا عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع (٦) وذكر البيهقي في الاعتقاد وأخ حزم في الفضل أن الرسول

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٤٥٨.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٦ ص ٢٠٧.
(٣) فتح الباري ج ٣ ص ١٩٤، ١٩٣.
(٤) مختصر ابن كثير ج ٢ ص ٣٧١.
(٥) صحيح مسلم ج ٢ ص ٤٥٩، ٤٦٠.
(٦) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٦ ص ٢٠٧.
قال هذا قبل أن ينزل قوله تعالى: {} \( والذين عما تدعونا وأنتممهم دعوتهم بإيابٍ {} \) [الطور: 21] فلما نزل ذلك وأكرم الله أمة محمد بإلحاق ذريته المؤمن به وإن لم يعملوا عمله، وجاء الأخبار تدل على ذلك أي على دخولهم الجنة (1).

فقد روى الإمام مسلم بن سعد عن أبي حسان قال:


وهذا نص صريح في أن أطفال المسلمين في الجنة. أما الحديث الذي احتج به من توقف فيهم وهو حديث عائشة: "عصوم من عصابات الجنة" (3). فلا حجة لهم فيه، كما يقول ابن حزم: لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل أن يوحي إليه فلم أروحي إليه بأنهم في الجنة ذكر أنهم دعابيس الجنة: أي صغرهم - وهناك بعض الأشياء التي قالها الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يعلمه الأحوية بغيرها. منها ما قاله لعثمان بن مظعون: "لما أدرى أنا رسول الله ما يفعل بي". وكان هذا قبل أن يخبره الله عز وجل بأنه لا يدخل النار من شهد بدار (4) ولهذا ما نميل إليه، لأن أطفال المسلمين ماتوا على الفطرة، ولم يفعلوا شرًا حتى يجازوا عليه، ودلالة الأحاديث على ذلك.

ثانيًا: أطفال المشركين

إذا كان هناك شبه اتفاق بين العلماء على أن أطفال المسلمين إذا ماتوا في الجنة؛ فإن العلماء اختلفوا في أطفال المشركين. فذهبت طائفة إلى أنهم في النار، وطائفة ثانية إلى التوقف في حكمهم، وطائفة ثالثة إلى إمتحانهم يوم القيامة، (1) الاعتقاد والهدية إلى طريق الرشاد ص 167، 167 للإمام أبي بكر أحمد بن حسين البهولي - تحقيق أحمد عصام الكابب - منشورات دار الآفاق الجديدة - الطبعة الأولى 1981.
(2) مسلم ج 2 ص 448.
(3) انظر ص 278 من هذا البحث.
(4) الفصل لأبي حزم ج 3 ص 263.
وطائفة رابعة إلى أنهم في الجنة. ومن عرض لآراء العلماء ونرجح ما نراه على ضوء النصوص الواردة في القرآن الكريم والراجحة من أحاديث الرسول ﷺ.

الطائفة الأولى:

ذهبوا (1) إلى أنهم في النار تبعًا لأنهم وفروا النار. واستدلالهم بقول الله تعالى حاكياً على لسان نوح ﷺ: "وبالآ ينجو ضياءٌ لا ينجو علّ الأشيَّات من الظَّهَّارين دُيَاراً إنكَ إن تَذْهَبْ يُشَرَّبَوا بِعَسَاكَدَدٍ وَلا تَدْلَوَّا إِلَّا نَفْخًا سَكَفَّارًا" (نوح: 22-27) واستدلالهم أيضًا بما روى عن أم المؤمنين خديجة أنها سألت رسول الله ﷺ عن أولادها منه فقال: "هم في الجنة، وسألته عن أطفالها من غيره قال: في النار، فأعادت السؤال فقال يعن تابعهم: (2) ويفندهم حجة هؤلاء فيما أوافقه أن قول نوح عليه السلام ليس على إطلاقه، فإنه لم يقل ذلك على كل فإكر، بل قال ذلك على كفار قومه خاصة؛ لأن الله تعالى أخبره بأنهم وفروا فليم يفهموا من قومهم إلا من فقيرًا (هود: 39-40) فعندئذ أيقن نوح أنه لن يؤمن من قومه أحد فدعاه عليهم. ولو كان الكفار لا يلدون إلا الفقراء فما يقال في كبار الصحابة. فمع كون آباءهم كفارة إلا أنهم كانوا من السابقين الأولين. ويفندهم حوز قول الذين استدلالنا به الحديث أم المؤمنين خديجة، فيقول: إنه خير ساقط مطرح لم يروه فعل في خير (3).

الطائفة الثانية:

توقفوا في حكمهم ولم ي_CTXتو بدخولهم الجنة أو النار. واستدلالهم بما رواه الإمام مسلم بنسنده عن أبي هريرة قال: "وثب رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين، من يموت منهم صغيرًا. فقال: "لله أعلم بما كانوا عاملين" (4).

---

(1) منهم الأزارة أتباع نافع من الخوارج. انظر الملل والنحل للشهيرستاني بهامش الفصل لابن حزم ج 2 ص 127.
(2) المقصود للسعد ج 2 ص 168.
(3) الفصل لابن حزم ج 4 ص 31، 23.
(4) صحيح مسلم ج 2 ص 459.
وأما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين» (١) ومعنى الحديث كما قال ابن قتيبة: الله أعلم بما كانوا عاملين لو أبقاهم، فلا تحكموا عليهم بشيء (٢). ومال البهقي إلى ذلك، يقول عن حكم أولاد المشركين: إن حكمهم في الآخرة موكل إلى علم الله عز وجل (٣) وبرد ابن حزم على هذه الطائفة، بأن قوله ﷺ الله أعلم بما كانوا عاملين قبل أن يوحى إليه أنهم في الجنة (٤).

الطائفة الثالثة:

ذهبت إلى أن أولاد المشركين سوف يمتحنون يوم القيامة (٥) بمعنى أن يكلفهم الله بأمر ونهاهم، فإذا أطاعوه أدخلهم الجنة، وإذا عصوه أدخلهم النار، واستدلوا بخبر عن رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة فإن الله يمتحنهم ويبعث إليهم رسولًا في عرضة القيامة فمن أجابه أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار». فهناك يظهر فيهم ما علمه الله سبحانه وتعالى عليهم من العلم - وهو إيمانهم أو كفرهم - وذهب إلى ذلك ابن تيمية واعتبر أن هذا «أجود ما قيل في أطفال المشركين» وأصله على ابن تيمية ومن ذهب مذهب الحديث في الحديث الذي يستدلون به على الامتحان لأطفاله في الآخرة صعب في حق المجانيين وأهل الفترة.

يقول ابن حزم: «هذا القول باطل؛ لأن الأثر المذكور في هذه القصة إنما جاء في المجانيين وفلا ينبغي أن يبعد عنه ذكر الإسلام» (٦) وذكر ابن حجر في الفتح أنه قد صحت مسألة الامتحان في حق المجانيين ومن مات في الفترة من طريق صحيحة (٧).

(١) فتح البخاري ج ٣ ص ١٩١.
(٢) الأعراف للبيهقي ج ١٦٥.
(٣) ابن حزم ج ٤ ص ٢٤.
(٤) المقاصد للسعد ج ٦ ص ١٦٨.
(٥) مجموع الفتاوى ج ٤ ص ٢٤٧.
(٦) الفصل ابن حزم ج ٤ ص ٢٤.
(٧) فتح البخاري ج ٣ ص ١٩١.
الطائفة الرابعة:

ذهب إلى أن أطفال المشكرين في الجنة، واستندوا على ذلك بقول الله عز وجل (ومَّا كَانَ مُتَّقِينِينَ حَتَّى نُبِّئُكُم رِسُولَ اللَّهِ) [الإسراء: 15].

ومعلوم أن الأطفال لم يبعث الله إليهم رسولًا. ويستندون بقوله تعالى (كُلُّ نَبِيٍّ كَانَ رَفِيعًا) [الصمد: 82] والطفل لم يكتسب إثما حتى يعذب (1).

ويستند على أن أطفال المشكرين في الجنة بما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة. فأبوه يهودته أو ينصرته أو يعجسائه، فكما البهيمة تنتجه الفطرة، هل ترى فيها من جدعاء؟ (2). وذهب البخاري إلى أن أطفال المشكرين في الجنة يقول ابن حجر: وقد جزم في تفسير سورة الروم بما يدل على اختيار القول الصائر إلى أنهم في الجنة (3) ورجح النووي ما ذهب إليه البخاري، وذكر أن الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة (4).

واستند بقول الله تعالى (ومَّا كَانَ مُتَّقِينِينَ حَتَّى نُبِّئُكُم رِسُولَ اللَّهِ) [الإسراء: 15].

وأما رواد البخاري بسنده عن سمرة بن جندب وفيه قول الرسول ﷺ: فافطلنا حتى انتهينا إلى روضة حضرموت، فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ وصبيان، وفي نهاية الحديث، والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان من حوله أولاد الناس (5) ولدالة الحديث أن أولاد الناس - وهو اسم جنس يشمل المؤمن والكافر - حول إبراهيم عليه السلام في الجنة، والفطرة في الحديث معناها الإسلام كما هو معروف عند السلف (6).

(1) انظر الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص 377، 378.
(2) فتح الباري ج 3 ص 192، 193، 194.
(3) فتح الباري ج 3 ص 190.
(4) مسلم بشرح النووي ج 16 ص 208.
(5) فتح الباري ج 3 ص 196، 195.
(6) فتح الباري ج 3 ص 192، 193، ومسلم بشرح النووي 16 ص 208.
وانتصر ابن حزم للرأي القائل بأن أطفال المشركين في الجنة، وفقد أدقته الذين توافقوا في أمرهم، والذين ذهبوا إلى أنهم في النار، والذين قالوا بامتثالهم يوم القيامة. يقول: وجدنا الله تعالى قد قال (مأطر وجهكه اللتين خينقا فطرت الله) أي فطر الناس عليها، ودينا لحق الله منها، ذلك أنبأ الله القوي والكريم. أصح أنفس الله لا يعلمون [(الروم 30)] وقال (صيغة الله وصيغة الله صيغة وصيغة نور عزيز) [(البقرة 138)] نص الله تعالى على أنه فطر الناس على الإيمان، وأن الإيمان هو صيغة الله تعالى، وقال الله تعالى (وزاد أخذ ينف من بين ماء من نهر بهذين دينهما وشهدم على أنفسهم أنهم يركبون) قالوا بل شهدنا أن نقولوا يوم أقيمتها إنها سكنة عن هذا عظيم [(العصر 172)].

وقال تعالى (إني يكادى ليس الله عليهم شتاين إلا من أنعك من أنفسك) [(الحجر 24)] يقول ابن حزم: فصيح يقينا أن الغواية داخلة على الإيمان، وأن الأصل في كل واحد هو الإيمان، وكل مؤمن فهو في الجنة.

وقال تعالى (قد تركت نار تطأها لا يعقلها إلا الأشقي) [(اللilik 14-16)] ولبيست هذه صفة الصبيان، فصيح أنهم لا يدخلون النار. ولا دار إلا الجنة، ويقول: صبح الشابث من السنن وصحيحها أن جميع من لم يبلغ من أطفال المسلمين والمشركين ففي الجنة، ولا يحل لأحد تعدي ما صيح بالقرآن والسنة. والحق ما ذهب إليه ابن حزم، فهو الذي تتضمه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهو الذي يتفق مع روح الإسلام.

* * *

(1) الفصل لأبي حزم ج 4 ص 164، 89.
أهل الفترة:

ونقصد بأهل الفترة الذين لم تبلغهم رساله الإسلام سواء قبل بعثة الرسول ﷺ، أو بعد بعثته، والمشهور أنهم لا يذيبون لعوم توله تعالى (وَأَمَّنَّاهَا كَأَمَّنَاهُنَّ) حيثُ يُعَلَّمُونَ رسولًا ﷺ (الإسراء: 15) وهذا ما عليه أهل الكلام من الأشاعرة، وأصحاب الأصول والشافعيون من الفقهاء، أن أهل الفترة لا يذيبون. وأطلقوا القول في ذلك. فإن قال: قد صح عذاب جماعة من أهل الفترة فقد أجيب بأن أحاديثهم آحاد، لا تعارض القطع بعدم التعذيب قبل البعثة، أو يجوز أن يكون التعذيب مقصورًا على من غيّر وبدل من أهل الفترة بما لا يعذر به كعبادة الأوثان وتغيير الشرائع. كما فعل عمرو بن لحي (1) وهو أول من أعلن الساعية.

وذهب بعض العلماء إلى أنهم يُمتنعون، بمعنى أن كلهفهم الله يوم القيامة ويأمرون بهم، فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار، واستدلوا ببعض الأخبار التي وردت عن رسول الله ﷺ في ذلك. منها ما رواه البزار عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «الهالك في الفترة والمعاتير والمولود. يقول الهالك في الفترة: لم يأتي كتاب. ويقول المعتير: رب لم تجعل لي عقله أعلقه بخير ولا شر. ويقول المولود: رب لم أدرك العقل. فترفع لهم النار فيقال لهم: ردوها. قال: فيردوا منها كان في علم الله سعيدًا لو أدرك العلم، ويمسك عنها من كان في علم الله شقيًا لو أدرك العميل، يقول: إياي عصينم، فكيف لو أن رسلك أتكم؟ (2).»

وأما رواه معاذ بن جبل; أن رسول الله ﷺ قال: «وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﻋَلَيْهِ ﻭُلُوَّهُ ﻛَانَ مِنْ أَنْثِيَةِ عَقِلًا ۖ وَبِالْهَالِكِ فِي الْفَتْرَةِ وَبِالْهَالِكِ صَغِيرًا.» فيعود المعسوك: «بـ ث لـ وَلَآً إِيَّيَّ عَقِلًا مَا كَانَ مِنْ آنْثِيَةِ عَقِلًا بَعْضَ مَنِيـ. وَذِكَرَ فيِ الْهَالِكِ فِي الْفَتْرَةِ وَالصَّغِيرِ نَحْوَ ذَلِكَ.» 

(1) روح المانيي للألوسي ج1 ص36، 320.
(2) ابن كثير ج3 ص30.
وجل: إنِّي آمرك بَيْنِ أمرٍ فَطْيِعُوني؟ فِيقولون: نعم. فيقول: أنَّهُوا اندهبوا فادخلوا النار.
قال: ولو دخلوها ما ضررتهم، فتخرج عليهم قوائقهم، فظنون أنها قد اهلكت ما خلق الله من شيء، فزعموا سراً، ثم بأمرهم الثانية فخرجون كذلك. فيقول الربُّ عز وجل: قبل أن أخلقكم علت ما أنتم عاملون، وعلى علمي خلقكم، وعلى علمي تصبرون.
فتأخذهم النار (1) وهذه الأخبار وردت من طرق متعددة (2) كما جاء في الإصابة.
يقول ابن حجر: «قد صحت مسألة الامتحان في حق المجون ومن مات في الجاهلية من طريق صحيحة (3)، وحكى البيهقي في الاعتقاد بأن ذلك هو الصحيح والبعض رد هذه الأخبار بناءً على أن الامتحان في الآخرة لا يجوز لأن الآخرة دار جزاء ولا تكليف فيها. وينتقد ابن كثير هذا الرأي يقوله: لا شك أن الآخرة دار جزاء، ولا ينافي التكليف في عرقاتها قبل دخول الجنة والنار، وقد قال تعالى «وَيَكْنِفۡ عَن سَانِيكَ وَيَبْعَيۡنُونَ إِلَى الْشَّجَّورِ فَلا يَكْتِبُونَ»[القسم: 44] وقد ثبت في الصحاح وغيرها أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة، وأن المنافقين لا يستطيعون ذلك، ولا تُرده هذه الأخبار يحجة أنهم كيف يدخلون النار وليس ذلك في وسعهم؟ فاليس هذا يمنع صحة الحديث، فإن الله يأمر عبده بالمرور على الضراط، وليس دخولهم النار بأعظم من المرور على الضراط.
وقد ثبت في السنة أن الدجال الذي يأتي قبل قيام الساعة معه جنة ونار، وقد أمر الشارع الذين يدركونه أن يشرب أحدهم من الذي يرى أنه نار، فإنه يكون عليه برداً وسلامًا، فهذا نظير ذاك (4).
وتجزأ النبي القائل بأن أهل الفترة يمتحنون في الآخرة لصحة الأحاديث الواردة في ذلك. وهذا أفضل ما يجب أن يُحمل عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في أهل الفترة ومن في حكمهم كلاً الذين لم نبلغهم دعوة الإسلام.

(1) نفسه.
(2) روح المعاني للألوسي ج 5 ص 41.
(3) فتح الباري ج 31 ص 191.
(4) ابن كثير ج 31 ص 31، والاعتقاد للبيهقي ص 17 وما بعدها.
نعيم الجنة:

مما يذكره القرآن الكريم والسنة المطهرة النعيم الذي يتنعم به أهل الجنة، الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، وفيها الزروع المطهرة، وفيها رضوان الله الذي يحله على المؤمنين في الجنة. يقول الله تعالى: {وَأَلْبَسُواْ مَآءَ الْحَيَاةِ الْأَلْقَابَةِ} [الإسحاق: 15]. 


1. تفسير الفخر الرازي ج2 ص 146.
2. رواه الإمام مسلم ج2 ص 532.
ولا غرابة في طعام أهل الجنة وشرابهم مع عدم بولهم وتبغوتهم. ويدكر القرآن الكريم أيضًا عن طعامهم أن لهم: "وَفَطَكَّهَا يَمِينًا بِحَيْوَانَيْنَ (الواقعة: 20-21)" وأخبر رسول الله ﷺ عن طير الجنة ولذتها. روى الترمذي بسنده عن أبي سعيد: قال: سأل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ فقال: "ذاك نهر أعظم الله - يعني في الجنة - أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، فيه نثر أعلاه كأعناق الجزر، قال عمر: إن هذه لناعبة. فقال رسول الله ﷺ "أكنها أعمّ منه"(CIA).

قال الترمذي هذا حديث حسن. ومعنَّى أنها نامعة أي سمن مترفأ. وسُيَّل رسول الله ﷺ عن أول طعام أهل الجنة فقال فيما رواه مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن يهوديا سأله الرسول ﷺ عن أول الناس إجازة. قال: "فقراء المهاجرين، قال اليهودي: وما تحتفتون حين يدخلون الجنة؟ قال: "زيادة كبد النون" قال: "فما غذاوهم على إثرها؟ قال: "ينحور لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها"(CIA).

وأما شراب أهل الجنة. فإن القرآن الكريم عددًا أصنافًا شتى من الشراب لأهل الجنة، فهم يشربون: "من كُلِّ مَّاءٍ كَانَ مَرَّاَجُهَا سَحَافِيًا (الإنسان: 5-6) والأبار يوم القيامة (يس: 24) من يَّمِينِ مَخْتُومٍ (يس: 31) وَمَا يَّمِينُ مِنْ تَسْنِيمٍ (يس: 31) يَّمِينًا يَتُبْرَبُّ يَهَا (المقرونة: 28-29). ومعنَّى الرقيق المخنث أن الأبار يشربون من شراب مختوم عليه، تكريمه له بالصيانة، وعلى ما جرت العادة من ختم ما يكرم أو يصب، وهناك خمر آخر منه الأنهار التي ورد ذكرها في قوله تعالى: "وَأَنْتَ مِنْ حَمِّ لَدَّنِى الْإِشْتِرَاءِ" (محمد: 15) إلا أن هذا الرقيق المخنث أشرف وأطيب وأذى من أنهار الخمر المشار إليها، والمعنى لذاذا المقطع وذكاء الرائحة مع طيب الطعام والتفسير علم لعين في الجنة، إما أنها أرفع شراب في الجنة وإما أنها تأتي للأبار.

(1) تفسير الأخودي ج ٧ ص ٢٥٠ .
(2) صحيح مسلم ج ١ ص ١٤٢ .
من فوقهم. قال ابن عباس أشرف شراب أهل الجنة هو تسنيم، لأنه يشربه المقربون صرفاً. ويعزز لأصحاب اليمين» (1).

وأما مساكن أهل الجنة فإن القرآن الكريم يذكر عن تلك المساكن أنها طيبة.

يقول الله تعالى: «وَسَكَنَتْ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّتٍ عَدَنَّ ذَلِكَ أَجْرُ ٱلْكَفِيرِينَ» (الصف: 24).

و تحديث الرسول ﷺ عن تلك المساكن الطيبة - فيما رواه مسلم بسنده عن عبد الله بن قيس بن أبيه عن النبي ﷺ - قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوحة طولها ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون بطول عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا» (2).

وروى الترمذي بسنده عن النعمان بن سند عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: فإن في الجنة لنغرق أي ظهرها من بطنها وبطنها من ظهرها. فقام إليه أعراء يقول: لمن هي يا نبي الله؟ قال: هم لم أنجب الكلام، وأطاعه الطعام، وأدام الصباح، وصلى لله بالليل والنهار نياً» (3).

وعن زوجات أهل الجنة ذكر الله عز وجل أن للمؤمنين أزواجًا مطهرة - من الحيض والاستحاضة وجميع الأفكار - يقول الله تعالى: «إِنَّ ٱلْمُتّقِينَ فِي مَكَابِرٍ أَيِّمَنَ ۖ ۖ فِي جَنَّتٍ وَغُصْنٍ» (الكدان: 51-52) ويقول عز وجل عن تلك الحور: «حُرُرَ مَقَصُورَةٌ فِي لَهْجَاتِ ۖ [الرحمن: 72].

عن ابن عباس: الحور في كلام العرب البيض. وكذا قال قتادة، وقال مjahad:

الحور العين التي يحار فيها الطرف بادئًا من سقوتهنم من وراء ثيابهم، ويرى الناظر وجهها في كبد إحداهن من رقة الجلجل وصفاء اللون» (4) ومعنى مقصورات في

(1) تفسير الفخر الرازي ج 31 ص 99، 100، وحادي الأرواح ص 129، 130.
(2) صحيح مسلم ج 2 ص 534.
(3) تفسير الأحوذي ج 7 ص 231.
(4) حادي الأرواح ص 150.
الخيم الآية وصفهن الله بصفات النساء المخدرات المصصونات، وذلك أجمل في الوصف. ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفقرن الخيم إلى الغرف والبساتين، كما أن نساء الملوك وغيرهن من النساء المصصونات لا يُتعنَّن أن يخرجن إلى البساتين وغيرها، فوصفهن اللازم لهن القصر في البيت، ويعرض لهن الخروج مع الخدم للتنزه 1).

وعن صفة الحور العين ورد قول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم عن أبي هريرة:

{إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضواء كوكب دري في السماء، لكل مريض منهم زوجتان اثنتان، يرخ مخ سوتهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب 2)。

وروى البخاري بسنده عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

{الروحة والغذوة في سبيل الله أفضل من الدنيا وما فيها. الحور العين وصفهن يحار فيها الطرف، شديدة سواد العين، شديدة بياض العين، وزوجناهم بحور أنكحناهم; ومعنى يحار فيها الطرف: أي يتحير. ومعنى زوجناهم بحور أنكحناهم: أي جعلناهم أزواجنا أي اثنيان اثنين؛ كما تقول زوجت النحل بالنحل، والمعنى جعلنا ذكران أهل الجنة أزواجنا بحور من النساء 3).}

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أن المؤمن يعطي قوة مائة رجل من الرجال في الجماعة. روى الترمذي بسنده عن أبي عبد الله بن النبي ﷺ قال: {يعطي المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في الجماعة}. قيل: يا رسول الله أو بطيط ذلك؟ قال: {يعطي قوة مائة} 4 والقوة هنا كتابة عن الجماعة كعشرين أو ثلاثين أو مائة.

____________________
(1) نفسه ص 154
(2) صحيح مسلم ج 4 ص 2178، 2179
(3) فتح الباري ج 6 ص 11
(4) نفسه.
(5) تهفة الأخوذي ج 7 ص 241
الجنة والنار

والمعنى أن المؤمن لم أراد ذلك لأعطي القوة؟

التزاور بين أهل الجنة:

من ألوان النعيم في الجنة التزاور الذي يكون بين المؤمنين في الجنة ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك التزاور وتحدث عنه الرسول ﷺ مبيناً أن هذا التزاور من تمام النعمة والمتتعة على المؤمنين في الجنة. يقول الله تعالى: "وَلَتَرَوُنهَا عَلَى نُفْسِهِنَّ كَثِيرًا (١) يَقُولُوا اِنَّا سَكَنْنَاهَا فِي أَهْلِهَا مُشَفَّقِينَ (٢) فَقَمْتُوا عَلَى عَدَابِ السَّمَوَاتِ وَأَهْلِهَا وَقَدْ عَدَبُونَا (٣) فَقُلْ إِنَّا سَكَنْنَا فِي نَعْمَةٍ بَلْ نَعْمَةٌ يَوْمَ الْجُلُدُ (٤) [الطور: 42-28]."

وهذا التزاور بين المؤمنين إشارة إلى أنهم يعلمون ما جرى عليهم في الدنيا

ويذكرهم، فتزداد لذة المؤمنين، حيث يقول أنفسهم قد انقلوا من سجن الدنيا

إلى جنة الآخرة، وهذا أعظم نعيم بالقياس إلى الدنيا وشفائها (٢). وروى الترمذي

حديثًا طويلة عن رسول الله ﷺ بين زيارة المؤمنين بعضهم لبعض وزيارتهم لربهم

في الجنة، وما يعود عليهم من النعيم والمعت في ذلك.

روى الترمذي بسنده عن سعيد بن الممسب؛ أنه لقي أبا هريرة، فقال: أبو هريرة

أسأله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة. فقال سعيد: أفيها سوق؟ قال: نعم

أخبرني رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يذهب في

مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزرون ربه ويربر لهم عرشهم، ويتبدى لهم في روضة

من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من قول، ومنابر من باقوت، ومنابر من

زبير، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم - وما فيه من دنيا - على

كتبان السمك والكافور، ما برون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا. قال أبو

هريرة. قلت: يا رسول الله وهل نرى ربي؟ قال: نعم، هل تتمارون في رؤية الشمس

(١) نفسه

(٢) الفخر الرازي ج: ٢٨ ص ٢٥٤، ٢٥٥
والفيل ليلة البدر؟ قلنا: لا. قال: كذلك لا تمارون في رؤية ظلم ولا يبقى في ذلك
الجبر اللز艾 إلح محاصرة، حتى بقول للرجل منهم يا فلان بن فلان. أذكر
يوم قلت كذا وكذا. فذكره بعض غزواته في الدنيا. يقول: يا ربي أفعال تغيفر لي؟ يقول:
على فسفة مغفرة بلغت منزلته هذه. فبينما هم على ذلك غشيهم سهابة من فوقهم
فأمطرت عليهم طيام لم يجدوا مثل ريحه شبيهاً قط. ويقول رابنا: فوموا إلى ما أعددت لكم
من الكرامة، فخذوا ما أستهتم. فتأتي سوقًا، قد صفت به الملائكة، فيه ما لم تنظر
إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخبر على القلوب، فيحمل إليمنا ما استهتنا، ليس بباع
فيها ولا يشتري، وفي ذلك السوق، يلقى أهل الجنة بعضهم بعضًا، قال: فيقبل الرجل ذو
المزينة المرثعة فيمق من هو دونه - وما فيهم ذيني - فبرعة ما يرى عليه من اللباس، فما
ينقصي آخر حديث حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن حزن
فيها، ثم نصرف إلى منزلنا فتلقتنا أزواجاً، نقبل: مرحبًا وأهلاً، لقد جئت وإن لك من
الجمال أفضل مما فارقنا عليه. يقول: إذا جالسنا اليوم ربتنا الجبار، ويحق لنا أن نقلب
بمثل، ما انقلناه

والحديث يدل على توارث المؤمنين بعضهم بعض في الجنة وزيارة ربيهم لهم،
وأما للاقانون من نعيم ولذة في هذا التوارث. ويدل أيضًا على نزع الغل والحزن من
صدورهم في الجنة ورضاء كل واحد منهم بمنزله الذي أنزله الله فيه، وهذا الرضا
من أنوان النعيم الذي ينعم الله به أولياءه في الجنة.

ادنى أهل الجنة منزلة:

من فضل الله عز وجل على المؤمنين في الجنة أن يوعس لهم في العطاء;
وقد روت لنا السنة أحاديث عن أدنى أهل الجنة منزلة، وكيف أن له مثل
ملك من ملوك الدنيا عشر مرات. روى الإمام مسلم بسنده عن المغيرة بن
شعبة رفعه إلى رسول الله ﷺ قال: "سأل موسى ربي ما أدنى أهل الجنة منزلة؟"

(1) تجربة الأحوذي ج1 ص 259، 263
قال: هو رجل يجري، بعدما أدخل أهل الجنة الحناء، يقول: أي ربي، كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا آخذاً منهم؟ فينثل له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملكون الدنيا؟ يقول: رضيت ربي. يقول: ذلك ذلك، و сочет، و مشله، و مشله. فنال في الخامسة: رضيت ربي. يقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتته نفسك، ولذت عينك. يقول: رضيت ربي. قال: ربي فأعلام منزلك؟ قال: أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي. وختمت عليها فلم تر عينين، ولم تسكن أذن، ولم يخطر على قلب بشر. قال ومصدق أنه في كتاب الله عز وجل (قال الله تعالى: نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن نحن

وروى الترمذي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: أدنى أهل الجنة منزلة الذي كان له ثمانيون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزربرجد ويقوت كما بين الجابية إلى صنعاء. (2) وهذا العدد للمبالغة في الكثرة ويقصد بالزوجة هنا من الحور العين، ولا تعارض بين حدث الترمذي والأحاديث الأخرى التي تثبت أن لكل مؤمن زوجتين من الحور العين، لأن إنا أن يراد لكل واحد من الأسرار زيادة على الزوجتين هذا العدد، وإنا أن يراد أن يعطي قوة من يجامع هذا العدد. والأحاديث الصحيحة ورد فيها أن لكل من أهل الجنة زوجتين وليس في الصحيح من الأحاديث زيادة على ذلك (3) ومعنى تنصب له قبة من لؤلؤ وزربرجد كما بين الجابية وصنعاء الجابية قريبة بالشام وصنعاء باليمن تشبه دمشق في كثرة الماء والشجر والمسافة بينهما طويلة والمعنى أن فضحة القبة وسعتها

(1) صحيح مسلم ج1 ص 98
(2) تهفة الأخوذي ج7 ص 284
(3) حادي الأرواح ص 180
رؤية الله في الجنة:
من أكبر ألوان التعيم الذي يمن الله به على عباده المؤمنين في الجنة: أن يرى المؤمنون ربهم في الجنة. وسنتشير إلى ذلك سريعاً، يقول الله تعالى (وَقَالَ اللَّهُ سَمِىٰهُ الْحَمِيدُ الْخَمِيسُ لِيَرَى رَبَّهُمْ) [القيامة: 22-23] ويقول تعالى (وَنَحْنَ آمَنُونَا ۖ وَرَبِّي ۖ نُضِعْ) [يونس: 26].
يقول الإمام الأشعري الصيانة. النظر إلى الله عز وجل ولم يُقيم الله عز وجل أهل جناته فالأفضل من نظراهم إليه ورؤيتهم له. وقال عز وجل (وَلَقَدْ نَزَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ) [ق: 35] قبل النظر إلى الله عز وجل. وقال (نَجِبُهُمْ بِيَوْمِ يَلْقَوْنَا سَلَّمٍ) [الأحزاب: 44] وإذا لقيه المؤمنون رأوها. (3)
وردت أحاديث متعددة عن رسول الله ﷺ في إثبات الرؤية - يقول عنها الأشعري: إنها وردت من طرق مختلفة عدد رواتها أكثر من عدد رواة خبر الرجع، ومن عدد من روى عن النبي ﷺ أنه قال: «لا وصية لوارث»، وأكثر من عدد رواة الحديث الذي فيه: «لا تكون المرأة على عتمتها ولا خالتها» (4) ويفسد الأشعري بذلك أننا كما نعتد بهذه الأحاديث في أحكام الدين والحلال والحرام فينبغي أن نعتد بأحاديث الرؤية في إثبات رؤية الله في الآخرة. وهو يرد بذلك على المعترضين الذين ينفون الرؤية، ويؤلون الآيات القرآنية ويردون الأحاديث فيها.
ومن الأحاديث الصحيحة التي تثبت الرؤية للمؤمنين في الجنة ما رواه الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من ذن”

(1) تهفة الأحاديث ج1 ص 284.
(2) متحدث في محتج خاص عن رؤية الله في الآخرة مبينين أدلّة المجازين وأدلّة الممانعين - بالتفصيل إن شاء الله.
(3) الإبانة عن أصول الدين ص 19.
(4) نفسه.
ينظر إلى جناته وزوجاته ونعمته وخدمه وسرره في القمة ألف سنة وأكرمههم على الله من
ينظر إلى وجهه غدًا وغداً، ثم قرأ رسول الله ﷺ: {وَعَفَّوْا فَكَأَتَبَتْ لَهُمُ النَّارُ} إلى ۱۳۲
[القيامة: ۲۰-۲۳] (۱).
وروية المؤمنين الله عز وجل لون من ألوان النعيم الذي يتمتع به المتون يوم
القيامة، ومن ألوان النعيم الذي يتنعم به المؤمنون: إحلال الرضوان عليهم يوم
القيامة (۲).

خلود الجنة ونعيمها وأهلها:

أجمع أهل السنة على أن الجنة باقية ونعيمها لا يزول وأهلها كذلك. يقول
الإمام الأشعري: "أجمع أهل الإسلام جميعًا - إلا الجهمى - أن نعيم أهل الجنة دائم
لا انقطاع له" (۳)، وينقل صاحب المقاصد الإجماع على خلود أهل الجنة في
الجنة (۴).

والبغدادي في أصول الدين ينقل الإجماع عن أهل السنة وكل من سلف من
أحباه الأمة على دوام بقاء الجنة (۵). ويستدل أهل السنة على ذلك بالقرآن الكريم
واليمن النبوية الشريفة التي تثبت بقاء الجنة ودوام نعيمها وخلود أهلها. من هذه
الأيات قوله تعالى: {أَرَمِيَ الَّذِينَ أُناَضَواً وَأَعْلَمُوا الْفَضْلَيْنِ أَوْلَيْكَ هُمْ غَيْرُ الْأَرْبَيْنَ} (۶)
{جَزَاهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتَيْنِ عِدَّةٌ ثَانِيَةٌ بِمِثْلِهَا} (۷)
{فَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّتَيْنِ نَزَّلَا} (۸).

وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّتَيْنِ} 

(۱) تفسير النحوی ج ۷ ص ۲۲۰.
(۲) ستتحدث بالتفصيل في بحث خاص عن النعيم المادي والروحي للأهل الجنة إن شاء الله.
(۳) سنعرض لحجة ومن ذهب مذهب من أن نعيم أهل الجنة زائف.
(۴) مقالات الإسلاميين ج ۱ ص ۱۶۷، ۱۶۸.
(۵) شرح المقاصد ج ۲ ص ۱۶۷.
(۶) أصول الدين للبغدادي ص ۲۳۹.
لا يقتسمون عليها جولاً [الكهف: 108-109]. ويستدلون بقوله تعالى (وأما الذين سُمِّوا في الجنة خليطلين فيها ما دامَ السَّمَوَاتُ والأرضُ إلا ما شاء رَبُّ عَطَالهُ) [غَيِّرَ مَجْدُودُهُ] [هود: 88].

والسُلف مختلفون في هذا الاستثناء. قيل: معناه إلا مدة مقامهم في الوقف، وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور. وقيل: إن هذا استثناء استثناء الله ولا يفعله. وقيل: في هذا الاستثناء: معناه أنهم باقون في الجنة مدة دوام السماوات والأرض إلا ما شاء الله أن يزيدهم عليه مدة العالم. ومن المفسرين من ذهب إلى أن (لا بمعنى لكون، فيكون الاستثناء منقطعًا، ورجحه ابن جرير وقال: إن الله تعالى لا خلف لوعده. ومنهم من ذهب إلى أن الاستثناء في الآية مراد به الإعلام للخلق جميعًا بأن خلوؤ المؤمنين في الجنة في مشيئته لأنهم لا يخرجون عن مشيئته، ولا ينافي ذلك عزميه ووجهته لهم بالخلود، ونظائره في القرآن الكريم مثل قوله تعالى (ولَكِنَّا نِسِبْنَ لَكَ الْخَلْوَةَ لِأَلَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْكَ أُولِي الْأَمْرِ) [الإسراء: 24] و(وَإِنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ لِلَّهِ جَعَلْتُكَ عَلَى قَلِيلٍ) [الشورى: 24]. وهذا معناه أن الأمور كلهًا بمشيئة الله ما شاء كأنه وما لم يشأ لم يكن. ومن العلماء من ذهب إلى أن قوله تعالى (لا بمعنى لكون، فيكون الاستثناء منقطعًا، ورجحه ابن جرير وقال: إن الله تعالى لا خلف لوعده. ومنهم من ذهب إلى أن الاستثناء في الآية مراد به الإعلام للخلق جميعًا بأن خلوؤ المؤمنين في الجنة في مشيئته لأنهم لا يخرجون عن مشيئته، ولا ينافي ذلك عزميه ووجهته لهم بالخلود، ونظائره في القرآن الكريم مثل قوله تعالى (ولَكِنَّا نِسِبْنَ لَكَ الْخَلْوَةَ لِأَلَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْكَ أُولِي الْأَمْرِ) [الإسراء: 24] و(وَإِنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ لِلَّهِ جَعَلْتُكَ عَلَى قَلِيلٍ) [الشورى: 24]).

نلاحظ أن الآراء كلها - التي اختلفت في معنى الاستثناء - اتفقت على أن أهل الجنة خالدون فيها أبدًا. وأن الاستثناء إما في الفترة قبل أن يدخلوا الجنة، وتلك الفترة في الوقت وخلاف، ما شاء الله لهم ألا يكونوا فيها في الجنة، وإما أن يكون استثناء ذكره الله ولم يفعله ليعلم عباده أن الأمر كله بيد الله. كما قال للرسول ﷺ (وَإِنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ لِلَّهِ جَعَلْتُكَ عَلَى قَلِيلٍ) [الشورى: 24].

(1) انظر شرح الطحاوية 273، 274، وحادي الأرواح 242-244، وروح المعاني للأkosmi، 132 ص 146، 147.
لقد ذكرت السنة على خلوص أهل الجنة في الجنة، فقد روى البخاري بسنده عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالمومت حتى يُجَعَل بين الجنة والنار، ثم يُدخَب، ثم يندل منداً بأهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت. فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم".(1)

وروى الترمذي بسنده عن أبي سعيد يرفعه قال: "إذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح، فيقع بين الجنة والنار فيذبج، وهم ينظرون، فلو أن أحدًا مات فركا لمات أهل الجنة، ولو أن أحدًا مات حزناً لمات أهل النار".(2)

وعلى القرطبي على الأحاديث التي تثبت ذبح الموت فيقول: "إن الموت معنى وهو لا يقلب حيويًا، بل يخلق الله أشخاصًا من ثواب الأعمال، وكذلك الموت يخلق الله كشفًا يسهمه الموت، ويلقي في قلوب الفريقين أن هذا هو الموت، ويكون ذبحه دليلاً على الخلوص في الدارين".(3) وذكر آخران بأنه لا مانع أن ينشئ الله من الأعراض أجسامًا يجعلها مادة لها كما ثبت في الصحيح أن سورة البقرة وأول عمران تأتيان كأنهما عمايتان يوم القيامة.(4) والأولى في هذا أن نتوقف عن تفسير هذه الأشياء ولا نعترض عليها، ولكن نفوض الأمر لله في كيفية ذبح الموت وخلاف ذلك. قال الترمذي: "والمحبوب عند أهل العلم من الأئمة رضي الله عنهم - مثل سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عبيدة ووكيع، وغيرهم - أنهم قدروا هذه الأشياء".

---

(1) فتح الباري ج11 ص351.
(2) تخريج الأبوذي ج7 ص278.
(3) التذكرة للقرطبي ج2 ص528.
(4) تخريج الأبوذي ج7 ص279، 278.
وقالوا: نروي هذه الأحاديث، ولا يقال كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروي هذه الأشياء ولا تفسر ولا تتهم" (1).

ومن الأحاديث التي تثبت خلود أهل الجنة ما رواه الترمذي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "أهل الجنة جرَّة، مَزَّة كحل، لا يفيض شبابهم، ولا تبدأ توابهم" (2).

والمما تجدر الإشارة إليه أن المعتزلة يوافقون أهل السنة في بقاء الجنة ونعمها وخلود أهلها، وجمهورهم يقولون بدوام النعيم لأهل الجنة.

ورد في كتاب تنبه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار قوله: "ربما قبل في قوله تعالى: (حتى يحببها ما كامٍ أظلمُة الأرض، إلا ما شاء ربك) [هود: 7] إن ذلك الاستثناء يدل على انقطاع العقاب. فكيف يصح ذلك مع قولكم بالخلود؟ وجوابنا: أن المراد أوقات الموقف للمحاسبة، قبل دخول النار، وعلى هذا الوجه ذكر الله تعالى في السعادتين مثل ما ذكره في الأشيقي فقال: "ورَأَيْتَ آتَاكَ رَبِّكَ فِي حَيْثُذَا سَيُدْعُوُنَّ (فَأَفْتَقَتَ فِرْقَةُ الأَمَةِ كَلِهَا عَلَى أَنِّي لَا فَنَاء لِلْجَنَّةِ وَلَا لِنَعْمَةِ وَلَا لِلْنَّارِ وَعَذَابُهَا، إِلاَّ الْجَهَّامَ بُنِى صَفْوَانَ، وَأَبا الْهِذِيلِ العَلَافُ، يَذْهَبُ إِلَيْهِ جَهَّامُ بُنِى صَفْوَانَ لِسُلَفُ قَطْرٍ مِّنَ الْجَحَّامِ، وَلاَ مِنَ التَّابِعِينَ، وَلاَ أَحْدُ مِنَ أَثْمِرِ الْإِسْلَامِ، وَلَا قَالَ بِهِ أَحْدَثُ مِنْ أَهْلِ الْسَّنَةِ (3) وَيَعْرَضُ أَبَنْ حَزَمْ مَا قَالَ أَبُو الْهِذِيلِ مِنْ أَنَّ الْجَنَّةَ وَالْنَّارَ لَا يَفْنَى وَلَا يَفْنَى أَهْلِهَا إِلَّا أَنْ حُرَّكَهُمْ تَفْنَى وَيَبْقُونَ` (4) نَقْلًا وَقَنْعَةً لِلْقَرْطِبِيْ جَ2 ص 528. (5) التحفة الأحوذي ج7 ص 246. (6) انظر تنبه القرآن عن المطاعن ص 184. (7) الفصل لابن حزم ج2 ص 69، 70. (8) حادي الأرواح ص 244، 245.
بمنزلة الجماد لا ينتركون، وهو في ذلك أحياء متلذذون أو معذبون؛ (1) وبيان ابن تيمية السبب الذي جعله يقول بذلك لأنه يعتقد امتياز وجود ما لا ينتهي (2).
والذي ذهب إليه الجمهور وأبو الهذيل لا سند له من كتاب ولا سنة. ثم ما الفرق بين الحركة والسكن؟ لأنه وإن فر من الحركات لاعتقاده امتياز وجود ما لا ينتهي فإنه لازم له في مَّدِّي سكون أهل الجنة وتنعمهم. لأنه مقر بأنهم يبقون ساكينين متعمقين بالضرورة، فإن للسكن والنعم ما مادة تعد كما تعد الحركة وغيرها.
ولو كان ما قاله أبو الهذيل صحيحاً لكان أهل الجنة في عذاب دائم، وهذا غابة التنك والشقاء بعكس ما أعد الله لأهل الجنة (3). ولن نتوسع في هذه المسألة لعدة أسباب منها:
أولاً: أن القائلين بذلك خالفوا إجماع المسلمين، وليس معهم سند كاف من كتاب الله أو سنة رسوله.
ثانياً: أن المعتزلة أنفسهم لا يقولون بما قاله أبو الهذيل. بل إن بعض علماء المعتزلة قد كفره بسبب هذه المقالة. يذكر البغدادي في الفرق بين الفرق أن لجعفر بن حرب - وهو المشهور في زعماء المعتزلة - كتبًا سماه توبخ أبي الهذيل، وذكر فيه أن قوله يجر إلى قول الدهرانيين. نعم، فضائح أبي الهذيل قوله بفناء مقدرات الله عز وجل حتى لا يكون بعد فناء مقدراته قادرًا على شيء. ولأجل هذا زعم أن نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار يفنيان ويبقى أهل الجنة خامدين لا يقدرون على شيء (4).

(1) الفصل لابن حزم ج 4 ص 680، وململ والنحل للشهريستاني ج 1 ص 102، والفرق بين الفرق للبغدادي ص 102، 131.
(2) نقلًا عن حادي الأرواح ص 245.
(3) أنظر الفصل لابن حزم ج 4 ص 7، وحادي الأرواح ص 246، 247.
(4) الفرق بين الفرق للبغدادي ص 102.
ويذكر البغدادي أيضًا أن المعروف من المتزلجة بالمردار، رد على أبي الهذيل في هذه المسألة فقال: يلزمه إذا كان ولي الله عز وجل قد تناول بإحدى يديه الكأس، والأخرى بعض التحف، ثم حضر وقت السكون الدائم أن يظل ولي الله عز وجل على هيئة المصلوب؛ 

وحذا ينافي النعيم المقيم الذي أعده الله لأوليائه ووعدهم به.

ثالثًا: يرى الخياط في كتابه الانتصار - وهو من أصول المتزلجة - أن أبي الهذيل لم يقل بفناء نعيم أهل الجنة. وإنما الذي قال بذلك هو جهم بن صفوان - وحكى ابن الراوندي مقالته على أنها مقالة أبي الهذيل. يقول صاحب كتاب الانتصار: وأبو الهذيل كان يزعم أن أكل أهل الجنة وشربهم وجماعهم ونزاورهم وجميع لذاتهم باقية مجتمعة فيهم لا تنتهي ولا تنقص ولا تزوال ولا تبديد، وإنما الذي حكاه صاحب الكتاب (بفصة ابن الراوندي) قول جهم، لأن جهم كان يزعم أن الله يقضي الجنة والنار وما فيهما ويبقى وحده.


وإن كان دفاعًا عن أبي الهذيل، ونفيًا للتهم عنه؛ فإن جمهور المتزلجة قالوا بما قاله أهل السنة من بقاء الجنة ونعمها وخلود أهله.

* * *

(1) نفسه.

(2) كتاب الانتصار ص 18 تأليف أبي الحسين بن عثمان الخياط المتزلج المطبعة الكاثوليكية بيروت 1907.

(3) وانظر الانتصار للخياط ص 18.
الجنة والنار

ب - النار في التصور الإسلامي:

النار هي الجزاء الذي أعد الله تعالى للكافرين والمنافقين والعصاة من الجن والنس على السواء، وقد أقرأ الله عز وجل من ذكرها في القرآن الكريم وذكر صفاتها وعذاب أهلها؛ حتى يبقى الناس عذابها ومهانة أهلها. وهناك جملة حقائق يذكرها القرآن الكريم والرسول ﷺ عن النار وعذابها منها:

أنها مخلوقة الآن ومعدة أهلها:


ويستذكر بالسنة على خلق النار بما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة قال:

1461. (1) البرازي جد 2 ص: 141، 146
161. (2) شرح المقاصد ج: 2 ص: 161
161. (3) شرح المقاصد ج: 2 ص: 161
قال رسول الله ﷺ: "احتجت النار والجنة، فقالت هذه: يدخلني الجبرون والمتكرون. وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين. فقال الله عز وجل لهذه أنب عذابي أعزب بك من أشياء، ولكل واحدة منكم ملؤها" (1).

وإن خلق النار وإعادتها هي والجنة كما صرح بذلك القرآن، وتوافرت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ وهو اعتقاد أهل السنة والجماعة (2).

أما من يذهب إلى أن النار لم تخلق بعد - وهما المعتزلة - فإن حجتهما في عدم خلق النار الآن وإعادتها هي نفسها حجتهم في عدم خلق الجنة وقد عرضنا شهتهم والرد عليها (3) عند الكلام عن خلق الجنة وإعادتها الآن للمتقين.

سعة جهنم وعذاب مفرها:

يقول الله عز وجل (وإنẫuحاتا للظلمين نأذوا أهاط بهم سرادقهم، وإن تستعينوا بعذابنا شيئًا - تدريجًا يبقى خشوعًا يبقى التأسف وسآءته وشراب، وسآءت مرفقة) (الكافرون: 29).


---

(1) صحيح مسلم ج2 ص 536.
(2) النهاية في الفتن ج2 ص 393.
(3) لاجمل لتكرار شبهة المعتزلة في عدم خلق النار فقد عرضنا تفنيذ شارح المقاصد والمؤاف عليهم.
(4) التفسير الكبير للراوي ج2 ص 120 وروح المعاني لل הארץ ج15 ص 267، 268.
(5) مسلم ج2 ص 535.
روى الإمام مسلم بسنده عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

"يؤتي بجهم يومئذ لها سبعون ألف زمان مع كل زمان سبعون ألف ملك بجرونها". (1)

وإذا كانت النار هكذا عظيمة فإن الله عز وجل يجعل أجساد أهلها كبيرة كذلك، حتى يذوقوا العذاب الأليم، وقد ذكر الله عز وجل أن جلودهم كلما نضجت بدلهم جلودًا غيرها يقول الله تعالى (فإذ تكفقوا فتغنيتكم مومَّلًا فوق نصيهم فأصلحوا جلودهم بدلهم جلودًا غيره) ليذوقوا العذاب، إن الله كان علَّهَ حكيمًا. (النساء: 65).

ويذكر رسول الله ﷺ أن مقعد الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام.

روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وفخذه مثل البيضاء، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربطة". (2) ومعنى الحديث أن الله يزيد في أعضاء الكافر زيادة في إبلمه وتدحيه، والبيضاء اسم جبل، ومغعه مقعده أي مكان قعده.

والربطة: مكان يبعد عن المدينة مسيرة ثلاث نيات. (3) ويؤيد هذا الحديث ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رفوعًا قال: "ضرس الكافر مثل أحد، وفخذه مثل البيضاء، ومقعده من النار كما بين قديد ومكة، وكثافة جلده أثناه وأربعون ذراعًا بذراع الجبار".

قال المنذر: الجبار ملك باليمن له ذراع معروف. (4) وإخبار الرسول ﷺ.

بهذه الأشياء دلالة على العذاب الأليم والمهين الذي أعد الله لأهلها.

* * *

(1) مسلم ج2 ص 530
(2) تغية الأحوذي ج7 ص 289، 299
(3) نفسه ص 299
(4) نفسه ص 299

والباب الأول: يسمى جهنم؛ لأنه يتجهم في وجه الرجال والناس، فياكل لحومهم.

والباب الثاني: يقال له لؤظي نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى عن التوحيد.

والباب الثالث: يقال له سقر لا يبقى ولا يذره من جسم الكافر شيئا.

والباب الرابع: يقال له الحطمة، وهي تحطم العظام وتحرق الأفدة. وهي ترمي بشر كالفقرس كأنها جمالات صفر.

والباب الخامس: يقال له الجحيم.

والباب السادس: يقال له السعير، وإنما سيما السعير؛ لأنه يسعر بهم، وفيه جب الحزن الذي تستعدي الخلاص من حره.

الباب السابع: يقال له الهاوية: من وقع فيه لم يخرج منه أبدا.

وأما عن خزيمة جهنم فإن القرآن الكريم أشار إليها بقوله تعالى: "وَبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ إِنَّمَا يَقُولُونَ لَعَلَّهُمْ يُقْسِمُونَ" [البقرة: 24].
هذا قالوا بل وليكين حقّك كلمة أعدّابة على الكفرين؟ [الزمر 71].

وذهب معظم المفسرين إلى أن التسعة عشر هم خزنة جهنم. وحكى الواحدٌ من المفسرين أن خزنة جهنم تسعة عشر: مالك ومعه ثمانية عشر، أعيينهم كالبرق، وأيابهم كالصياصي، وأشعارهم تمس أقدامهم، يخرج نسيب العبد من أنوابهم، ما بين منكبٍ أحدهم مسيرة سنة، يسع كف أجدامهم مثل ربيعة ومضر، تزعم منهم الرفاه والرحمة، يأخذ أحدهم سبعين ألفاً في كفه ويرميه حيث أراد من جهنم (1).

وينقل ابن كثير أثذاً مرويًا عن رسول الله ﷺ: أن رهطًا من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ عن خزنة جهنم فقال: الله ورسوله أعلم. فجاء رجلٌ فأخبر النبي ﷺ، فأنزل الله سestruction على عتق عشرة [المدثر 303] فأخبر أصحابه (2). وما أخبر الله عز وجل من جعل عدتهم فتنة للذين كفروا! لأن الكفار حين سمعوا أن خزنة النار تسعة عشر قال أبا جهل: يا معشر قريش، أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فقتلى منهم وقال أبو الأشده بن أسيد بن كلادة وكان شديد البطش، أنا أكفيكم سعة عشر وأكافوني أنتم اثنيين. فلما سمع المسلمون ذلك قالوا للكفار: وبحكم لا نقاس الملكة بالسجون والحداد (3).

وأما ما ورد في قوله تعالى: {وَكَذَا يَبْنِيُّكُمُ ّلِيُخْلِصُ ّعَلَيْكُمَا رَبَّكَ قَالُ إِنِّي كَنَّى تَكْبُرُ} [الزخرف 77]. فإنه نداء لواحد وليس لمجموع الخزينة، ووجه الجمع بين عليها تسعة عشر وبين نداء أهل النار لمالك فقط - أن مالكّ هو رئيس الخزينة، وهم ثمانية عشر، وهو التاسع عشر لهم. وفي ندائمهم طلبٌ للراحة بالموت، فلما سألوا أن يموتون أجوابهم مالك قال إنك منكروًا تكبيرًا [الزخرف 77] قال ابن عباس: مكث.

(1) الرازي ج 303 ص 303.
(2) مختصر تفسير ابن كثير ج 3 ص 570، 571.
(3) الفخر الرازي ج 30 ص 571، مختصر ابن كثير ص 571.
ألف سنة ثم قال لهم ذلك. أي لا خروج لكم منها ولا مجد لكم عنها(1).

دركات جهنم:

يقول الله تعالى: {إن الشقيقتين في الجنة: إن الشقيقتين في الأدنى، وإن شقت لهما نصيب} (النساء: 145) هذه الآية تدل على أن النار دركات سبعة، أي طبقات. كما أن الجنة درجات، ويقال للنار دركات، وللجنة درجات. لأن العرب تستعمل لكل ما سفند درك وكل ما علا وارتفاع درج (2). وقد ذكر العلماء الطائفة المختصة بكل درك من أدرار النار، قائلًا: الأعلى لعاصمة المسلمين، والثاني للنصارى، والثالث لليهود، والرابع للنصابة، والخامس للمجوس، والسادس للлюدنغوس، والسابع للمنافقين. ويعلق القرطبي على هذه التحديدات بقوله: {وقع في كتاب الزهد والواقف أسماء هذه الطبقات وأسماء أهلها من أهل الأديان على ترتيب لم يرد في أثر صحيح (3)} والأول التفويض والتحديد لله رب العالمين، ما دام لم يذكر القرآن الكريم شيئًا عن تحديد دركاتها وأهلها، ولم يحدث الرسول ﷺ عن شيء من هذا.

صفة النار ووقودها:

يصف القرآن الكريم النار بصفات رهيبة مخوفة، منها أنها نار تلتهي. يقول الله عز وجل: {فأذن لقاؤا تلتهي} ﴿لا تلتهي إلا الأشقر﴾ أي تكون نارًا تلتهي (4). وهي نار موقفة، يقول الله تعالى: {لا يلبسن في النار} ﴿ولا يلبسن في النار﴾ وما أدر ank ما أصلحه ﴿نار﴾ ﴿الله﴾ ﴿الله﴾ ﴿الله﴾ ﴿الله﴾. وإضافة النار هنا للتفهيم، أي هي نار لا كالبران.

(1) مختصر تفسير ابن كثير ج 3 ص 296، 297.
(2) الذكرية القرطبي ج 2 ص 461.
(3) نفسه.
(4) ابن كثير ج 4 ص 520.
ولذلك فهي لا تتخمد أبداً لأنها موقدة بأمر الله وقدرته (1). وذكر الرسول أنماً أنها أوفقت عليها ألف سنة حتى احمرت، ثم أوفقت عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوفقت عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة (2). بل وذكر رسول الله أن نار الدنيا جزء من سبعين جزء من حر جهنم. روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة عن النبي قال: فنار كما يُوقَد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءاً من حر جهنم قالوا: والله إن كانت كافية بإسقاط الله. قال: فإنها فضلت بنسة وستين جزءاً كله من حُرها (3). والمراد من الجمع هنا المبالغة في الكثرة لا العدد الخاص. ومعنى أنها كافية أن نار الدنيا كافية في الآخرة لتعذيب أهل النار، ولكن الرسول قال: ولكنها فضلت على نيران الدنيا كلهن، أي حرارة كل جزء من تسعة وستين جزءاً من نار جهنم، مثل حرها أي مثل حرارة نار كم في الدنيا (4).

وهي نار حامية يقول تعالى: وَلَمْ يَنْفَعْهُمُ الْأَحْيَانُ وَلَمْ يَكْفُؤْهُمُ الْحَيَاةُ الْعَالِمَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَاهُ (نَارُ حَامِيَةٍ) (القرآن 8:31) يقول أبو السعود: الهاوية من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهوها. والنار الحامية دليل على أن سائر النيران بالنسبة إليها كأنها ليست حامية، وهذا القدر كاف في التنبؤ على قوة سخوتها (5).

وهذه أوصاف كلها تبين شدة العذاب الذي يتعذب به أهل النار يوم القيامة. أما عن وقوفها، فإن القرآن الكريم يذكر أنها توقد بالنساء والحجارة يقول الله عز وجل: (إِنَّمَا تُنْفَعُونَ وَلَنْ تُضَلُّوا فَأُنْفَعُوا إِلَّا أَنْ تَأْتِوا آنارَ الْحَيَاةِ الْعَالِمَةِ وَقُوْدُها آنارُ الْجَاهِرَةِ وَلَحُجَّاجَةِ أَيْدِتِ أَيْدِيَكُمْ وَمَا تَعْبَدُونَ مِنْ) (البقرة: 244) ويقول تعالى عن المشركين (إِنَّمَا تُنْفَعُونَ مِنْ) (6).

الخ: 32 ص 394
(1) الفخر الرازي ج 27 ص 77
(2) رواه الترمذي عن أبي هريرة تفسير الأحادي ج 7 ص 316
(3) تفسير الأحادي ج 7 ص 314، 315
(4) تفسير الأحادي ج 7 ص 314، 315
(5) انظر: أبو السعود ج 4 ص 898، والفخر الرازي ج 27 ص 74
دُوِّن اللَّهُ حَصْبَ جَهَّازِهِ أُفْلَى لَهَا وَرِيَّدُوهَا [الأنبياء: 98] ويحذر المؤمنين من النار وعذابها يقول تعالى: {وَإِذَا أَلْدَىٰ رَأْيَهَا الْلَّهُ مَاتَوْهَا فَأَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا فَوَدُّوهَا أَلْدَىٰ وَلِحَاجَةٌ عَلَيْهَا مَلْكُهُ خَالِدٌ} لا يُصِبُونُ الله ما أَمَّهُمْ وَيَقْطَنُونَ ما يُؤْمِنُونَ [التَّحْرِير: 2] ومعنِّي وقوفها الناس والحجارة أنها نار مماثلة عن سائر النيران بأنها لا تنتقد إلا بالناس والحجارة. وهي إفرات حرها تتقد بالحجارة، وقرون الله عز وجل الناس بالحجارة لأنهم قرنوا أنفسهم بها في الدنيا، حيث نحتوها أصنامًا وجعلوها لله أندادًا وعبادًا من دون الله، فيكونون حطبًا للنار، وهو ما تذكره، فيكونون وقوَّة للنار ومعذبين بها في الوقت نفسه (1) ومعنِّي آخر تحتمل الأية وهو أن الناس في النار كالحجارة في مهانتها وفي رخصها وفي القذف بها دون اعتبار ولا عناية. يقول الأستاذ سيد قطب: {وَمَا أَفْتَقَ نَارًا هَذِهُ الَّتِي تُنَبِّئُها وَمَا أَشَدَّ عذابها هذا الذي يجمع إلى شدة اللذع المهنة والتحارة! وكل ما بها وما يلامسها فظيع رهيب (2).}

أصناف العذاب لأهلها

شياب أهل النار وسلاسلهم:

يقول الله تعالى: {كَالْيَّارِينَ سَكَّرَوْا قَطَعَتْهُمُ اللَّهُ ثَمَانِيَاتِ مِنْ نَارٍ نُصُبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤْوسِهِمْ الْحَيَاةَ بُيُسُبْ مِنْ إِنَّهُمْ} يُبْصِرُونَ ما في بطونهم وَالْحُرَقُ [وَلَمْ يَمْلَأُونَ مِنْ حَيْبَةٍ سُكَّةَ مَا أَرَادَوْا أَن يُخْرِجُوا بِنَازِلَةٍ مِنْ غَيْرِ أَيْضَاءٍ إِِبًاءٍ} وَذُوَّرَ أَعْدَابُ الْخَرَيقَ [المحج: 22-19] ومعنِّي قطعت لهم ثيابًا من نار: أي فصلَت لهم مقطعات من النار، وعن سعيد بن جبير: هو النحاس، وهو من أشد الأشياء حرارة إذا حمي، ويصب من فوق رؤوسهم الحمي، وهو المائ الحار في غاية الحرارة كبذب ما في بطونهم من الفم والأمعاء، ومع كل هذا يصطبون بمقامٍ من حديث، كلما أرادوا الخروج

---

(1) في ظلال القرآن ج 6 ص 89، 36
(2) في الرازي ج 2 ص 740، 142، والتذكرة للقرافي ج 2 ص 492.4
منها من غم أعيدوا فيها، وعن الفضل بن عياش: "والله ما طمعوا في الخروج، إن الأرجل لمقيدة وإن الأيدي لموقعة، ولكن يرفعهم لبيها وتردهم مقامها".

و عن سلاسل وأغلال أهل التار قال الله تعالى عن أبي كتبه بجملة:

"فَخَذُوهَا فَنُفِّضُوهَا قَالَ نُفُّضُوهَا فَبَعَرَهَا فِي سَبَيلِهَا ذَرَعُهَا سَبَعُونَ ذَرَاعًا فَآتَكُوهَا" (المزمل 23).

[الحاقا: 20-21]

وقال عز وجل: "إِنَّ لَذِيْنَا أَنْكَالًا وَجِيْحًا وَطَاعًا مَّا ذَكَرْنَا دَيْعَةً وَطَعَابًا أَلِيْمًا" (المزمل 12-13).

والسلسلة التي يُشْكَل فيها من لا يؤمن بالله العظيم، هذه السلسلة عظيمة القدر، وهذا ما جعل بعض المفسرين يحمل العدد فيها على الوصف بالطول البعيد، ولا لغرض التقدير بهذا المقدار.

و عن ابن عباس: تدخل السلسلة من ديره، وتخرج من حلقة، ثم يجمع بين ناصيته وقدميه، وتقديم السلسلة على السلك معناه التهويل والتفظيع من شأنها، كأنه قال: لا تسلكو إلا في هذه السلسلة، لأنها أقطع من سائر السلاسل.

وروى الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: "قلل أن رصاصة مثل هذه، وأشار إلى مثل الجملمة "أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريق الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو تعرفها"، وهذا يؤيد أن العدد المذكور في السلسلة للكرة لا العدد فقط.

ول عن أبي بكر بن كعب قال: "إن حلقة من السلسلة التي قال الله "ذَرَعُوهَا سَبَعُونَ ذَرَاعًا" (المزمل 12).

[الحاقا: 27] إن حلقة منها مثل جميع حديث الدنيا (6) والأكال المذكورة في قوله تعالى "إِنَّ لَذِيْنَا أَنْكَالًا وَجِيْحًا" (المزمل 12). هي القبويد واجهة نكل وهو

1. ابن كثير ح 3 ص 213، 216.
2. الرازي ح 30 ص 115، 116.
3. الحاقة الأحودي ح 7 ص 313، 314، والرازي ح 30 ص 115.
4. نفسه ص 313، والرازي ح 30 ص 115.
5. التذكرة للفرطمي ح 2 ص 482.
القيد الثقيل (1).

طعام أهل النار وشرابهم:

يتحدث القرآن الكريم عن طعام أهل النار فيذكر أن الزقوم هو طعامهم.


ويصف الرسول ﷺ الزقوم بقوله: "لا أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأنفسد على أهل الدنيا معايشهم كيف ينكون طعامهم" (3).

والضرع الذي جعله الله لهم طعاماً نوع من الشوك اللاتيء بالأرض، ترعاه

(1) الرازي ج 30 ص 181، والكشف للزمخشري ج 4 ص 168 .
(2) المذكرة الفقطي ج 2 ص 503 .
(3) رواه الترمذي ج 7 ص 307 .
الإبل وهو أخضر، ويسمي الشرق، فإذا جنى صار اسمه الضريع ولم تستطع إلا
مذاقها فهو عدئذ سام (١).

وأما شرب الحميّم فإن رسول الله ﷺ يقول عنه: إن الحميّم ليبص على
رؤوسهم، فينفذ الحميّم حتى يخلص إلى جوفه، فغسلت ما في جوفه حتى يمرقه من
قدمه، وهو الصهر، ثم بعد كما كان؛ (٢) ومعنى يسلت ما في جوفه أي يقطع
ويمشح، من سلت القسطة إذا مسحها من الطعام. وهو المشارب إليه في قوله تعالى
﴾فَسَيْلُوهُ تَهْرَاقًا﴾ [الحج: ١٠] والغساق الذي يشرب منه أهل
النار هو ما يسيل من صديد أهل النار وغسلاتهم. وقيل ما يسيل من دموعهم، وقال
 عنه النبي ﷺ فيما يرويه الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: لَوْ آتى
دلاً من غساق تهرأ في الدنيا لأتين أهل الدنيا؛ (٣) والغساق هو المشارب إليه في قوله
تعالى:﴾لَيْ يَدْعُوْنَ فِيهِ بَرْدًا وَلَحْجًا﴾ [الأبَى: ٢٤-٢٥].

وفي قوله تعالى:﴾هَذَا قَلَدَوُّوْعُ جَيْبِكَ وَغَسَاقٌ﴾ [ص: ٧٥] عن ابن عباس
الغساق: صديد أهل النار (٤). وقيل ابن عمر في معنى الغساق: لو أن قطرة منه
تهرأ في الغرب لأتين أهل المشرق، وقيل الغساق الذي لا يستطع من شدة
برده وهو الزمهرير (٥).

أكثر أهل النار:

وردت أحاديث تفيد أن أكثر أهل النار من النساء، وذلك لنقصان عقلهن
ودينهن. روى البخاري بسنده عن عمر بن عبد العزيز: ﷺ قال: «اطلعت في الجنة
فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهل النساء» (٦).

إذن كان أكثر أهل النار النساء لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى الدنيا

---

(١) في طلال القرآن ج٦ ص ٣٨٦٩.
(٢) تفسير الأخوذي ج ٤ ص ٣٣٠.
(٣) تفسير الأخوذي ج ٦ ص ٣٠٦.
(٤) تفسير الأخوذي ج ٦ ص ٣٠٦.
(٥) يقطة أوبن الاعتبار.
ووافقن الثاني: أن تطلب جهنم أولاً سعة في نفسها، ثم مزيدًا في الداخلين. لظنها بقاء أحد من الكفار.
ثالثها: أن العمل له درجات، فإن الكيل إذا ملئ من غير كبس صبح أن يقال: ملئ وامتلاً إذا كبس يسع غيره. فكذلك جهتهم ملأها الله تفدياً لوعده ثم تطلب زيادة تضييقًا للمكان عليهم وزادتهم في التعذيب. (1)

والرأي الثالث هو الذي تمطح إليه النفس فإنها تملأ أولًا ثم تطلب المزيد لتضييق على الكفار مكانتهم فيزدادون أنفسهم وعذابهم مع عذابهم. وهذا يتناسب مع قوله تعالى: (فإذا رأيتهم من مكانة بيدك سمعوا لما تغيظة ورفيرًا) و(إذا ألغوا منها مكانًا ضييًّا مقررين دعوا ها ها اثنان) [القرآن: 12-13].

وقد ورد في صحيح مسلم أن النار لن تتملأ حتى يضع الجبار قدمه عليها فقول قط قط فهناك تمثلت ويزوي بعضها إلى بعض (2).

خلود الكفار فيها أبداً:

يفرق القرآن الكريم والسنة النبوية بين صنفين من أهل النار: الصنف الأول: هم الكفار الذين ماتوا على كفرهم، وهم مخلدون في النار أبداً، لا يقضى عليهم ذمة ولا يخفف عنهم من عذابهم، وهو الذين قال الله علمنهم (كلما تحيضت جلودهم بذلتهم جلودًا غبرًا ليدونوها المذاب) إن كأن (معبأًا حكيمًا) (النساء: 63)، وقال تعالى: (وأرضين كفرنا لهمُ نار جهنم لا يقضن علَّمهِم ليموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) كأنها تحيض جلودها (التمييز: 36). ولا خلاف بين المسلمين في خلوهم الكفار في النار، أبداً، يقول شاهد المقاصد (أجمع المسلمون على خلو الكفار في النار. (3)

ومن التأبيد والخلود في النار يقول الله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فإن لم نزل جهنم حليئين فيها أبداً) [الجنة: 23]. ويقول الله سبحانه وتعالى (إني لعن

(1) الفخر الزرازي ج 2 ص 174.
(2) الحديث في صحيح مسلم ج 2 ص 536.
(3) المقاصد للسعد ج 3 ص 167.
وقت들을 اليوم الآخر

الکفرین وأعاد لهم سِعیرًا حلالين فيا أبدا لا يجدون ولا نصيرًا [الأحزاب : 24-26]. ويقول تعالى في آية أن الذين كفر فقلهما الله ليغفر لهما ولا يهديهم طريقًا إلا طريق جهنم حلالين فيها أبدا وكان ذلك على أن يقيما الإسلام [النساء : 169-170].

يقول ابن كثير بعد أن أورد الآيات الثلاث السابعة: "فهذه الثلاث آيات فيهن الحكم عليهم بالخلود أبداً، ليس لهن رابعة مثلهن في ذلك".(1)

والصفن الأول كما قلت لا خلاف بين العلماء فيه إنما الخلاف في الصنف الثاني.

الصنف الثاني: عصاة المؤمنين، وقد اختلف المسلمون فيمن مات مرتكبا كبيرة ولم يتب عنها.

أولا: الأشاعرة: يرى علماء الأشاعرة أن من مات من المسلمين مرتكبا كبيرة ولم يتب عنها فهو في مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه، وهم لا يختلفون بالعفو ولا بالعقاب، ولكنهم يختلفون بعدم الخلوذ في النار على فرض العقاب.

ويستدل علماء الأشاعرة بالأحاديث والأخبار الدالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة بعد أخذ نصيبهم من النار ثم الخروج منها للجنة، وهناك آيات كثيرة يستدل بها الأشاعرة على ذلك منها قوله تعالى: "فَقُمْ يَقْسِمُ وَشَفَكَانِ دُرُورَ حَيَّةٌ يُسِرُّكُمْ" [الزقة : 7-8].

وقوله تعالى "فَوَمَن عُمِلَ صَلِبًا مِنْ دَسَارِكَ أو أَنْصَفَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَإِنَّكَ لِتَعَلَّمَ وَقُولَهُ لَمْ يُؤْذِنَّ بِمَعْمَالِهِ" [فاطر : 40] وقوله تعالى "فَقُولُهُ مَلِكَ جَنَّةٍ إِلَّا إِلَى اللَّهِ إِلَّا إِلَى الرَّحْمَنِ" [الرحمن : 20] ومعلوم أن صاحب كبيرة بإيمانه وسائر ما يكون له من الحسنات مستحق للثواب(2) على أصول المعتزلة - على وسيلة.

(1) النهاءة في الفتن واللامام لابن كثير ج2 ص258.
(2) شرح المواقف ج2 ص447.
مجاراة الخصم من شارح المواقف - ويستدل الأشاعرة أيضًا بالأحاديث الدالة على أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة. روى الإمام مسلم بسنده عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: "من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسله وأن عيسى عبده الله وابن أمته وكلمه ألقاه إلى مرير وروعه منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخل الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء".


ومثل قوله ﷺ فيما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: "يدخل الله أهل الجنة الجنة، يدخل من بشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلب مثل حبة من خردل من إيمان فأخرجوه. فيخروجون منها حمما قد امتحنوا، فيلقون في نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تبت الحبة إلى جانب السيل، ألم تروها كيف تخرج صفراء منتوبة؟".

ويتعلق شارح المقاصد على هذه الأحاديث بقوله: "ذوخر الواحد وإن لم يكن حجة في الأصول. ولكن يفيد التأكيد والتأكيد بتعاضد النصوص".

ووهما يستدل به الأشاعرة بالإزام على طريقة المعتزلة، ذلك أنه لو أن إنسانًا عبد الله مائة عام وواظب على الإيمان والعمل الصالح، وصودره عنه في أثناء ذلك أو بعده جريمة كشرب الخمر. فلا يحسن من الحكيم أن يجعله على ذلك أبد الآدين. ومن وجوه الاستدلال أن المعصية متناهية زمانًا وقدرًا وأما الكفر فغير متناه، والخلود في النار عذاب على أشد الجنايات وهو الكفر، فيجب أن تتميز.

---

(1) رواه الإمام مسلم جد 1 ص 33.
(2) صحيح مسلم جد 1 ص 95.
(3) شرح المقاصد جد 2 ص 168.
التي هي دون الكفر بالخروج من النار (1).

ثانيا المعتزلة: يرى المعتزلة أن الفاسق مخلد في النار، ويعدب فيها أبدًا.

وقد يعتمد بعضهم على ذلك بقوله تعالى: "وَرَسُولُ ٱللَّهِ يَدْعُو، يَدْعُوُنَّ" (النساء: 14) وتقرر الدليل عليه أن الله تعالى أخبر أن العصاة يعذبون بالنار ويخلدون فيها، والاصطلاح يتناول الفاسق والكافر جميعًا، فيجب عليهم، ولو أراد أحدهم دون الآخر ليبين (3). ويفند شرح المقاصد حجتهم في هذه الآية: بأن العموم غير مبرد في الآية للقطع بخروج التائب وأصحاب الصغائر وصاحب الكبيرة من النار (4).

وقد يستدل بعضهم بقوله تعالى: "وَرَسُولُ ٱللَّهِ يَدْعُو، يَدْعُوُنَّ" (الأنفال: 13) وهذه الآية استدلال جمهور المعتزلة بها على أن فساق أهل الصلاة مخلدون في النار، وأن هذا العموم يشملهم كشعاره الكفار ما داموا لم يتبوا، وقالوا إن هذا العموم أقوى في الدلالة على المطلوب من سائر العمومات؛ لأن سائر العمومات ما جاء فيها لفظ أبداً. ويجب الرازي على ما تعلق به المعتزلة من وجه.

أحدبها: أن تخصص العموم بالواقعة التي لاجلها ورد ذلك العموم عرف مشهور، فإن المرأة إذا أرادت أن تخرج من الدار ساعة فقال الزوج إن خرجت فأتت طالق فإن اليمين يقيد بذلك الساعة، حتى أنها لو خرجت في يوم آخر لم تطلق.

فهنا أجرى الحديث في التبليغ عن الله تعالى: ثم بعد ذلك قال: ومن بعض الله

(1) انظر شرح المقاصد ج 2 ص 117، وشرح المواقف ج 2 ص 446، 447.
(2) شرح الأصول الخمسة للقاشعي عبد الجبار ص 666.
(3) نفسه ص 657.
(4) شرح المقاصد ج 2 ص 168. 
ورسلوه، أي من يعص الله في تبلغ رسالاته وأداء وحية فإنه لا نار جهنم خالدة فيها.

أبدًا.

ثانياً: أن معنى بعص الله ورسوله: لا بد وأن يعصيه في سائر الذنوب وبجميع أنواع المعاصي، والذي يفعل ذلك هو الكافر، فالآبة مختصة بالكافر على هذا التقدير (١).

ومما يستند به المعترطة قوله تعالى (وَمَن يَفْسَدُ مَؤْمِنًا مِّنَّهُمْ فَقَدْ عَذَبْتُهُ خَيْرًا) [النساء : ٩٣].

ويرد الأشاعرة على ذلك بأن المراد بالخلود المكت الطول، وعلى فرض أنه الخلوص الدائم فيكون المراد من القتل على وجه الاستحلال، أو بأن الوصاف بالإيمان يكون خاصًا بمن قتل المؤمن لإيمانه (٣).

وبعد عرضنا لأدلة الأشاعرة والمعترطة نرجع ما ذهب إليه الأشاعرة، من عدم الخلوص في النار لعصاة المؤمنين الذين ارتكبوا بعض الذنوب أو حتى الكبائر ولم ينوبوا، وذلك لأن الله تعالى يغفر الذنوب جميعًا ما عدا الشرك بالله.

يقول الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يُعْفِرُ أن يُشَارَكَ يَتَّقَنُّهُ وَيَغْفِرُ مَا ذَٰلِكَ لَمْ يَكُونَ وَمَن يَشَّرَكَ فِي إِلَاهٍ فَقُدْ أَفَاتَهُ إِنَّمَا تَقَدَّمَتْ عَلَيْهِ إِنَّمَا تَقَدَّمَتْ عَلَيْهِ [النساء : ٤٨] ولدلالة الآيات القرآنية على أن من آمن وعمل صالحاً سيدخل الجنة، وأن آيات الوعد مؤكدة، وأما آيات الوعيد فغير مؤكدة.

يقول الله تعالى (وَلِلذِّينَ كَانُوا عَṣَمُوا وَكَسَفُوا الْكِتَابَ سُرِّجْنَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْيَاهُمْ الأَلَّهُ خَلِيلِ يَسَّعُوٰ إِنَّمَا يُبَيِّنُ الْكِتَابَ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَمَنْ أَصَدَقْ مِنْ اِلْلَّهِ فِيْلَكَ [النساء : ١٣٢] فقوله وعد الله حقًا إنما ذكره للتأكيد، ولم يقل في شيء من القرآن وعид الله حقًا، وأما قوله تعالى (فَمَا يَبْدِلُنَّ الْقُرْآنَ وَمَا أَتاَىً يَتَّقِرَّبُ إِلَيْهِ) [ق : ٢٩].

(١) الفقرة المبعت ج ٣٠ ص ١٦٥، ١٦٦.
(٢) شرح المقصود ج ٢ ص ١٦٨، شرح المواقف ج ٢ ص ٤٤٧.
فهذه الآية بإجماع المفسرين في حق الكفار (1)
والدانيث كثيرة تلك التي تثبت الشفاعة لعصاة المؤمنين فيخرجون من النار
روى الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "شفاعتي
لأهل الكبائر من أمتي" (2).

ثانيًا: الجنة والنار عند النصارى

ا- الجنة عند النصارى:
ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة جنة: أنه الفردوس الأصلي الذي
ربته الله للإنسان قبل سقوطه (3)، ووضع في وسطه شجرة الحياة، وأطلقت
الكلمة على كل بستان في قصور الملوك (4). ووردت أيضًا تحت كلمة جنات:
أنها بساتين معدة للانشراح واللذات، وفيها جنات الملك سليمان (5)، وفيها
سوائي وينايع (6).

ونلاحظ أن قاموس الكتاب المقدس ربط شجرة الجنة بالبستان الذي يملكه
الملوك وهي معدة للانشراح واللذات، وفيها جنات الملك سليمان وفيها سواقي
وينايع. كلا هذه الصفات تتعلق على البساتين في الأرض، ولكن قاموس الكتاب
المقدس لم يشر من قريب أو بعيد على أنها المكان الذي يتمتع فيه الصالحين من
النصارى في الآخرة.

والرغم من عدم إشارة النصارى إلى الجنة وتعيمها الحسية في الآخرة إلا أنا
سنعرض فيما يلي بعض النصوص التي تتحدث عن الجزاء في الآخرة، المتمثل في

(1) الأربعين في أصول الدين للرازي ص 401 .
(2) مصنف الإمام أحمد ج 3 ص 213.
(3) سفر التكوين 10 : 13 .
(4) قاموس الكتاب المقدس ص 275.
(5) سفر الجامعة 4 : 13.
(6) سفر العدد 24/66، وقاموس الكتاب المقدس ص 236.
الطعام والشراب والنكاح في الجنة (1) وبالرغم من ادعاء النصارى بأن نعيم الأبرار يتمثل في "اتصالهم بالله ورؤيتهم جلاله، ورؤية الله هي الخير الأعظم الفائق كل خير، الذي يملا رغبة كل إنسان ويشع شهوات نفسه، بل هي سعادته النهائية المشنهاة من كل مشاعر وتجمل أشواق قلبه إليها" (2).  

فنع الطعام والشراب:
ورد في إنجيل يوحنا ما نصه: "عملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطونكم ابن الإنسان، لأن الله الآن قد ختمه" (3).

ورد فيه أيضًا قولهم للمسيح: "أباونا أكلوا من السماء وشربوا. فأولئك لهم يسوق الحق الحق أقول لكم، ليس موسى أطاعهم خيرًا من السماء وأكلوا. فأولئك لهم يسوق الحق الحق أقول لكم، ليس موسى أطاعكم الخير من السماء، بل أبي يعطيكم الخير الحقيقي من السماء" (4).

فهذه النصوص تبين أن في الآخرة طعامًا لائقًا يعطيه المسيح للمؤمنين به.

والنص الثاني يبرز على لسان المسيح أن هناك خيرًا فانئًا أكله أباؤه من يتحدث معهم المسيح، ولكن من يطبه ويؤمن به يأكل الخير الحقيقي عند الله. ووعد المسيح لهم بالطعام في الآخرة مكافأة لهم بِيْن كَيف أن الإنجيل تحدث عن الطعام في الجنة. وهنا نص آخر في إنجيل لوقا يثبت الطعام والشراب في الآخرة. ورد في لوقا: "وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكننا لتأكلوا ونتشربوا على مائدي، ونجلس على كراسى، تدينون أساط إسرائيل الأثنى عشر" (5).

والنصاري تعتقد أن هذا الملكوت في الآخرة، وأن الدينونة بعد انقضاء...

(1) سخر هذا النصوص من الكتاب المقدس الذي تثبت الخزاء العبد للصالحين من النصارى في الآخرة. وترك مناقشة حسبة هذه النصوص أو معنيتها للفصل الذي تحدث فيه عن حسبة التعب، والاعتداب ورواحتهم بين المسلمين والنصاري واليهود.
(2) علم اللاهوت ج، 2 ص 164.
(3) إنجيل يوحنا 6: 27.
(4) إنجيل يوحنا 6: 32.
العالم.) والنص يثبت أن هناك طعامًا وشرابًا على مائدة المسيح للذين يؤمنون به.

وعن الشراب:
ورد في إنجيل متي: «واخذ الكأس وشكر وأعطاه قائلًا: اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دم الذي للمهد الجديد، الذي يفشك من أجل كثيرين لمغفرة الخطأبا، وأقول لكم: إن من الآن لا أشرب من نتاج الكومة هذا إلى ذلك اليوم الذي أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي.» (1)

وهذا نص صريح في أن المسيح وعد تلاميذه أنه سيشرب معهم خمرًا من نتاج الكومة في الآخرة، وهذا النص يبين أن في الجنة شربًا للخمر - كما صرح المسيح بذلك على ما في إنجيل متي الحالي.

وأيضًا نص لوقا 22:20 وتشيروا على مائدة في ملكوني؛ (2) نص صريح أيضًا على أن هناك شرابًا في الجنة.

النكاح:
ومن بين نصي العام لنجيل نستخرج بعض النصوص التي تثبت الزواج في الجنة، وملكية الصالح في الآخرة لأشياء كثيرة من البيوت والحقول.
ورد في متي: «كل من ترك بيتا أو إحدى أو أزواجا أو أبًا أو أمه أو امرأة أو أولادًا أو حقوقًا من أجل اسم يأخذ مائدة ضعف، ويرث الحياة الأبدية» (3).

وهذا نص صريح في أن نعيم الآخرة يشبه نعيم الجنة مع الاختلاف، وكان المسيح يرغبه في ما عند الله، بأن من ترك منهم في الدنيا بيوتا فله بدلاً منها مائة ضعف، وله حياة أبدية، والمائة ضعف والحياة الأبدية لا تكون إلا في الجنة.

(1) انظر الكسندر الجليل جد ١ ص ٤٦٤، جد ٢ ص ٣٤٦.
(2) إنجيل متي ٢٥:٢٦-٢٧/٢٠٠٠ ص ٢٠.
(3) لوقا ٢٣:٢٩.
(4) إنجيل متي ١٩:٢٩.
وأيضًا من ترك حقولًا في الدنيا فله بدلاً منها مائة ضعف، ومن ترك زوجة، فله مائة زوجة - بنص الأناجيل مائة ضعف - وله الحياة الأبدية.

وكم ترى فإن النص صريح في النكاف والملكية في الآخرة، بالرغم من أن إنجيل متي يصرح بأنه لا زواج يوم القيامة يقول: «إنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء» (1).

هذه النصوص التي تتحدث عن الطعام والشراب والقصر والزواج في الآخرة يؤولها النصارى إلى مجازات أخرى غير كونها حقيقة حسية في الآخرة. وسنستعرض لأرائهم بالتفصيل عند الحديث عن روحانية النعيم وحسيته وكذا العذاب.

وعن كون الجنة مخلوقة ومعدة:


إذا كنا قد عرضنا بعض النصوص التي تثبت النعيم الحسی في الجنة في الطعام والشراب والنكاح، فإن هذه النصوص وإن كانت ثابتة في الأناجيل إلا أن النصارى يؤولونها وعندهم أن النعيم المقيم يتمثل في الحياة الأبدية، وهذه الحياة.

---

(1) متي 22: 30.
(2) متي 25: 44.
(3) أعمال الرسول 25: 25.
(4) كورنثوس الثانية 5: 10/1.
في تصورهم لمصرح بها في الكتاب في غاية الوضوح في سبيل والأبرار إلى حياة أبدية (1)، ولكني لا يهلك كل من يؤمن زعم الله في الحياة الأبدية (2)، وهذه الحياة الأبدية تكون بالمسيح كما يزعمون لأن أجرة الخطيئة هي موت، وأما حياة الله فهي حياة أبدية بالمسيح برواية وجه الله الكريم؛ لأن التمتع بمساعدة تملأ النفوس سعادة وهناء وغبطة، فتبقى مسحورة بهائه الرائع لا تزول مدى الأبدية (3).

مصير الأطفال الذين يموتون صغيرًا

يشير علماء النصرانية إلى مصير الأطفال الذين يموتون قبل أن يُصّروا بالعميد إشارات عابرة. فقد ورد في علم اللاهوت النظري - وهو يمثل فرقة البروتستانت - أن جميع الأطفال الذين يموتون قبل سن التكليف والبلّة أيضًا - أي الخارجين عن دائرة المسؤولية الأبدية - ينالون الخلاص بالنعم بالمسيح، بنخصيص فوائد كفارته به، فتنجدون ويدخلون في حي الخلاص حالاً بعد الموت (4).

وإذا كان البروتستانت قد قطعوا بالخلاص بالنسبة للأطفال الصغار والبلّة الذين لم يدركوا شيئًا، فإن الأرثوذكس يرون أن هناك اختلافًا بين العلماء في مصيرهم، فتفرقت من اللاهوتيين رأي «أنهم يكونون في حي متوسط بين الراحة، أي أنهم لا يعذبون، لأنهم لم يفعلوا شيئًا يستحقون عليه العذاب، ولا ينعمون النعيم كله، لأنهم لم يقبلوا العماد الذي هو شرط أساسي للنجاة من العقاب والحصول على مجد الخلود» (5).

هذا الفريق يرى أنهم لا ينعمون النعيم الكامل، ولا يعذبون، لعدم استحقاقهم العذاب وبعض اللاهوتيين نفي عنهم النعيم المتوسط، ونفي عنهم العذاب أيضًا.

---
(1) متي 25 - 46.
(2) علم اللاهوت النظري ص 225.
(3) نفسه ونظرة رسالة رومية 6 - 23.
(4) شرح التعليم المسيحي ج 1 ص 33.
(5) علم اللاهوت النظري ص 117.
(6) علم اللاهوت ج 2 ص 224.
قال الفريق الآخر: "إنهم يُعذّبون حقًا مشاهدة الله إلى الأبد بسبب الخطيئة الأصلية، إلا أنهم لا يعذبون في النيران الأبدية" (1) ومراد هذا الفريق أنهم لا يشاهدون الله لأن الخطيئة التي وُلِّدُوا وارثين إيها من آدم لا تمكنهم من رؤية الله والنقاء بذلك. وفي ذات الوقت لا يعذبون لعدم اقترافهم - بالفعل - الآثام. وبذلك ينقل صاحب علم اللاهوت عن القديس غريغريوس قوله: "إن الأطفال غير المعمد الفاكهة لا يعذبون ولا يعذبون، لأنهم وإن كانوا غير مستنيرين وغير مصدقين بالعمومية لم يخطوا خطيئة شخصية، ولا يستحقون كرامة ولا فضائلاً" (2).

ونلاحظ أن هذه الأقوال والآراء لا يستدل أصحابها بفقرات من الأناجيل وأعمال الرسل، وإنما هي عبارة عن اجتهادات واستنباطات (3).

خلود التعيم للأبرار:

يعتقد النصارى في أبديتهما التعيم بالنسبة للأبرار. ورد في علم اللاهوت النظامي "أبديتهما تلك الحال محصن بها في الكتاب في غاية الوضوح، فقيل: والأبرار إلى حياة أبدية" (4) ويستدل علم اللاهوت النظامي بما ورد في مثى وبوننا الذي ورد فيه "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية" (5).

وأما ورد في بوننا أيضًا دولان هذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل من يرئ الآب ويؤمن به تكون له حياة أبدية (6) وامرأة في أعمال الرسل: "وأؤمن جميع الذين كانوا ممنونًا للحياة الأبدية" (7) ويستدل بنصوص كثيرة جدًا على أبديته حالي الأبرار في التعيم (8) ويتحدث ميخائيل مينا عن خلود التعيم للأبرار بقوله: "إنه ثابت غير متناه.

(1) نفسه.
(2) نفسه.
(3) انظر علم اللاهوت ج2 ص 224.
(4) علم اللاهوت النظامي ص 224.
(7) رسالة تسالونيكي الثانية: 10, 11, 12, رؤيا بوننا 5/22.
(8) نفسه.
لأن ثبات السعادة هو شرط ضروري لكمالها; لأن السعادة متي حصلت مجهولة الثبات
حصلى في قلب مالكها خوف فقدها، ومن هذا الخوف ينولد الحزن الذي هو ضد السعادة
الكاملة، ولن يكون هناك مرض ولا موت ولكن إشراق وبخس غير منقطع (1).

ب- النار في التصور النصراني:

ورد في قاموس الكتاب المقدس عن النار ما نصح في المهد الجديد أعطى
الهاوية معنى جهنم، أي أرض اللعنتن والرجاسات ومسكن العذاب الأبدى (2)، ومسكن
العقوبات للخطاة (3)، والهاوية كمركز لكل أنواع العقاب (4) ونلاحظ أن جهنم كما هي عند
المسلمين مكان للعذاب وكذلك بعتقد النصارى. يقول القس كارل وليمز عن جهنم بأنها
المكان الذي ي зуб فيه المخطئون من النصارى، وسواء كانت نيران جهنم حقيقية أو
لم تكن فإن جهنم نفسها حقيقة واقعة، وإذا كانت النار تشبهها مناسبًا للعاقب في
جهنم فما أشد هول ورعه هذا العقاب (5) ويعتقد النصارى أيضًا أن الأشارة
مصيرهم النار في الآخرة. ورد في متي (6) يقول أيضًا للذين عن اليسار: اذهبوا عنى با
ملاهين، إلى النار الأبدية المعدة لإلييس وملاناكم؛ (6) والعذاب في جهنم يكون بالنار
والأوليت ورد في سفر الرواية وإن كان أحد يسجد للوحش وصورته وينبئ سمته على
جهته على يد في هو أيضًا سيشرب من خمر غضب الله المصوب صرفاً من كأس غضبه،
ويعذب بنار وكبريت؛ (7).

وهناك تألُّم من النار وبكاء وصرير للإنسان. ورد في متي (8) والعد البطل اطرحوه
إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسئلة (8).

(1) علم اللاهوت ج 2 ص 116 بتصرف.
(2) متي 18 : 80.
(4) قاموس الكتاب المقدس ص 1008.
(5) الأمور المتكئة عندنا ص 196 كارل وليمز الكبير. الناش المجمع العام للكاثوليك.
(6) متي 25 : 41.
(7) رؤيا بونحا 14 : 19 / 11 / 19.
(8) متي 25 : 30.
وكمما يكون العذاب بالنار والlinkyت كما ورد في الأناجيل التي بأيدي
النصرى فإن هناك عذابًا معنيًّا يتمثل في غضب الله. ورد في رسالة بولس إلى
أهل رومية ما نصه "وأما الذين هم من أهل التحرب ولا يطاعون للحق بل يطاعون للإثم
فسيخط وغضب شديد وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر" (1) وواضح من النص أن
النصرى تعتقد في أن غضب الله يُعَتَّر عذابًا من ألوان العذاب الذي يؤول الأشجار
في الآخرة.

ورود في رؤيا بونها اجمع بين العذاب الحسي والمعنوي، وأما الخلاطن وغير
المؤمنين والرسول والقاتل والزناة والسحر وعبيد الأوثان وجميع الكذبة
فنصيهم في البحيرة المتقدة ببار وكبريت النبي هو الموت الثاني (2).

والنص يوضح أن الأشجار وفاعلي الإثم يعذبون في بحيرة من نار وكبريت، وما
هم فيه من العذاب يعتبر موتًا ثانياً معنيًّا لا حسيًّا، إذ يعتقد النصرى أن العذاب
في النار يكون أبديًا. ونفس الجمع بين العذاب الحسي والمعنوي نجده في رسالة
بولس الثانية إلى أهل تاساليوني (3) في نار ولهيب مطليًا نقمة للذين لا يعرفون الله والذين
لا يطيعون الإنجيل رينا يسمع المسيح، الذين سمعابن بهلاك أبدى من وجه الرب من مجد
قوته (3) النار واللهيب للذين لا يعرفون الله ولا يطيعون الإنجيل والهلاك الأبدي
من وجه الرب.

وإذا كانت نصوص الأناجيل تجمع بين العذاب الحسي والمعنوي؛ فإن كثيرًا
من النصاري لا يقولون بالنار الحسية، ويغلبون العذاب المعنوي المتمثل في
غضب الله والهلاك الأبدي والموت الثاني وخلافه (4).

(1) رسالة بولس إلى أهل رومية 1: 9/8.
(2) رسالة تاساليوني الثانية 1: 9/8.
(4) انظر الكتب الجميل 1 ص 235، وانظر دراسات في علم الإسحاقولوجيا ص 26/27/25/22/9/8.
(5) سنن الامام وضيقاً عند الحديث عن العذاب والعذاب بين الواقع المادي، والتأويل الروحاني بين
المسلم والنصاين واليهودية.
والأبعض الآخر منهم يذهب إلى أنها نار حقيقية؛ لأن تكرار ذكر النار في النصوص الإلهية هو دليل واضح على حقيقة وجودها، وذكر النار لم يختلف وصفه في الأسفار الإلهية، فإنذ يجب أن نفهمه على حرفة (1)\\n\\nأبدي العذاب\\n
يعتقد النصارى أن العذاب الذي يتعرض له الأشرار أبدي ولا نهاية له. وعندهم أن من دخل النار لا يخرج منها أبدًا إذا إن حال الأشرار لا تتغير (3)، وأنه لا رجاء للهالكين مطلقًا (3) ويستدل النصارى بنصوص كثيرة على أبدي العذاب بالنسبة لمن دخلوا النار إلا نهاية لقصاص الأشرار، وأنه لا نهاية حقية ولا إصلاح في العالم الآخر (4) ويستدل علم اللاهوت النظامي بأن تعبير المسيح بالعذاب الأبدى والهلاك الأبدى ست مرات تدل على أنه لا نهاية له، كما يتضح من استعمال لفظة أبدي نحو سنًا وستين مرة في العهد الجديد، منها إحدى وخمسون إشارة إلى حياة الأبرار وغبطةهم، وفي أثنيين الإشارة إلى مجد الله، والباقي إلى أمور أخرى (5) ولقبت علم اللاهوت النظامي النظر إلى نص في إنجيل متي، وهو عن مصير الأبرار والأشرار، فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية (1) ويعمل على هذا النص بقوله: "استعملت العبارة مرتين: الأولى للإشارة إلى عذاب الأشرار، والثانية إلى حياة الأبرار، فإذا قلنا إن المقصود من الإشارة إلى عذاب الأشرار كونه بلا نهاية، فكذلك أيضًا حياة الأبرار بلا نهاية (7) وهناك عبارات أخرى تدل على ذلك (8).\\n\\n(1) علم اللاهوت ج ٢ ص ١٠٨. ١٠٩/١ بتصرف.\\n(2) علم اللاهوت النظامي ص ١٢٦.\\n(3) نفسه وانظر متي ٢٦: ٣٤/٤٥. ٣٥/٤٥. ١٣٢٢.\\n(4) نفسه ١٣٢٢.\\n(5) انظر علم اللاهوت النظامي ص ١٢١٨/١٢١٩ بصرف.\\n(6) متي ٢٥: ٤٦. ٢٥/٤٦.\\n(7) علم اللاهوت النظامي ص ١٢١٨.\\n(8) انظر بحنا ٣: ٢٦، متي ١٨، ٢٥: ٤١، مرسوم ٢٩، رسالة تسالونيكي الثانية ٩/١.
وما ذهب إليه علم اللاهوت النظامي يؤكد أنه ميخائيل مينا بقوله: لا يغريب عن الأذهان أن العذاب المخلد والهلاك الأبدي والعقوبات الدائمة والاستغرق في النيران الجهنمية له كغيرها من الأسرار العميقة الفهم في الديانة المسيحية، ومع ذلك فنحن ملزمون بتصديقها، والإيمان بها؛ لأن نصوصًا إلهية كثيرة أبدنتها وأثبتتها.(1) ومع اعتراف ميخائيل مينا بأن العذاب الأبدي من الأسرار العميقة الفهم إلا أنه يحاول تدليل ذلك العذاب الأبدي، وكيف أن خلوده لا يضاد العدل الإلهي، بل يوافقه تمام الموافقة، فبالرغم من أن ارتكاب الخطيئة كان قسراً إلا أن حب الخطيئة غير متنانة، لأن الخاطئ يتنمى أن يحيا بلا إنهاء، وحيث إنه مات في خطيه، فهو بالطبع كان يرغب فعلها إلى الأبد. إن اتفق له أن يحيا إلى الأبد(2) وقد أوضحنا في مبحث الشفاعة كيف إن النصارى لا يفرقون بين الكبائر والصغائر ما دام الإنسان لم يعترف على خطاه، وكيف أنهم لا يعتقدون في الشفاعة في الآخرة.

ثالثا: الجنة والنار في التصور اليهودي

- الجنة: ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة فردوس: "الفردوس الأصلي الذي رتبه الله للإنسان قبل سقوطه(3)، ووضع في وسطه شجرة الحياة، وأطلقت الكلمة على كل بستان في قصور الملوك"(4).

وورد فيه تحت كلمة جنات: "جنات بساتين معدة للانشراخ واللذات، منها جنات الملك سليمان(5) وفيها سواقي وينابيع(6)، وكانت هذه الجنات مصورة لكي لا يدخلها الغريب(7).

(1) علم اللاهوت ج2 ص 153، 154.
(2) علم اللاهوت ج2 ص 155/154.
(3) سفر التكوين 1: 10.
(4) قاموس الكتاب المقدس ص 275.
(5) سفر الجامعة 5 ونشيد الإنسان 24: 13.
(6) عدد 24: 1، وجامعة 2: 5.
(7) قاموس الكتاب المقدس ص 275 - 276.
والمعاونة التي نسجل لها هنا - كما سجلناها عند الحديث عن الجنة في تصور التصاريح - هي أن العهد القديم عند الحديث عن الجنة لم يشير من قريب أو بعيد إلى أنها المكان الذي يثاب فيه الصالحون يوم القيامة، واليهود يعترفون بذلك، ويعتبرون أن خلو التوراة من الحديث عن الثواب والعقاب لا يضرها (1). وإذا كان العهد القديم لم يتحدث عن الثواب للصالحين في الآخرة فلدينا بعض النصوص في التلمود التي تتحدث عن جزاء الصالحين يوم القيامة.

فعن مساحة الجنة ورد في التلمود "مساحة مصر أربعمائة ميل طولاً وعرضًا، وأرض الموريين تكبر مصر ستين مرة، والممورة تكبر أرض مصر ستين مرة، والجنة تكبر الممورة ستين مرة" (2).

وعن نعيم الجنة جاء في "الجنة ليست مثل هذه الأرض، لأنه لا أكل فيها ولا شرب ولا زوج ولا تناسل ولا تجارة ولا حقد ولا ضغينة ولا حسد بين النفوس، بل الصالح سوف يجلس وعلى رأسه ناقة ويستمتع برونق السكينة" (3).

يقول سعد الدين الفيرومي مؤكّدًا النص السابق: "نقول لنا - أي الآباء - أن دار الآخرة إما الحياة فيها بالنور، وليس مع ذلك طعام ولا شراب ولا غشيان ولا تناسل ولا شري ولا بيع ولا سائر الأمور التي في الدنيا، وإنما ثواب من نور الخالق عز وجل" (4).

ويقول: "دار الآخرة إذ لا غذاء فيها ولا تكسب، فلا معنى لرباض ولا لنبات ولا للأنهار ولا للجبال ولا للأردة ولا شيء من هذه" (5).

ولكن إذا كان علماء اليهود يقررون أن الجنة لا طعام فيها ولا شراب فقد كان

---

(1) انتظر تنفيذ الأبحاث في الملل الثلاث لابن كمونه ص. 40: 42.
(2) التلمود تاريخه وتعليمه ص. 78.
(3) التلمود تاريخه وتعليمه ص. 78.
(4) الأمانات والاعتقادات ص. 213.
(5) الأمانات والاعتقادات ص. 213.
اليهود على عهد رسول الله ﷺ يسألون عن طعام أهل الجنة وشرابهم ليروا مدى صدقه.


ونحن نجد من خلال أسئلة اليهودي لرسول الله ﷺ أنه يسأل عن الجنة وطعام أهلها وشرابهم، وكلما أجاب الرسول ﷺ قال اليهودي صدقت، لأن إجابة الرسول كانت موقفة لما يعتقده، فهل كان اليهود على عهد رسول الله ﷺ يعتقدون في النعم الحسي في الجنة؟ من الجائز، ويكون حديث التلمود والأمانات والاعتقادات يصور اعتقاد فرق من اليهود غير الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ. هذا جائز أيضًا أو هو التبديل والتحريف الذي مارسه اليهود على اختلاف العصور للكتب التي أنزلها الله على أنبيائه؟

ونقرر هنا حقيقة هامة وهي أن حديث القرآن الكريم عن نعيم الجنة إنما هو

(1) صحيح مسلم ج1 ص142 - طبعة عيسى الباجي الحموي.
ولكن اليهود والنصارى حروفوا وبدلوا، وكان نعيم الجنة وعذاب النار مما حرفوا فيه، أو اقتولا، أو قالوا: أن يدخل الجنة إلا من كان قويا وناصر، وقيل آمناهن فل هكذا أخذناهم إن كسرتم صدقيتكم [البقرة 111]. وقولهم هذا أشد دليل على تحرفهم، ولذلك كذب الله وقال: «إن من أسلم وجهه يلد وهو يحيى: فلا تحرموه ولا تحرموه وَأَحْبَرُ بِرَيْبٍ وَلَمْ يَحْزَنَ» [البقرة 112].

وبصفة نثبت من خلال التوراة والانجيل وجود النعيم الbose في الجنة، وذلك عند الحديث عن الجنة والنار بين الواقع الديني والتأويل الروحاني عند النصارى واليهود.

- النار عند اليهود:

صور «كتاب الأسفار المقدسة للجحيم» كأنه مكان مظلم تحت الأرض، 1، وهو مظلم مخيف، سنة يشعرون، ولكنهم في وجود لم يجد جامد (2)، تذهب إليه نفوس الجميع (3)، في القصاص (4).

ومع أن التوراة قد خلت - كم مبين أن أوردننا - من الحديث عن النواح والعقاب، فإن التلمود تحدث عن بعض أوصاف الجحيم الذي يعذب فيه العبادة. فمن الحاسبات من يرى أن الجحيم له أبواب ثلاثة، باب في البرية، باب في البحر، وباب في أورشليم، ويعمل التلمود أيضًا أن نار جهنم لا سلطان لها على

(1) سفر العدد 16: 20 - 33.
(2) أشعاء 28: 11.
(3) صموئيل الثاني 22: 6، مزامير 6: 5.
(4) تكوين 37: 35.
(5) قاموس الكتاب المقدس ص 250.
مذنبين بني إسرائيل، ولا سلطان لها على تلاملية الحكماء المحاكمات، ولكن بعض المحاكمات قالوا إن الإسرائيليين الذين افترقوا الجنوب سباهب مع الأجانب إلى نار جهنم، وتمكنون فيها أثنا عشر شهراً وسوف تحرق روحهم، وسوف تثير الريح أجراءهم تحت نعال الصالحين (1).

وورد في التلمود أيضًا لنعلم الشيخ أن إبراهيم يجلس عند بوابة جهنم ويمنع أي شخص مختون من الدخول بينما يسقط غير المختونين في قرار الحكيم (2).

ونظرا لاعتقاد اليهود بأنهم أبناء الله وأحياوه فإنهم لا يتمكنون في النار أبدًا، وإنما هي فترة وجيزة يخرجون بعدها إلى الجنة، ورد في التلمود أن مصر الجماع من أبراج وأشرار إلى النعيم الخالد، فأبراج ينعمون به بعد الوفاة مباشرة، والأشرار بعد استيفائهم الجزاء الذي حكم به عليهم؛ لأن القصاص الإبداعي لم يفرض سوى على جرامات معدودة كالانتحار وضلبل الأمة (3).

وهو هذا الرأي مع سابقه يصوره القرآن الكريم يقوله: (ذلك إن تكن أولاً) نحن نختشنا الستر (4) [المؤمن 24:4].

يقول صاحب تفسير المنار عن الآية: وقال: «الأستاذ الإمام»: والجملة عبارة عن استlesen العقوبة والاستخفاف بها، اتكالاً على اتصال نسبهم بالأبرياء، واعتداؤًا على مجرد الانساب إلى الدين، وكانوا يعتقدون أن ذلك كاف في نجاتهم، ومن استخف بوعيد الدين زاعمًا أنه خفيف في نفسه أو أنه غير واقع بمن يستحقه حتمًا تزول حركة الأوار والدواغ في نفسه، فيقدم على ارتكاب المحارم بلا مبالاة، ويتهاون في الطاعات المحتجة، وهكذا شأن الأمم عندما تفتقعن دينها وتتنهك حرمائه، ظهر في اليهود ثم في النصارى (4).

(1) التلمود تأريخه وتعليمه ص 79.
(2) فضح التلمود تعاليم الحاخامية السنية ص 98 بقلم الأب أي بي براتيس إعداد زهدي الفالح - الناشر دار النفيس 1983.
(3) التلمود أصله تسلسله وأداه ص 183.
المبحث الثالث عشر

رؤية الله تعالى بين الإسلام والنصرانية واليهودية

ولاً: رؤية الله في التصور الإسلامي

وقوعها:

إن أعظم درجات النعيم في الآخرة يتمثل في رؤية المؤمنين لربهم عز وجل.
وقد ثبتت رؤية الله عز وجل بالقرآن والسنة والإجماع، ونتحدث عن الرؤية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

يقول الله تعالى {وجوهُ يَوْمَينَ كَأَيْضَةٍ} {القيامة: 22-23} يقول ابن كثير: {وجوهُ يَوْمَينَ كَأَيْضَةٍ} {القيامة: 22} من النضارة أي حسنة بهيئة مشروعة {وَإِلَى نَاظِرٍ} {القيامة: 23} أي تراه عياناً، كما روى البخاري في صحيحه.

سرون ربكما عياناً، وقد ثبت رؤية المؤمنين الله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحيحة من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها.

ويقول ابن حزم: {رورية الله عز وجل يوم القيامة كرامة للمؤمنين، لا حرجنا الله ذلك بفضله}.

ويدلل الإمام البيجوري على وقوع الرؤية بقوله: {فالرورية جائزة عفلاً دنيا وأخرى، لأن الباري سبحانه وتعالى موجود، وكل موجود يصح أن يرى، فالباري عز وجل يصح أن يرى}.}

(1) ابن كثير، ص 450، ص 3.
(2) الفصل لابن حزم، ص 3.
(3) البيجوري على الجوهرة، ص 139.
ويحكم ويجوبها شرعًا في الآخرة بقوله: "وواجبة شرعًا في الآخرة، كما أطبق عليه أهل السنة بالكتاب والسنة والإجماع«(1).

وأين قيم الجوزية في كتابه "حادي الأرواح إلى بلاد الأنفلاج" ينقل الإجماع على رؤية الله تعالى في الآخرة يقول: "اتفق عليه الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع الأزمنة"(2).

وتاعتبر الرؤية هي الغابة التي شعر إليها المشركين، وتفتقر فيها للمنافخين، وتناسب إليها الهستسابين، وللمثلها فليعمل العاملون، إذ ناله أهل الجنة نسوًا ما هم فيه من التعب، وحرمهم والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عناد الجحيم(3).

ويستدل ابن القيم بأدلة كثيرة من القرآن الكريم على وقوع الرؤية في الآخرة للمؤمنين(4) وما استدل به قوله عز وجل: "قلتم تنازعون فينا وذيناكا مزودين"(قن 35) قال الطبرياني: قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله عز وجل، وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره(5).

ويستدل أيضا بقول الله تعالى "قل إني عن ربي تحمين للحجرين"(المطففين: 15).

ووجه الاستدلال بها أنه سبئانه وتعالي جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلماته، فلو لم يرو المؤمنون، ولم يسمعوا كلمته - كانوا أيضًا محجوبين عنه. وقد احتاج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة، فذكر الطبرياني وغيره عن المزنى قال: سمعت الشافعي يقول في قوله عز وجل: "قل إني عن ربي تحمين للحجرين"(2).

(1) نفسه.
(2) حادي الأرواح ص 196 لابن قيم الجوزية - الناشر مكتبة المنبت بالقاهرة.
(3) نفسه.
(4) انظر حادي الأرواح ص 197 - 204.
(5) نفسه ص 201.
واقعات اليوم الآخر

(المطنين 15) فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربيهم يوم القيامة.

والمما يستدل به على وقوع الرؤية في الآخرة من القرآن الكريم قوله تعالى:

(22) لَيْذَلِينَ أَحْسَنَوا لِلْقُدُّوسِ وَرَبَّيَّةٍ [يونس: 22].

يقول ابن كثير: (قد روى تفسير الزيداء بالنور إلى وجه الكريم عن أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وسعيد بن المسيب، وعبد الرحمن ابن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن سبئ، ومراجع، وعمرو بن سعد، وعطاء، والصحابة، والحسن، وفتاح، والخليفة، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم من السلف والخلف، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ).

وكتفت بهذا القدر من الاستدلال بالقرآن الكريم على وقوع الرؤية في الآخرة للمؤمنين.

الرؤية من السنة:

روى الإمام مسلم بسنده عن يزيد البيني أن أبا هريرة أخبره، أن ناسا قالوا لرسول الله ﷺ: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضررون في رؤية القمر ليلة القدر؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: هل تضررون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: فإنكم ترونه كذلك) (٣).

يقول صاحب فتح المنعّم نقلًا عن النووي: «ظاهرت أدلّة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواه نحو من عشرين صاحبًا عن رسول الله ﷺ، وأيات

---

(1) حادي الأواخر ص ٢٠١.
(2) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤١٤.
(3) رواه الإمام مسلم ج ١ ص ٩١ - طبعة عيسى البابي الحكيم ورواية الإمام أحمد. انظر ابن كثير ج ٢ ص ٤١٤.
القرآن الكريم فيها مشهورة (1).

ومنذن ببما رواه الإمام مسلم، لكنية الأحاديث الدالة على رؤية الله في الآخيرة يقول ابن القيم: "أما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة (2)، وإذا اكتسبنا بهذا القدر من الاستدلال بالكتاب والسنة على وقوع الرؤية فإننا نجد أن رؤية الله في الآخرة قد احتلت مكاناً بارزاً في الفكر الإسلامي. يقلل الإمام المحاسبي عن فرحة المؤمنين برؤية ربهم في الآخرة: فتوهم بعقلهم نور وجودهم، وما يداخلهم من السرور والفرح حين يعلنوا ملكهم، وسمعوا كلام حبيبهم واليس قلوبهم وقرة عينهم ورضا أقدامهم وسكن أنفسهم، نرفعوا رؤوسهم من سجودهم، فنظرت إلى من لا يشبه شيء بأبصارهم، فبلغوا ذلك غاية الكرامة ومنتهى الرضا والرفعة، فما ظنكم بنظرهم إلى العزيز الجليل الذي لا تقع عليه الأوهام ولا تحيط به الأذهان ولا يكينه الفكر ولا تحدده الفطن (3).

والإمام الغزالي يذكر في الإحياء أنه لا ينبغي أن تكون همة العبد من الجنة بشيء سوى لقاء الموالي (4)، وأبان سنة من الفلسفة برأي أن اللذة العظمى تكون في رؤية الله والنظر إليه. يقول: "فالسعادة الأخروية عند نخلص النفس عن البدن وآثار الطبيعة وتجربة من كامل اللذات تأثر أو نظره علماً إلى ذات من له الملك الأعظم، والروحانيين الذين يعودون إلى العالم الأعلى وإلى وصول كماله إليه، واللذة الجليلة عند ذلك، والشفقة الأخروية عند ضد ذلك (5).

(1) فتح المعم شرح صحيح مسلم ج 2 ص 438.
(2) حادي الأرواح ص 203، وانظر ابن كثير ج 4 ص 450.
(3) انوههم ص 48.
(4) إحياء علوم الدين ج 6 ص 305.
(5) رسالة أضحوية في المعاد لأب سينا ص 18 تحقيق د. سليمان دببة - انتشار دار الفكر العربي 1949.
كيفية الرؤية:

يقول الإمام البيجوري شارح جوهرة التوحيد: «قوله بالآبنصر، ظاهر أنه الرؤية بالحدق فقط وهو أحد أقواله ثلاثة:

ثالثهما: أنها بجميع الوجه لظاهر قوله تعالى (وَيَوْحِى١۸۹ تَأَمَّنَّهُ إِلَىٰ رَبِّهَا) [القيامة: ۳۳-۳۴].

ويستدرك قال: «ولكن بلا تكيف للمرئي بكيفية من كيفيات الحوادث من مقابلة وجهة وتحيز وغير ذلك» (۲).


ومن أعظم ما قيل عن كيفية الرؤية في الآخرة ما ذكر الإمام الغزالي بقوله: «إن قلت هذه الرؤية محلها القلب أو العين في الآخرة، فاعلم أن الناس قد اختلقوها في ذلك، وأهل البصائر لا يثرون إلى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه، بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة، ومن يشتهي رؤية مشغولة بشغله عشته عن أن يلفت إلى أن رؤيته تخلق في عينه أو في جبهته، بل يقصد الرؤية ولذتهما، سواء كان ذلك بالعين أو بغيرها، فإن العين محل وظرف لا نظر إليه ولا حكم له، والحق فيه أن القدرة الأزلية واسعة، فلا يجوز أن نحكم عليها بالقصور عن أحد الأمرين، هذا في

(۱) البيجوري على الجوهرة ص ۱۴۰.
(۲) نفسه.
(۳) فتح المنعم جد ۲ ص ۴۳۸.
(۴) نفسه.
حكم الجواز، فأما الواقع في الآخرين فلا يدرك إلا بالسمع. والحق ما ظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يُحلَّ في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجازا على ظاهره (1).

الرؤية عند المعتزلة:

مما تجد الإشارة إليه أن المعتزلة تنكر الرؤية، ويستدلون على نفيها بالسمع والعقل. يقول القاضي عبد الجبار مستدلاً على نفيها يقول الله تعالى: (لا تُدْرِيْكُمُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ الْجَمَاعَةُ وَهُوَ الْحَيَّ البَلَاغ) [الأنعام: 103]. ووجه الدلالة في الآية هو ما قد ثبت من أن الإدراك إذا قُوِّن بالبصر لا يحتل إلا الرؤية، وثبت أنه تعالى نفى عن نفسه إدراك البصر، ونجد في ذلك تشددًا راجعًا إلى ذاته، وما كان نفيه تشددًا راجعًا إلى ذاته كان إثباته نقصًا، والنقائص غير جائزة على الله تعالى في حال من الأحوال (2).

ويفند ابن حزم حجة الاستدلال بقوله تعالى: (لا تُدْرِيْكُمُ الْأَبْصَارُ) [الأنعام: 103] بقوله: هذا لا حجة لهم فيه، لأن الله تعالى إنما نفى الإدراك، والإدراك عندنا في اللغة معنى زائد على النظر الرؤية، وهو معنى الإحاطة وليس هذا المعنى في النظر الرؤية.

فالإدراك منفي عن الله تعالى على كل حال في الدنيا والآخرة، يبرهن ذلك قول الله تعالى: (فَلَمَا تَرَى الْجَمَاعَةُ قَالُوا أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ) [الشعراء: 21] ففرق الله عز وجل بين الإدراك والرؤية فرغًا جلًا؛ لأنه تعالى أثبت الرؤية بقوله: (فَلَمَا تَرَى الْجَمَاعَةُ) [الشعراء: 21] وأخير تعالى أنه رأى بعضهم، فصحفت منهم الرؤيا لبني إسرائيل، ونفى الله الإدراك بقول موسى عليه السلام لهم: (كَلِّا إِنَّ مِيَّاَ رَيْيَكُمْ سَبِيلِيْنَ) [الشعراء: 22] فأخبر الله تعالى أنه رأى...

(1) المجلة والأدب والأول 1961 الطبعة الأولى ص. 45 للإمام الغزالي - الطبعة الأولى 1961 طبعة الباق الحدي.

(2) شرح الأصول الخمسة ص. 323.
 أصحاب فرعون بني إسرائيل ولم يدرك كونهم، ولا شك أن نفاه الله تعالى على وجوه فهو غير الذي أبتنته، فالإدراك غير الرؤية، والحملة لقولنا هو قول الله تعالى:

"وجَعَلْنَا الرَّأْيَ لَا يَرْيَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ [الْقِيَامَةِ: 22-23]." (1)

ويؤيد المعطى قول الله تعالى: "وجَعَلْنَا الرَّأْيَ لَا يَرْيَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ [الْقِيَامَةِ: 22-23]." (2)

لبنفسهما الرؤية يقول الزمخشري: "الوجه عبارة عن الجملة، والنااضرة من نضرة النعماء، لولا ربيها ناشرة، تنثر إلى ربيها خاصة لا تنثر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول، ألا ترى إلى قوله تعالى: "إِنَّ رَبِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ [الْقِيَامَةِ: 12]." (3)

"وَلَيْسَ الْقُرْآنُ عَلَى الْأَوَّلِينَ [الْقُرْآنِ: 144]." (الشعراء: 32) (4)

وإلى عليه وُلُوفُتُ وَإِلَى أَيْبُهُ (الصف: 88) كم دل فيها التقديم على معنى الاختصاص، ومعلوم أنهم ينظرون إلى شيء لا يحيط بها الحصر ولا تدل تحت العدد، في حصر يجمع فيه الخلق كلههم، فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم، لأنهم الآمنون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه، ولو كان منظورًا إليه محال، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس ألا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى النوقل والرجاء، والمعنى أنهم يتوقعون النعمة والكرامة من ربهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه." (5)

ويرد على الزمخشري صاحب كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزاز بقوله: "ما أقصر لسانه عند هذه الآية! فكمن له يدنن ويبطيل في جهد الرؤية ويشقق القباء ويكتن ويتعمق، فلم فغرت هذه الآية فا سمن في مصاومتها بالاستدلال على أنه لو كان المراد الرؤية لما احصرت بمقام الفعل، لأنها حينئذ غير منحصرة على تقدير رؤية الله تعالى، وما يعلم أن المتمتع بروحية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه، ولا يتوفر عليه غيره، ولا يبعد به عز وعلا.

(1) الفصل ج 3 ص 42، وانظر الإبادة لأبي الحسن الأشعري ص 12-16 بدون ناشر ولا طبعة.
(2) تفسير الكشاف للزمخشري ج 4 ص 192.
منظرًا سواء، وحقيقة أن يحصر رؤيته إلى من ليس كمثله شيء، ونحن نشاهد العاشق في الدنيا إذا أظهرته رؤية محجبة لم يصرف عنه للحظة، ولم يؤثر عليه غيره، فكيف بالمحب لله عز وجل إذا أخطأه النظر إلى وجهه الكريم؟ (1)

ويستدل المعتزلة بشيء آخر على نفي الرؤية وهو أن [إلى] في قول الله تعالى (وَلَمْ يَنَبِنِ عَلَيْهِ كَأْيَمَةً ۖ إِنَّ رَبَّهُ كَأْيَمَةٍ) [الإسراء: 22-23] ليست حرفًا، ولكنها اسم وهي مفرد الآلاة بمعنى النعمة. يقول ابن حزم: اعترض بعض المعتزلة وهو أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائي، فقال: إن [إلى] ها هنا ليست حرف جر، لكنها اسم، وهي واحدة الآلاة وهي النعمة، فهي في موضع مفعول، ومعناه نعم رحبًا محتظرة (2).

وردد ابن حزم على الجبائي يقوله: وهذا بعيدٌ، أي تفسير إلى بمعنى النعمة لوجهين:

أحدهما: أن الله تعالى أخبر أن تلك الوجه قد حصلت لها النضرة وهي النعمة فإذا حصلت لها النعمة فبعد أن تنتظر ما قد حصل لها وإنما تنتظر ما لم يقع بعد.

الثاني: تواتر الأخبار عن النبي ﷺ، يبيان أن المراد بالنظر هو الرؤية، لا ما تآوله المتأولون (3).

الأدلة العقلية عند المعتزلة على نفي الرؤية:

يستدل القاضي عبد الجبار على نفي الرؤية بالعقل بما يسمى عنده بدلالة المقابلة، وتحريمه: أن الواحد منا رأى بحاسة، والرائي بالحاسة لا يرى الشيء إلا إذا كان مقابلًا أو حالًا في المقابل أو في حكم المقابل، وقد ثبت أن الله تعالى لا

(1) الانتصار فيما تضمنت الكشاف من اعتزال بهامش الكشاف جد 4 ص 192 مؤلفه الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير السكندري.
(2) الفصل ج3 ص 32-33.
(3) نفسه ص 33، وأنظر ابن كثير ج4 ص 450.
يجوز أن يكون مقبولاً أو حالاً في المحايل أو في حكم المحايل (1).

ويُد على ما ذهب إليه القاضي عبد الجبار بأنه لا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة، تعالى الله عن ذلك، بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة (2).

وهناك أدلة كثيرة ذكرها القاضي عبد الحجار على نفي الرؤية بطريق العقل وأبناء من غير العسف ذكرها (3).

وبعد أن استعرضنا الأدلة على وقوع الرؤية في الآخرة من الكتاب والسنة واجمع العلماء نرى أن ما ذهب إليه المعترنة من علم وقوع الرؤية، مستندين إلى التأويل للآيات الصريحة في جواز الرؤية، والأدلة العقلية التي استعرضنا بعضًا منها، نجد أنه لا يصح التحويل على ما استندنا إليه. ونعتقد ما اعتقده أهل السنة من جواز الرؤية في الآخرة. وأنها من أكبر النعم التي ينعم الله بها على المؤمنين في الجنة.

ثانيًا: رؤية الله في التصور النصري

يفتر النصارى على اختلاف فرقهم أن السعادة في السماء تكون برؤية الله في الآخرة، يقول الآب «ميشيل منيم» السعادة في السماء بمشاهده وجه الله الكريم (4)، فالله هو الجمال نفسه والتمتع بمشاهدته يملأ النفس سعادة وهبها وغيرها، فتبقى مسحورة ببهاء الرائع، لا ترتوي مدى الأبدية من هذه الرؤية السعيدة، ويزيدها غبطة أنها متأكدة أن لا نهاية لسعادتها أبدًا، وبخربنا القديس بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (5) أنه لما اختطف إلى السماء سمع كلمات لا يجوز أن يتفقذ بها، وشاهد ما لم يقع عليه عين، وسمع ما لم تسمعه.

الrefs:
(1) شرح الأصول الحكيمة ص 248.
(2) تفه المعمج ج 2 ص 438، وإنظر البيجوري على الجوهرة ص 140.
(3) انظر شرح الأصول الحكيمة ص 240-261.
(4) رسالة بوحنا الأولى ص 2، (5) ص 13.
أذن، وتعتبر بما لا يخطر على قلب الإنسان (١). ونفس المعنى يذكره الاب روبرير كليمان، البسوييعي بقوله: "أعظم سعادة يتمتع بها الأبرار هي مشاهدة الله وجهًا لوجه، متحدين به في محجة أبدية" (٢).
والاتحاد بالله والشركة معه هي السعادة الأساسية للنصارى في الآخرة، يقول دونالد ديماريو: "الشركة مع الله هي أساس السماوات" (٣). ويذكر ميخائيل مينا أن نعم الأبرار هو عبارة عن اتصالهم بالله ورؤيتهم جلاله، ورؤية الله هي الجزء الأعظم الفائق كل خير، الذي يملأ رغبة كل إنسان ويشبع شهوات نفسه، بل هي سعادته النهائية المشتهى من كل مشاعره والتي تتجه كل أشواق قلبه (٤).
بعد استعراض آراء النصارى نجد أن هناك اتفاقًا على رؤية الله في الآخرة. وسوف نناقش النصارى في الله الذي يرى، هل هو الله الذي خلق السماوات والأرض أو هو المسيح الذي يؤلهه النصارى؟ أو هو الثالوث المتعدد في الأبد والابن والروح القدس؟

يقول ميخائيل مينا: "قد ارتدى علماء الكتاب في رؤية الله رأيًا هم (٥)

١ - قال أصحاب الرأي الأول: إن رؤية الله بصورة حسية وبهيئة ترى بالعين الجسدية غير ممكنة؛ لأنه ليس من المرئيات كما قال بولس الرسول: "الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه، (٦).

وبناءً على قول بولس فإن الله الخالق للمسميات والأرض لا يرى، إذن فمن الذي يراه النصارى ويتمتعون برؤيته؟ إنه المسيح، ولكنهم يقولون إنه يتصل بذات الله. وهذا هو الشريك أو الحلول بعينه.

(1) شرح التعليم المسيحي ج1 ص ٣٢٣.
(2) إيانا الحلي ص ٥١٢.
(3) عقائد أساسية ومدخل في علم اللاهوت ج1 ص ١٧١ - ترجمة شاكر إبراهيم مجيد.
(4) علم اللاهوت ج2 ص ١٦٤.
(5) رسالة تزاليووكي الأولى ٦: ١٦، انظر علم اللاهوت ج2 ص ١٥٤، ١٦٥.
يقول: «أميلحيل ممن»: بعد أن استدل بقول يسوع البولس «عله عدد استطاعته رؤية الله نفسه»: (1) ذلته تعالى وصفاته، يسوع المسيح؛ لأنه هو بهاء مجد، ورسم جوهره، وقد أعلن إرادته ورحمته وطول أثره وقادسته، وقدره وسائر صفات لمخلوقاته(2).

ويصبحون عقيدتهم في اتحاد اللهات بالناسوت إلى الآخرة لبسموا من رؤية الله بعد أن أعلن بولس أن الله لا يمكن أن يرى، وكما أن النفس ترى العين الذي تتحرك وتعلم به؛ هناك اللهات يرى بواسطة الناسوت(3).

ويعبرون أن الذي يرى المسيح، فقد رأى الله- تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا - ويستدلون على ذلك بقول «يوفان»: قال له «فيليسيس»: يا سيد أرنا الآب وكونا. قال له يسوع: أنا معمم زمنا هذه مدته ولم تعرفني يا فيليسيس الذي رأى فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت أرنا؟» (4).

وعلى هذا الأساس تفسر العبادات التي وردت على لسان علماء النصارى مثل الاتصال بالله، والاتحاد بالله، والشركة مع الله - التي أوردوها في تصوير رأي النصارى في الرؤية.

2- الرأي الثاني: يذهب النصارى إلى أن الصالحين وإن كانوا لا يستطيعون أن يروا الله بحسب طبيعتهم إلا أنه بعد كشف هذا الحجاب واستبدال الموت بعد الموت والفساد بعد الفساد. يستطيعون ذلك بكيفية استعدادية مفاضة في العقل المخلوق وثابتة فيه ترفعه فوق قوته الطبيعية، وتصبر على كمال الافتقار على أن يعابن الحضرة الإلهية(5).

وصاحب هذه الرأي يفسرون قول بولس: «إن الله لا يراه أحد من الناس» (6) بأن معناه عدم إدراكه، أي لا يستطيع كائن من كان أن بدرك الطبيعة الإلهية،

(1) نفسه.
(2) علم اللهات جد 2 ص 165.
(3) إنجيل يوفان 14: 8، 9، وانظر علم اللهات جد 2 ص 165.
(4) نفسه.
(5) رسالة تسالونيكي الأولى 6: 16.
(6) نفسه.
لا ننكر أن نصيبي تنزيله الله عند بعض علماء النصارى، حتى نفتا ب بهذا النصيبي في قول أحد علمائهم، يقول القديس باباسليوس: «إن الصالحين يشهرون الذات الإلهية وجهًا لوجه، ويعرفون الله بمعرفة المعرفة التي يعرف تعالى بها ذاته بمرأى لأهوته».

وهي هذه نرى الاضطراب في الآراء حول الموضوع. وإن دل هذا الاضطراب على شيء فإنما يدل على التدخل البشري على وجه الله عز وجل المتمثل في الإنجيل الذي علمه الله لعيسى بن مريم عليه السلام.

ثالثًا: رؤية الله في النصور اليهودي

لا نجد تفصيلات كثيرة عن رؤية الله في الآخرين عند اليهود في المصادر التي رجعنا إليها، فهناك بعض النصوص وردت في العهد القديم عن رؤية الله في الآخرين. ورد في سفر أيوب: «أما أنا فقد علمت أن وليبي حي، والآخر على الأرض يقوم، وبعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله الذي أراه لنفسى، وعيناي نظران، وليس آخر إلى ذلك تتوق كليتاي في جوفي».

جاء في تفسير هذا النص: «اشتقاق إلى مصالح يهود وشيوخ الله. بدون جسدي، أي بعد موته فيكون جسدي تلاشي «أرى الله»، وذلك بعد موته وبدون جسده، ولا شك في أن معرفة أيوب بقيادة الجسد. ورؤية الله في السماء كمعرفة غيره من قديسي العهد القديم».

(1) علم اللاهوت ج ٢ ص ١٦٥
(2) نفسه
(3) لا نناقش اليهود في تجسيمهم وتشبيههم، لأنهم يزعمون أن الله يرى في الدنيا، ويصارع يقوب وبصارع الحوت أيضاً تعالى الله عن ذلك عنازة كبيرًا.
(4) سفر أيوب ١٩ - ٢٥: ٢٦.
(5) السنن النصيري في تفسير العهد القديم ج ٥ ص ٢١١
وائقات اليوم الآخر

والنص السابق وشرحه صريحان في رؤية الله في الآخرة وأنها كانت معلومة

عند الأنبياء.

ورد في المزمور الثاني والأربعين "بعثت نفسي إلى الإله الحي، منى أجيء، وأنواءي قدم الله" (1). ونص المزمور بين أن صاحبه ينتظر رؤية الله.

وسعداً الفيومي يذكر أن هال الآخرة إنما الحياة فيها بالنور، وليس مع ذلك لا طعام ولا شراب ولا غشيان ولا تناسل، ولا بيع، ولا سائر الأمور التي في الدنيا، وإنما ثواب من نور الخالق جل وعز (2).

* * *

(1) المرامير 42 - 3.
(2) الأمانات والاعتقادات 263.
المصادر والمراجع
فهرس المصادر والمراجع

راعينا في ترتيب المصادر والمراجع الترتيب الأبجدي، وقسمنا المصادر والمراجع إلى مصادر إسلامية وعربية وبدأنا بها ثم بعد ذلك المصادر التي تبحث في الفلسفات والديانات الأخرى، بصرف النظر عن المؤلف.

القرآن الكريم

كتاب السنة:

* البخاري: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن المغيرة الم جعي الفخاري ت ٥٦ ه.

1- صحيح البخاري (بياشية السندي) مكتبة زهران - القاهرة.

* الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي ت ٢٧٩ ه.

2- الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر - محمد فؤاد عبد الباقى - إبراهيم محمد عطوة - دار الفكر بيروت.

* ابن حنبل: الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبيل بن هلال بن أسد الشيباني ت ٢٤١ ه.

3- مسند أحمد بن حنبل - دار الفكر العربي - القاهرة.

* عبد الباقى: الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى.

4- اللؤلؤ والمرجان: فيما اتفق عليه الشيخان. وزارة الأوقاف بالكويت ١٩٧٢.

* ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن زيد بن ماجه الربيعي القزويني ت ٢٧٥ ه.

5- سنن ابن ماجه تحقيق. محمد فؤاد عبد الباقى - دار الفكر بيروت.

* مسلم: الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج الفشيري النيسابوري ت ٢٨١ ه.
6- صحيح مسلم - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى. دار إحياء الكتب العربية

* النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن دينان النسائي ت 302 هـ.

7- سنن النسائي دار الفكر بيروت - الطبعة الأولى.

المصادر الإسلامية العربية

* الآشوري: الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الآشوري ت 330 هـ.

8- الإبانة عن أصول الدين - المطبعة السلفية- الطبعة الثانية 1397 هـ.

9- اللمع في الرد على أهل الأهواء والبدع. تحقيق الدكتور حمودة غرابية نشر مكتبة الخانجي 1955 م.


* الألواحي: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ت 1270 هـ.

11- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - دار الطبعة المنيرية الطبعة الثانية.

* أبو السعود:

12- تفسير العلامة أبي السعود. إدارة الطباعة الجمعية العلمية الأزهرية الملاوية المصرية 1348 هـ 1928 م.

* الإيجي: العلامة عضد الملة والدين. عبد الرحمن بن أحمد الإيجي.

13- شرح السيد على المواقف. دار الطباعة العامة 1357 هـ.

* البغدادي:

أبو منصور عبد القادر بن طاهر التميمي البغدادي ت 426 هـ.
4 - أصول الدين - دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثالثة 1981.

* اليموي: الإمام أبو محمد الحسين بن سعود البغوي الفراء.

6 - تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل - تحقيق خالد عبد الرحمن العك.
- مروان سوار - دار المعرفة. بيروت الطبعة الأولى 1986 م.

* اليموي: الإمام إبراهيم اليموي.

7 - تحفة المرید شرح جوهرة التوحید. طبعة الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية.

* الدكتور: بركات دويدار.

8 - الوحدانية: الناشر مكتبة النهضة المصرية 1972 م.

* محمد البهيل: الدكتور محمد البهيل.

9 - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. الطبعة الثامنة.

* مكتبة وهبة.

* ابن تيمية: الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ت 728 ه.


21 - الجواب الصحيح لم نحن بدل دين المسيح. الناشر مكتبة المدني.
22 - درر تعارض العقل مع النقل. تحقيق الدكتور رشاد سالم - دار الكتب القاهرة 1971.

* التفتازاني: العلامة سعد الدين سعود بن عمر التفتازاني.

23 - مقاصد الطالبين في علم أصول الدين - دار الطباعة العامة بدار الخلافة 277/1931 ه.
* الجرجاني: السيد الجرجاني.

24- التعريفات الناشر. مكتبة الباري الحلي 1938 م.

* جودة المهدي: الدكتور جودة أبو الزيدي المهدي.

25- نص الدمسي في التفسير الموضوعي لآية التنزيل - مطبعة الأنوار المحمدي الطبية الأولى.

* الجويني: إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ابن عبد الله الجويني ت 784 هـ.

26- الإرشاد إلى قواعد الأدلة. تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى - الناشر مكتبة الخانجي 951 م.

27- لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة - تحقيق الدكتور فؤوق حسين محمود المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - الطبعة الأولى 1965.

* ابن حجر: الحافظ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني ت 852 هـ.

28- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثانية 1402 هـ.

* ابن حزم: الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ت 946 هـ.

29- الفصل في الملأ والأهواء والنحل - الناشر مكتبة السلام العالمية.

* خان: الشيخ صديق حسن خان.

30- نقطة أولى الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار - تحقيق الدكتور أحمد حجاجي السقا - دار التراث الإسلامي بالأزهر 1981 م.

* الخزرجي: أبو عبيدة الخزرجي ت 582 هـ.

31- بين الإسلام وال kristianية - تحقيق الدكتور: محمد عبد الغني شامة - الطبعة الثانية مكتبة وهرة - القاهرة.

* الخياط: أبو الحسن الخياط المعزلي ت 231 هـ.
26- الانتصار - نشرة دنيجر - المطبعة الكاثوليكية 1957 - بيروت

* دراز: الدكتور محمد عبد الله دراز.


24- الدين - مطبعة السعادة 1969.

35- مدخل إلى القرآن الكريم - الناشر دار القلم. الكويت.

* الرواي: الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرزاز.

36- الأربعين في أصول الدين - الطبعة الأولى بمجلس دائرة المعارف العثمانية 1353 هـ.

37- مجموع أفكار المتقدمين والمتأخرين - مراجعة طب عبد الرؤوف سعد - الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.

38- مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير - الناشر عبد الرحمن محمد - الطبعة الأولى 1388 م.

* رحمت الله الهندي 1308 هـ.

39- إظهار الحق - تحقيق الدكتور. أحمد حجازي السقا - الناشر دار التراث العربي.

40- رسالة التنبيهات في إثبات البعش والحضير ملحقة بإظهار الحق تحقيق محمد كمال فراج - توزيع الأهرام 1978 م.

* ابن رشد العلامة أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد.

595 هـ.

1- تهافت التهافت - تحقيق الدكتور. سليمان دنيا - الناشر دار المعارف الطبعة الثانية.

42- مناهج الأدلة في عقائد الملة - تحقيق الدكتور. محمود قاسم - الطبعة.
الثانية 1964 - الناشر الأنجولو المصرية.
* الدكتور: رفقي زاهر.

44 - قضية التكفير عند الخزاعي - الناشر مكتبة الأزهر 1979.
العثماني: الدكتور. زاهر عواس الألمع.

5 - مناهج الجدل في القرآن - مطاعن الفرقدق بالسعودية.
الزمخشري:
* أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت 538 هـ.

46 - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأفواج في وجه التأويل.
* أبو زهرة: الشيخ محمد أبو زهرة.

47 - القرآن المعقذة الكبرى - الناشر دار الفكر العربي.
العثماني: أبو عبد الله السنوسي.

* سيد قطب: الأستاذ سيد قطب.

49 - مشاهد القيامة في القرآن. الناشر دار المعارف الطبعة السادسة 1980 م.

50 - في ظلال القرآن - دار الشروق - الطبعة الثالثة والعاشرة.
* ابن سينا: أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا ت 428 هـ.


52 - النجاة - طبعة محي الدين الكردي - الطبعة الثانية 1938.
* الشامي: الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي.

53 - سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد. تحقيق الدكتور مصطفى
عبد الواحد الناشر المجلس الأعلى للشورى الإسلامي 1974.

* الشهيرستاني: الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ت 549 هـ.

54 - الملل والنحل. بهامش الفصل لابن حزم - مكتبة السلام العالمية.

* الشيرازي: صدر الدين الشيرازي.

55 - حقائق البحث والنشر. تحقيق عبد القادر عطا. دار التراث العربي - الطبعة الأولى 1984م.

* الأصفهاني: أبو الثناء شمس الدين الأصفهاني ت 749 هـ.

56 - مطالع الأنظار - بدون تاريخ ولا ناشر.

* الطبري: الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.

57 - جامع البيان في تفسير القرآن - طبعة دار المعرفة - بيروت الطبعة الرابعة 1980 - وطبعة دار المعارف. تحقيق أحمد شاكر ومحمود شاكر.

* الطوفي: نجم الدين الطوفي البغدادي ت 716 هـ.

58 - الانتصارات الإسلامية. تحقيق الدكتور أحمد حجازي السفا - مطبعة دار البيان - مصر.

* عبد الجبار: قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل

ابن عبد الله الهذلاني الأسد أبادي ت 415 هـ.

59 - التكليف من المغني الجزء الحادي عشر - الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر - طبعة عيسى البابي الحلفي 1965.

60 - تزويق القرآن عن المطاعن - بدون تاريخ ولا ناشر.

61 - شرح الأصول الخمسة. تحقيق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم.

* تحقيق الدكتور. عبد الكريم عثمان - نشر مكتبة وهبة.

* عبد الجليل شلبي: الدكتور عبد الجليل عبد شلبي.

- صور استشراقية - نشر مجمع البحوث الإسلامية.

* الدكتور: عبد العزيز عبود.

- اليوم الآخر والحياة المعاصرة - دار الفكر العربي 1978 م.

* الاستاذ: عبد الكريم الخطيبي.

- الله والإنسان - الناشر دار الفكر العربي.

* ابن العز: قاضي القضاء العلامة صدر الدين علي بن علي بن أبي العز الحنفي ت 792 هـ.

- شرح العنحاوية في العقيدة السلفية - تحقيق أحمد محمد شاكر.

- الناشر مكتبة أنس بن مالك 1401 هـ.

* ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن حبة الله الشافعي.

- تهذيب تاريخ دمشق الكبير المعروف بابن عساكر - الناشر دار المسيرة بيروت 1979.

* عوض الله حجازي: فضيلة الدكتور. عوض الله حجازي.

- مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام. الناشر الأنواع المحمدية - الطبعة الثانية.

* غرابية: فضيلة الدكتور حمودة غرابية.

- ابن سينا بين الدين والفلسفة - الناشر مجمع البحوث الإسلامية 1972 م.

* الغزالي: الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت 505 هـ.

- إحياء علوم الدين - طبعة دار الشعب.

- الأربعين في أصول الدين - نشر دار الآفاق بيروت الطبعة الرابعة 1982 م.

- الاقتصاد في الاعتقاد - الناشر مكتبة الجندي.
373- تهافت الفلاسفة - تحقيق الدكتور سليمان دنيا الطبعة السادسة دار المعارف.

474- الاقتصاد في الاعتقاد - الناشر مكتبة الجندي.

475- سر العالمين. الناشر مكتبة الجندي 1968.

476- المحبة والشوق والأنس والرضا الطبعة الأولى 1971 عيسي الخليبي.


478- ميزان العمل: الناشر مكتبة الجندي.


* ابن قدامة: أبو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة.

* المغني - الناشر - مكتبة الكليات الأزهرية.

* الفراهي: الإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن إدريس المعروف بالفراهي.

480- الأرجوة الفاخرة بهامش كتاب الفارق بين الخالق والمخلوق - مطبعة الموسوعات - مصر.

* القرطبي: الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر فرج الأنصاري ت 761 هـ.

482- الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام - تحقيق الدكتور أحمد حجاجي السقا الناشر دار التراث العربي.

483- التذكرى في أحوال الموتى وأمور الآخرة. تحقيق الدكتور أحمد حجاجي السقا الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.

* ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أبي الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي ت 751 هـ.
48- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - مكتبة القيم.

45- هداية الحيازي في أجوبة اليهود والنصاريون - الناشير المكتبة القيمة.

الطبعة الثانية تحقق الدكتور أحمد حجازي السقا.

* ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي.

ت 774 ه.

68- تفسير القرآن العظيم - دار إحياء الكتب العربية - عيسى الباني الحليبي.

77- النهاية في الفتن والملاحم. تحقيق محمد أحمد عبد العزيز - دار التراث الإسلامي بالأزهر.

* الكندي: أبو يوسف بن إسحاق الكندي ت 260 ه.

88- رسائل الكندي الفلسفية: تحقيق الدكتور عبد الهادي أبو ريدة - دار الفكر العربي.

* المباركفوري: الإمام الحافظ أبو العليم محمد عبد الرحمن المباركفوري ت 1353 ه.

89- تج欠缺 الأحوذي بشرح جامع الترمذي - النشر محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة - الطبعة الثانية 1387 ه.

* المحاسبي: أبو عبد الله الحارث بن أحمد المحاسبي.

90- التوهم - بدون ناشر ولا تاريخ.

* رشيد رضا: الشيخ محمد رشيد رضا.


* محمد الغزالي.

93- ركائز الإمام - الناشر دار الأنصار - القاهرة.

* محمد قطب: الأستاذ محمد قطب.
4 - دراسات قرآنية - دار الشروق.
* ابن مسكيه:
5 - تهذيب الأخلاق - منشورات - دار مكتبة الحياة - بيروت الطبعة الثانية.
* موسى شاهين: فضيلة الدكتور موسى شاهين لاشين.
6 - فتح المنعم بشرح صحيح مسلم - مطبعة دار التراث العربي - الطبعة الثانية.
* ناصر الدين الإسكندري: الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن منير الإسكندري.

7 - الأنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال - هامش الكشاف

للمخشي طبيعة عيسى البابي ١٩٧٢.
* النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي.
8 - تفسير النسفي - الناشر عيسى البابي الحلي.
* النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ت ٦٧٦ ه.
9 - صحيح مسلم بشرح النووي - المطبعة العربية ومكنينها - القاهرة.
* النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري.
100 - تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرائض بهامش تفسير الطبري - دار المعرفة - بيروت لبنان.
* ابن الهمام: كمال الدين بن الهمام.
101 - المسايرة في علم الكلام - المكتبة المحمودية التجارية - الطبعة الأولى.
* وحيد الدين: الأستاذ وحيد الدين خان.
102 - الإسلام يتحدى - ترجمة ظفر الإسلام خان. مكتبة القرآن.
* ابن الوزير:

العلامة محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى ت. 840 هـ.

1. 103 - إيثار الحق على الخلق. الناشر دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى 1403 هـ 1983.

* يحيى حاشم: فضيلة الدكتور يحيى حاشم حسن فرغلي.


المصادر التي تبحث في الديانات والفلسفات بصرف النظر عن المؤلف:

7. 107 - التوراة السامرية تحقيق الدكتور أحمد حجاجي السفانا. الناشر دار الأنصار.


10. 110 - العهد القديم.

11. 110 - العهد الجديد.

* إبراهيم لوقا: القس إبراهيم لوقا.

12. 111 - المسيحية في الإسلام. الناشر دارنشر القبطية - الطبعة الثانية.

* أحمد أمين: الأستاذ أحمد أمين.

13. 113 - قصة الفلسفة اليونانية. بالاشتراك مع الدكتور زكي نجيب محمود.
الطبعة السابعة - الناشر لجنة التأليف والترجمة.

* أحمد شلبي: الدكتور أحمد شلبي.

14- الناشر الهلودية. الناشر المصرية المصرية 1973 - الطبعة الثالثة.

15- أديان الهند الكبرى. دار النهضة المصرية.

* أحمد عبد الغفور: الشيخ أحمد عبد الغفور.

16- الديانات والعقائد في مختلف العصور - الطبعة الأولى - مكة المكرمة.

* أحمد عبد الوهاب: المهندس/ أحمد عبد الوهاب.

17- المسيح في مصادر العقائد المسيحية - الناشر مكتبة وهة.

* المحرفي: الأسير إسحاق المحرفي.


* أدولف إرمان:

19- ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها - ترجمة الدكتور عبد المنعم وآخرون الناشر مصطفى البابي الحلي.

* إميل بربهية:

20- الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندري. ترجمة الدكتور/ محمد يوسف موسي. الناشر مصطفى البابي الحلي 1954.

* أنطون نقير:

21- الأدب والدين عند قدماء المصريين - الناشر مطبعة المعارف ومكتبتها 1923.

* أي بي برانانيس:

22- فضح التلمود - تعاليم الحاخامين السرية دار النفائس بيروت 1983.

* بنيامين بنكرتين:

البيروني: أبو الريحان بن أحمد البيروني.

* 24 - تحقيق ما للمهند من مقوله. الناشر عالم الكتاب الطبعة الثانية 1983.

* جرهاردوس فوس:

* 25 - عمل اللاهوت الكتابي ترجمة الدكتور عزت زكي. الناشر دار الثقافة 1982 حبيب سعد.

* 126 - أديان العالم - دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية.

* الدكتور: عبد المنعم الحنفي.


* 128 - عقائد أساسية مدخل في علم اللاهوت. الدكتور/ دونالد ديماري ترجمة شاكر إبراهيم - الناشر مكتبة النيل المسيحية.


* الدكتور: رؤوف شلبي: فضيلة الدكتور متوالي يوسف شلبي.

* 130 - الأديان القديمة في الشرق. دار الشروق - الطبعة الثانية 1983.

* رشاد فضكري:

* 131 - تفسير حزيقيال - الناشر مكتبة كنيسة الأخوة.

* الدكتور: رفقي زاهر.


* روبر كليمان اليسوعي:

* 133 - إيماننا الحي. الناشر دارا لمعرفة 1961.

* زكي شنودة:

* 134 - تاريخ الأقباط، الناشر جمعية التوفيق القبطية، الطبعة الأولى 1962.
* الشيخ: محمد أبو زهرة.
* سعدية الفيومي:
  126- الأمانات والاعتقادات - طبعة لندن 1882.
* الدكتور: كامل سعفان.
  137- اليهود تاريخاً وعقيدة - نشر دار الهلال عدد أبريل 1981.
* الأستاذ: سليمان مظهر.
  138- قصة الديانات - دار الوطن العربي.
* الدكتور: أحمد سوسية.
  139- مفصل العرب واليهود في التاريخ. طبع دار الحرية نشر دار الرشيد في العراق 1981.
* القمص: سيد لروس عبد المسيح.
  140- دراسات في علم الإسخاطولوجيا - الناشر الكلية الإكليريكية بشبين الكوم.
* شارل جيبير:
  141- المسيحية نشأتها وتطورها - ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود الناشر دار المعارف.
* الدكتور: سمعون يوسف مويان.
  142- التلمود أصله وتسليثه وآدابه. مطبعة العرب 1909 م.
* الأستاذ: شوفي عبد الناصر.
  143- بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود.
* الدكتور: حسن ظاظا:
  144- الفكر العربي الإسرائيلي أطواره ومذاهبها - الناشر مكتبة سعد رأفت بالإسكندرية 1975.
* الاستاذ: ظفر الإسلام خان.

45 - التلمود تاريخه وتعليمه - دار النفائس بيروت.

* عبد الله الترجمان الأندلسي.

6 - تحفة الأربن في الورد على أهل الصليب - تحقيق الدكتور محمد علي

حماية دار الثقافة للطباعة والنشر.

* العقد: الاستاذ/ عباس محمود العقاد:

47 - الله - كتاب في نشأة العقيدة الإلهية دار المعارف 1969. الطبعة السادسة.

48 - عقيرة المسيح - كتاب اليوم 1953.

* الدكتور: عمارة نجيب.


* القمص: عوض سمعان.

50 - الكهونت - الناشر دار الثقافة - الطبعة الثانية.

* غلاب: الدكتور محمد غلاب.

51 - الفلسفة الشرقية - بدون تاريخ ولا نشر.

* القنس: فايز فيرس.

52 - حقائق أساسية في الإيمان المسيحي - الناشر دار الثقافة - الطبعة الأولى.

* الدكتور: أبو الغيط الغرث.

53 - بولس والمسيحية - دار الطباعة المحمدية - الطبعة الأولى.

* القنس الدكتور: فهيم عزى.

54 - الفكر اللاهوتي في كتابات بولس. الناشر دار الثقافة.

* كارول وليمز الكبير:

55 - الأمور المتبقية عندنا - الناشر المجمع العام للكنائس الله.
* كلايد تارنر:

56 - هذه عقائدونا دار المنشورات المعمدانية - بيروت 1972.

* ابن كمونة: سعيد بن منصور بن كمونة اليهودي.

57 - تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث - الناشر دار الأنصار.

* كوستلي بندلي:

58 - مدخل إلى العقيدة المسيحية - منشورات النور بيروت.

* مراد فرج:

59 - شعار الخضر في الأحكام الشرعية الإسرائيلية. مطبعة دار الرغائب 1917.

* موريس بوكاي:

60 - دراسة الكتب المقدسة - الناشر دار المعارف.

* القفص: ميخائيل مينا.


62 - علم اللاهوت النظامي مجموعة من اللاهوتيين الناشر - دار الثقافة.

* ميشيل ميتيم:

63 - شرح التعليم المسيحي مطبعة الإحسان حلب 1952.

* ناشد حنا:

64 - أشياء مفصلًا آية آية.

* النشر: الدكتور علي سامي النشر:

66 - الفكر اليهودي وتأثيره بالفلاسفة الإسلامية. بالاشتراك مع الأستاذ عباس الشريني - الناشر منشأة دار المعارف بالإسكندرية.

* وافي: الدكتور علي عبد الواحد وافي:

66 - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام الناشر دار
نة مصر 1971.
* وول ديورانت:

17 - قصة الحضارة - الجزء الثاني من المجلد الأول ترجمة محمد بدران.

الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب.

* وليم إدئ:


* الأنبا يؤنَس. أسقف الغربية.

19 - السماء - بدون ناشر.

* الأساتذ: يوسف كرم.

20 - تاريخ الفلسفة اليونانية. الناشر لجنة التأليف والتترجمة والنشر.

المعاجم:

* جبران مسعود:


الدكتور: جميل صليبا.

22 - المعجم الفلسفي - دار الكتاب اللبناني 1982.

* الرازي: الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي.

23 - مختار الصحاح. المطبعة الأممية 1345 هـ 1926 م.

* الفيروزآبادي: العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.

24 - القاموس المحيط - طبع المطبعة الميمنة بمصر.


26 - قاموس الكتاب المقدس - تأليف مجموعة من اللاهوتيين - الطبعة السادسة بيروت 1981.

177 - دائرة المعارف الإسلامية - الطبعة العربية - الطبعة الثاني 1969.
المخطوطات:

الباحث: أحمد عجيب.

178 - الخلاص المسيحي ونظرية الإسلام إليه - مكتبة كلية أصول الدين

بطنطا.

الباحث: فتحي محمد أحمد الزغبي.

179 - غلالة الشيعة وتأثيرهم بالأديان المغايرة للإسلام - مكتبة كلية أصول الدين

بطنطا.

الحويلات

180 - حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية - العدد الخامس 1405 هـ

1985 م بحث بعنوان البحث عند الفلاسفة الإسلاميين للدكتور/ محمد حسن خليل أبو حطب.

***
تعريف

أد/ فرج الله عبد الباري أبو عطا الله

ولد في دقادوس - ميت غمر - دقلية في 13/5/909م

- تلقى تعليمه في الأزهر الشريف منذ السنة الأولى الابتدائية حتى حصل على
الليسانس في أصول الدين والدعوة الإسلامية 1981م بمرتبة الشرف.

- عين مساعدًا في قسم مقارنة الأديان سنة 1981م.

- حصل على درجة الماجستير في العقيدة والفلسفة بتقدير ممتاز عام
1987م في موضوع اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام.

- صدر قرار تعيينه مساعدًا في قسم العقيدة والفلسفة عام 1987م.

- حصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عام 1990م في
موضوع موقف القرآن الكريم من الفكر المادي.

- صدر قرار تعيينه مساعدًا بقسم العقيدة والفلسفة 1990/10/1م.


- أعير إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بكلية أصول الدين بالرياض
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة اعتبارًا من 26/10/1993م.

- اختير في فترة إعارته ضمن أحد عشرة أساتذة حققوا سباق الإنجاز والجدية
في الإرشاد الطلابي والبحث العلمي في كلية أصول الدين بالرياض.

- سافر إلى كل من تركيا وسوريا لزيادة دور الكتب فيها وتصوير بعض المخطوطات، وزيارة كلية الامهات بعمرية بإستانبول.

- يقوم بخطبة الجمعة في مساجد وزارة الأوقاف والجمعيات الأهلية منذ سنة 1979.

المؤلفات العلمية:

1- اليوم الآخر بين اليهودية واللمسيحية والإسلام - طبعة ثانية - دار الوفاء.

2- موقف القرآن الكريم من الفكر المادي - رسالة دكتوراه (مخطوطة).


4- الاختراق اليهودي للمجتمعات الإسلامية نشأته وتطوره طبعة ثانية عام 2000.


6- نقض دعوى عالمية النصارية مترجم إلى الإنجليزية عام 1997 حولية أصول الدين بطنطا.

7- عالم الملانكة - دراسة عقدية كتاب عام 1998.

8- العلمانية النسخة الدلالية - الدوالع بحث عام 1999 حولية أصول الدين.


10- المعتقد الدينية عند الأمم الوثنية كتاب عام 2000.


12- بحث عن المادية منشور في موسوعة المذاهب المعاصرة دار إشبيلية.
الرياض عام 1997 م.

13- الاستئناس بحث مقدم إلى اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة بجامعة الأزهر عام 2000 م.

***
الفهرس
فهرس الموضوعات

363

مقدمة

2

التقديم

12

المقدمة

19

اليوم الآخر في الديانات الوضعية

21

اليوم الآخر في الضرير البشري

23

البحث الأول: اليوم الآخر عند المصريين القدماء

26

الأسس التي قامت عليها فكرة الحياة الآخرة عند قدماء المصريين

26

أولاً: إرسال الرسل

27

ثانياً: مظاهر الحياة الدنيا

28

تفاصيل ما بعد الموت

28

أولاً: البعث

29

ثانياً: الحساب والجزاء

31

ثالثًا: الميزان وصدور الحكم

33

رابعًا: مكافأة النفس ومجازاتها

33

الجنة والنار

34

عذاب النار

37

البحث الثاني: اليوم الآخر عند الهندوس

37

أولاً: علاقة العمل بالجزاء

38

ثانياً: تناسخ الأرواح
ثالثاً: الحساب عند الهنود: 
40
رابعاً: الجنة والنار: 
41
حل التناقض بين التناسخ وبين الجنة والنار في اعتقاد (البراهمة): 
42
المبحث الثالث: اليوم الآخر عند الفرس: 
45
تفاصيل ما بعد الموت: 
46
أولاً: حالة الروح: 
48
ثانياً: الحساب: 
49
ثالثاً: النعيم والعذاب: 
50
واقعات اليوم الآخر بين الإسلام والتوراة واليهودية: 
51
المقصود باليوم الآخر بين الإسلام والتوراة واليهودية: 
51
أولاً: المقصود باليوم الآخر في التصور الإسلامي: 
53
ثانياً: المقصود باليوم الآخر في التصور التورائي: 
54
ثالثاً: المقصود باليوم الآخر عند اليهود: 
55
المبحث الأول: الموت بين الإسلام والتوراة واليهودية: 
57
أولاً: الموت في التصور الإسلامي: 
59
أما عن الموت هل يقع على البدن أم على النفس بمعنى الروح؟ 
60
أولاً: الموت عام لكل البشر: 
61
ثانياً: الموت والحياة بأمر الله وحده: 
62
ثالثاً: أن لكل نفس أجل معلوم: 
64
المقتول هل هو ميت بأجله أم لا؟ 
64
رابعاً: حال المؤمنين والكافرين ساعة الاحتضار والمال الذي يصبرون إليه: 
67
غسل الميت وتكفنه والصلاة عليه ودفنه: 
71
تكفين الميت: .................................................. 73
صلاة على الميت: ...................................................... 73
ثانيًا: الموت في التصور النصراني ........................................ 74
أولًا: الموت عام لجميع البشر: ....................................... 79
ثانيًا: ألم وقت الموت غير معلوم: ..................................... 79
غسل الميت وتكفيفه ودفنه والصلاة عليه عند النصارى: ............. 80
ثالثًا: الموت في التصور اليهودي: ....................................... 80
بحث الثاني: البرزخ بين الإسلام والنصرانية واليهودية ............. 85
أولًا: البرزخ في التصور الإسلامي: ..................................... 86
سؤال الملكين: .................................................................. 90
عذاب القبر ونعيشه: ........................................................ 98
ثانيًا: البرزخ في التصور النصراني ....................................... 98
أولًا: الأرثوذكس والبروتستانت: ....................................... 98
ثانيًا: رأي الكاثوليك في مصير الأرواح بعد الموت: ................. 100
العذاب في المظهر: .......................................................... 101
ثالثًا: البرزخ في التصور اليهودي: ...................................... 102
بحث الثالث: علامات الساعة بين الإسلام والنصرانية واليهودية ........ 109
أولًا: علامات الساعة في التصور الإسلامي: ............................. 109
أشارات الساعة: .................................................................. 111
ثانيًا: علامات الساعة في التصور النصراني: ........................... 116
نهاية الدجال في التصور النصراني: ....................................... 123
تعدير علي علامات الساعة بين التصور الإسلامي والتصور النصراني: .................. 126
ثالثًا: علامات الساعة في التصور اليهودي: .................................................. 127
المبحث الرابع: البعث بين الإسلام والنصرانية واليهودية: .............................. 129
أولًا: البعث في التصور الإسلامي: .................................................................. 129
مقدمات البحث: .................................................................................................. 130
البحث: ................................................................................................................. 133
ثانيًا: البعث في التصور النصراني: ................................................................ 139
مقدمات البحث عند النصارى: ................................................................. 140
البحث في العهد القديم: ................................................................................ 142
البحث في العهد الجديد: ................................................................................ 144
ثالثًا: البعث في التصور اليهودي: ................................................................. 149
الاتجاه الأول: خلو التوراة من البعث والجزاء: .............................................. 152
الاتجاه الثاني: الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء عن البعث: ............ 160
الاتجاه الثالث: عرض النصوص التي تثبت البعث من التلمود والكتب اليهودية: ................................................................. 168
تقبيح على البعث في التصور اليهودي: ............................................................ 171
المبحث الخامس: الحشر بين الإسلام والنصرانية واليهودية: ..................... 174
أولًا: الحشر في التصور الإسلامي: .................................................................. 174
الحشر في الدنيا: .................................................................................................. 174
الحشر في الآخرة: ................................................................................................ 176
أرض الحشر في الآخرة: ....................................................................................... 178
كيفية الحشر في الآخرة: .................................................................................... 181
صفة العرق يوم الحشر: ....................................................................................... 182
الحشر إلى الجنة والحشر إلى النار: .............................................. 184
ثانياً: الحشر في التصور النصرياني .............................................. 189
ثالثاً: الحشر في التصور اليهودي .............................................. 192
المبحث السادس: صاحائف الأعمال بين الإسلام والنصرانية واليهودية: ................. 194
أولًا: صاحائف الأعمال في التصور الإسلامي .............................................. 194
ثانياً: صاحائف الأعمال في التصور النصرياني .............................................. 196
ثالثاً: صاحائف الأعمال في التصور اليهودي .............................................. 197
تعقب على صاحائف الأعمال بين الإسلام والنصرانية واليهودية: ......................... 199
المبحث السابع: الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية: ................................. 201
أولًا: الحساب في الإسلام: .......................................................... 201
ثانياً: نفي قيام الرسول بمحاسبة الخلق يوم القيامة: ........................................ 202
ثالثاً: كيفية الحساب: ............................................................... 203
من يدخلون الجنة بغير حساب: ..................................................... 208
ثانياً: الحساب عند النصارى: ......................................................... 211
تولى المسيح الحساب: ............................................................... 211
حساب لكل البشر: ................................................................. 213
أقسام البشر عند الحساب: ......................................................... 214
ثالثاً: الحساب عند اليهود: ......................................................... 216
تعقب على الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية: ................................ 217
المبحث الثامن: الصراط في التصور الإسلامي: ........................................... 220
أولًا: القرآن الكريم: .............................................................. 220
ثانياً: السنة النبوية: .............................................................. 221
ثالثًا: الإجماع ................................. 222
رأي المعتزلة في الصراط: ........................ 222
المبحث التاسع: الميزان في التصور الإسلامي .......................... 224
كيفية الميزان: ........................................ 226
من توزن أعمالهم يوم القيامة؟: ........................ 227
فائدة الميزان: ........................................ 228

عدم وجود الميزان والصراط في التصور النصراني واليهودي: .......................... 228
المبحث العاشر: الحوض في التصور الإسلامي: ........................................ 230
المبحث الحادي عشر: اشتفاء بين الإسلام والنصرانية واليهودية: .......................... 234
أولًا: الشفاعة في التصور الإسلامي: ........................................ 234
ثانيًا: الشفاعة في التصور النصراني: ........................................ 243
ثالثًا: الشفاعة في التصور اليهودي: ........................................ 249
المبحث الثاني عشر: الجنة والنار بين الإسلام والنصرانية واليهودية: .......................... 251
أولًا: في التصور الإسلامي: ........................................ 251
أ - الجنة: ........................................ 251
ر - الجنة: ........................................ 254
رأي المعتزلة في خلق الجنة: ........................................ 260
عدد الجنة ودرجاتها: ........................................ 262
درجات الجنة: ........................................ 263
 أبواب الجنة وخرزتها: ........................................ 265
خزنة الجنة: ........................................ 267
الجنة جزاء للمؤمنين: ........................................ 268
فهرس الموضوعات

أطفال المسلمين وأطفال المشركين وأهل الفترة: ۲۷۰
أولاً: أطفال المسلمين: ۲۷۰
ثانياً: أطفال المشركين: ۲۷۲
أهل الفترة: ۲۷۷
نعم الجنة: ۲۷۹
التراور بين أهل الجنة: ۲۸۳
أدنى أهل الجنة منزلة: ۲۸۴
رؤية الله في الجنة: ۲۸۶
خلود الجنة ونعمها وأهلها: ۲۸۷
ب - النار في التصور الإسلامي: ۲۹۳
سعة جهنم وِبُعْد مقرها: ۲۹۴
أبواب جهنم وجزئتها: ۲۹۶
دركات جهنم: ۲۹۸
صفة النار ووقودها: ۲۹۸
أسماء العذاب لأهلها: ۳۰۰
ثواب أهل النار وسلاسِلهم: ۳۰۰
طعام أهل النار وشرابهم: ۳۰۲
أكثر أهل النار: ۳۰۲
خلود الكفار فيها أبداً: ۳۰۵
ثانيًا: الجنة والنار عند النصارى: ۳۱۰
ثالثًا: الجنة والنار في التصور اليهودي: ۳۱۹